الهيئة العامة السورية للكتاب
The Syrian General Organization of Books



العدد (٢) ٢٠٠٩
Issue (2) 2009

رئيس مجلس الإدارة
د. رياض نعسان آغا
وزير الثقافة

المدير المسؤول:
محمود عبد الواحد
المدير العام للهيئة السورية العامة للكتاب

الإشراف الفني والطباعي:
أحمد عكيدي

التصميم والإخراج:
عبد العزيز محمد
أحمد إسماعيل

سعر النسخة ٥٠ ل.س

أنجز هذا العدد بإشراف وإدارة
الدكتور محمود السيد

تطالعون في هذا العدد



د .رياض نعسان آغا
وزير الثقافة

لغتنا رمز انتمائنا

من لا لغة لـه، لا وطن له، وحفاظنا على لغتنا هو حفاظ على هويتنا وعلى ذاكرتنا ومستقبلنا، فضياع اللغة القومية هدد أمماً كبرى في العالم، ومحا خصوصيتها الثقافية، فصارت تابعة لثقافة اللغة التي طغت عليها، وهانحن أولاء نجد في العالم اليوم أمماً ذات تاريخ عريق وحضارة سامية قد أصبحت لغة المحتل لغتها، وهو لا يقبل بها حاملة أصيلة لهويته، وإنما يتركها في موقع التابع، ولقد كشفت جريمة الحادي عشر من أيلول في الولايات المتحدة، وما لفق فيها من اتهام للعرب، حقيقة هامة أمام قلة ممن ظنوا أن انسلاخهم عن لغتهم العربية وهويتهم الأصلية يمنحهم انتماء كاملاً للولايات المتحدة أو أوربا، فقد عاملهم الغرب على أنهم غرباء، وصنفهم على أنهم شرقيون، فضاع بعضهم ولم تشفع له الجنسية ولا جواز السفر، ورأى من الكراهية والاستهانة ما دعاه إلى أن يبحث عن جذوره، ولا جذر أعمق في الانتماء من اللغة، وهذا سر إقبال أهلنا المغتربين على تعليم أبنائهم لغتهم العربية القومية.

ولقد ذكرت في غير موقع أن اليهود تمكنوا من تحقيق هوية خاصة بهم بفضل إحيائهم للغة ميتة، ما جعلنا ندعو مرات أصدقاءنا الذين يستهينون باللغة العربية إلى تأمل مفارقة تاريخية مفجعة تتمثل في كون العرب يميتون لغتهم الحية، بينما يحيي الإسرائيليون لغة ميتة، فبعد قرون من الشتات اليهودي تمكن الصهاينة من إيجاد هوية قومية جامعة هي اللغة، وأعتقد أنها هي السر فيما حققوا من تكاتف دولي حين وجدوا نقطة التقاء جوهرية، لقد وضع اليعازر بن يهودا أسس النهضة القومية اليهودية حين أحيا اللغة العبرية، ولست هنا في موضع الحديث عن كون هذه اللغة ذات جذور كنعانية أو مستقلة، فما يعنيني هو تأمل دور اللغة في تحقيق الهوية، وهذا ما ينبغي أن يفهمه الجيل الجديد الذي بات ضعيفاً في حفاظه على لغته، فليس سراً أن التعليم العالي بالعربية يتراجع لصالح التعليم بالإنكليزية، ولاسيما في الجامعات الخاصة حتى في سورية التي كانت وما تزال رائدة في التعليم العالي بالعربية، وهذا أمر خطير إذا ما واجهنا جيلاً

لا يجيد لغته، وهذا لا يعني أي انتقاص من ضرورة تعلم اللغات العالمية الحية، ولكن ليس على حساب اللغة الأم.

وحين دعا السيد الرئيس بشار الأسد يوم ترأس القمة العربية العشرين في دمشق، إلى وضع تمكين اللغة العربية على رأس جدول أعمال القادة العرب الذين استجابوا جميعاً، كان المنطلق إلى الاهتمام باللغة يتجاوز البعد المعرفي إلى ما هو أهم بكثير، أقصد مسألة الحفاظ على الهوية القومية التي باتت قابلة للتهديد بالضياع، فثمة أقطار عربية باتت الانكليزية لغة يومية لشرائح هامة فيها، وثمة أقطار أخرى سكنت الفرنسية ألسنة أبنائها حتى في اللهجات العامية الدارجة فباتت المفردات الفرنسية أكثر من العربية فيها، وهذا تهديد صريح ومباشر للهوية والذاكرة الوطنية.

ويجد الذوبان في لغات الآخرين تشجيعاً ودعماً وأنصاراً ممن يخافون نهوض الأمة العربية وممن يريدون بقاءها تابعة لسواها من الأمم، وضياع اللغة يجر ضياع القيم، بل ضياع نهج الفكر الذي يجد في اللغة خصوصيته المنهجية، ومن المعروف أن لغتنا تحمل خصوصيات كبيرة من أهمها النظم والنسق القيمي والفكري. فلقد رسخت لدى جيلنا قيم عربية خالصة بفضل ما كان يردده آباؤنا وأساتذتنا على مسامعنا من آيات وأحاديث وأشعار وأمثال وحكايات تاريخية كونت وجداننا، ولا أدري كيف سينقل الجيل الجديد لأبنائه هذه القيم والأنساق الفكرية إن لم يكن هو عميق الصلة باللغة العربية.

ولقد علمتنا التجارب القديمة والحديثة أن الحفاظ على الاستقلال الوطني والقومي لا يأتي بقوة السلاح والمقاومة العسكرية وحدها، وإنما هو في مقاومة احتلال ثقافة الغالب لثقافة المغلوب، فإذا ما نجحت هذه المقاومة فإن الثقافة قادرة على تحقيق النصر، ولنا في مسيرة كفاح الشعب الجزائري وحصوله على النصر والاستقلال بفضل حفاظه على اللغة والثقافة إلى جانب المقاومة ما ينبغي أن يكون درساً تفيد منه الأمة في مستقبلها.

وسيكون أمراً خطيراً أن ينجح الاستعمار في احتلال العقل العربي عبر الطغيان على الثقافة العربية ولغتها بعد أن أخفق في الحفاظ على الاحتلال عبر القوة العسكرية.

وبالعودة إلى اهتمام القادة العرب بتمكين اللغة العربية فإنني أجد أن المؤتمرات النوعية التي تتابع الأمة عقدها من أجل تمكين اللغة العربية لن تصل إلى أهدافها ما لم يتفق العاملون في وسائل الإعلام على وثيقة شرف يؤكدون فيها التزامهم بتمكين اللغة العربية على قنوات الفضائيات التي باتت أشد تأثيراً على لغة الأجيال من المدارس والجامعات، وما لم يلتزم المعلمون بالحديث لطلابهم بالفصحى فقد بات محزناً أن نجد دروس العربية ذاتها يقدمها بعض المعلمين لطلابهم بالعامية، فكيف سيمكن المعلم طلابه من لغة هو ذاته ليس متمكناً منها؟ وأعود إلى القول إن المسألة ليست معرفية فحسب، بل هي فوق ذلك مسألة هوية وانتماء.

بسم الله الرحمن الرحيم



تصديـــر

كثيرة هي الندوات والمؤتمرات التي عقدت على نطاق الساحة القومية للوقوف على مشكلات اللغة العربية في العملية التعليمية وفي خارج هذه العملية، وكثيرة هي التوصيات والمقترحات التي توصلت إليها هذه المؤتمرات وتلك الندوات، وما يزال البحث في هذا الموضوع مستمراً، وتأتي استمراريته من أهمية اللغة العربية في حياة أمتنا، إذ إنها عنوان لشخصيتها الحضارية، وأمارة على هويتها، ورمز لكيانها القومي، وذاتيتها الثقافية، وهي الموحدة لأبنائها فكراً وقيماً ورؤى، تجمع بينهم، وتعبّر عن واقعهم وتطلعاتهم، وتحافظ على تراث آبائهم وأجدادهم، وتصون وحدتهم، وتساعدهم على فهم عقيدتهم وعلاقتهم بالكون والحياة، وبالماضي والحاضر والمستقبل.

ويجيء هذا العدد الذي تصدره وزارة الثقافة "اللغة العربية واقعاً وآفاقاً" ليسلط الأضواء على واقع اللغة العربية ويرسم السبل الكفيلة بالارتقاء بهذا الواقع، وقد اشتمل العدد على مجموعة من البحوث العلمية التي قام بإنجازها كوكبة من مفكري الأمة في مشرق الوطن العربي ومغربه، وقد رتبت هذه البحوث ترتيباً قائماً على الانتقال من الصورة العامة لواقع اللغة العربية اليوم إلى تبيان الصورة الخاصة بهذا الواقع في عدد من الأقطار العربية.

وتناولت البحوث العامة السياسة اللغوية في التعليم، وأزمة اللغة العربية في التعليم، وواقعها اليوم، إن على صعيد موقعها على الشابكة "الإنترنت"، وإن على صعيد مشكلات هذا الواقع في خارج استعمالها في الشابكة.

كما تناول عدد من البحوث الواقع الخاص باللغة العربية في عدد من الأقطار العربية، إذ اختيرت الجزائر أنموذجاً لدول المغرب العربي، وقطر أنموذجاً لدول الخليج العربي، وسورية أنموذجاً لدول المشرق العربي كما اختيرت فلسطين الرازحة تحت الاحتلال الإسرائيلي أنموذجاً لممارسات العدو ضدّ لغتنا العربية، وهويتنا القومية، وتراث أمتنا.

وثمة وجهات نظر في مجال تعليم العلوم باللغة العربية كان لابد من تبيانها ما دامت ثمة صيحات ما تزال تنطلق بين آن وآخر للدعوة إلى تعليم العلوم باللغة الأجنبية مكان اللغة العربية.

وتأمل وزارة الثقافة في إصدارها لهذا العدد أن تكون قد قدّمت لبنة في صرح النهوض باللغة العربية.

والله الموفق

الدكتور محمود السيد

القسم الأول

بحوث عامة عن واقع اللغة العربية



السياسة اللغوية في التعليم
خبرات معاصرة ورؤية مستقبلية

ا.د. محمود فهمي حجازي

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

السياسة اللغوية في التعليم موضوع مرتبط بدور اللغة العربية في العملية التعليمية وبوظائفها في السياق المجتمعي وبالتعبير بها عن الحياة والقضايا المعاصرة والعلوم الحديثة وبالإبداع المعاصر إلى جانب مكانتها الموروثة والمستمرة بوصفها لغة الثقافة العربية الإسلامية والتراث الأدبي. ونتناول هذا الموضوع في ضوء خبرات معاصرة في عدة دول، بهدف الإفادة منها في رسم ملامح رؤية مستقبلية.

أولاً: الإطار العام:

١ - هناك مصطلحات متداولة في الكتابات المعاصرة عن الواقع اللغوي ومشكلاته. ومن هذه المصطلحات: السياسة اللغوية، اللغة والتغير الاجتماعي، الآفاق النظرية للسياسة اللغوية، الأطر والأنماط في التخطيط اللغوي، ما بعد الحداثة في السياسة اللغوية، الاعتبارات الاقتصادية في السياسة اللغوية، النظرية السياسية والسياسة اللغوية، الأيديولوجية اللغوية، الثقافة اللغوية، دروس من البحوث اللغوية التاريخية، الممارسة اللغوية، المناهج الإثنوغرافية في السياسة اللغوية، التحليل النفسي الاجتماعي في السياسة اللغوية، الذاتية الوطنية، الحقوق اللغوية للإنسان، السياسة اللغوية وتعليم الأقليات اللغوية، محو الأمية، التحول اللغوي، التنمية اللغوية، الهيمنة اللغوية. وهذه المفاهيم دالة على جوانب من قضايا السياسة اللغوية وأهميتها المجتمعية والوطنية والإقليمية والعالمية.

٢ – الرؤيــة الاجتماعيــة لقضايا اللغة تتجاوز مكونات النظام اللغويــة إلى الاستخدام في المجتمع. لاشــك في أهمية مكونات النظام اللغوي من أصوات وقواعد ومفــردات ومصطلحات ويتصــل بهذا كله الإملاء. ولكن مجالات الاستخــدام اللغوي متعددة. ويتضح مــن دراسات علــم اللغــة الاجتماعي ومن دراسات المسح اللغوي التي تمت في عدة بلدان حول استخدام لغات مثل الإنجليزية أن مجالات الاستخدام اللغوية متعددة، منها المنطوق ومنها المكتوب. يتضمن المنطوق أشــكال التفاعل الحــواري: المحادثة وجهاً لوجه والمحادثة الهاتفية، والمناقشة العامة، والحديث الفردي العفــوي والمُعَدّ. ويتضمن المكتــوب أشكالاً كثــيرة، منها ما يعــد للأداء المقروء مثــل الأحاديث والأخبــار والقصص والخطــب والمسلسلات، ومنها المــواد المكتوبة لغير أغراض الطباعــة والنشر العام مثل اليوميــات الشخصية والمذكــرات والخطابات الاجتماعيــة والمراســلات الرسميــة وموضوعــات الامتحانــات وجلســات الاجتماعــات، ومنها المواد المطبوعة مثل الكتب الأكاديمية والشعبية والمطبوعات الإداريــة والقانونية، والكتــب التعليمية ومطبوعات الدعوة الدينية والسياسية والترويج التجاري، ومنها الكتابــات الإبداعيــة. كل هذه المجــالات مهمة في استخــدام اللغات الحية، أما اللغات التي لا تستخدم إلا في مجــالات قليلة أو محــدودة فلها موقع تعليمي في بعضــ البلــدان مثــل اليونانيــة أو اللاتينية أو السنسكريتية، ولكن دورها محدود أو محدود جداً، لا يكاد يتجاوز العمــل الأكاديمي إلى المجتمع المعاصر. إن للتعليــم دوراً كبيراً في بناء المجتمع وفي واقع اللغة ومستقبلهــا، ولكنــه ليس العامل الوحيــد المؤثر في الواقع اللغوي.

٣ – أثبتــت خبرات التخطيــط اللغوي في عدة دول أنــه لا يمكن العمل بدون تصور واضح للجمهور المستهــدف. وعلى سبيل المثــال لا يمكن عمل خطة لغويــة لا تتضمن تصوّراً واضحــاً وبرنامجاً تنفيذياً للملايين من خلال محو الأمية عند الكبار ولاستيعاب الأطفال جميعاً في المؤسسات التعليمية عدة سنوات. وانتشار اللغة الروسية في آسيا الوسطى اقترن بجهود استيعاب الأطفال في المدارس ومن جانب آخر، وعلى سبيل المثال أيضــاً كان انتشار اللغة الإنجليزية عند ملايين الوافديــن المهاجريــن إلى الولايات المتحدة الأمريكيــة مرتبطــاً في جانب منه بالتعليــم باللغة الإنجليزيــة وبتعليم اللغة الإنجليزيــة لهم. وانتشار اللغة الفرنسية في أقاليم فرنسا التي كانت لها لغات محلية ارتبط في جانب منــه بالتعليم. وهذا لا ينفي أهمية الديــن والإدارة والأهميــة المتزايدة للإعلام في الواقــع المعاصــر. وفي كل الأحوال فــإن الرؤية الاجتماعيــة للجمهور المستهدف لها أهمية كبيرة في كل مراحل التنفيذ.

٤ – لا تقتصــر السياســة اللغويــة على الرؤية العامــة أو التشريعات، لأنها تتضمــن ثلاثة جوانب أساسية:

أ– تخطيط المكانة، والمقصود به تخطيط مكان اللغة واستخدامها في المجتمع والدولة. ويتضمن ذلك جعل اللغة رسميــة أو إحياء اللغة وصيانتها ونشرها والتعامل بها بــين أبناء الأعــراق المتعددة في داخل الدولة أو المنطقة اللغوية.

ب– تخطيــط الاكتساب، ويتنــاول مستخدمي اللغة، في مجــالات التعليم المدرسي والتأليف والدين والإعلام والعمل، وكذلك صقل المعرفة بها والتدريب علــى ذلك كله، لإحداث التحــول اللغوي، ومن ذلك محــو الأمية باللغــة المنشودة. ويكــون التنفيذ طبقاً لظروف كل دولة أو منطقة لغوية على أساس تحديد رسمي أو وظيفي لدور اللغة في المجتمع.

جـ– تخطيــط المدونة والمقصود بــه ما يتصل ببنية اللغة من حيث المفردات الجديدة والمصطلحات الجديــدة والــدلالات الجديــدة وكذلــك التراكيب

والأساليب وتوحيد الإملاء. وفي هذا مجال كبير للعمل، وعلى سبيل المثال تقنين ضوابط الإملاء له أهميته على مستوى المنطقة اللغوية كلها. فإن معجم دودن الإملائي للغة الألمانية كان موضوعاً لقرار رسمي من السلطة التشريعية في كل من ألمانيا والنمسا وأصبح ملزماً. ليس مجرد عمل قواعد، ولكنه معجم كامل يطبقها في كل المفردات وتصريفاتها.

٥ – هناك فرق بين مفهومين: الأول تعليم مادة اللغة في المدارس والثاني استخدام اللغة في التعليم. قد يكون تعليم مادة اللغة مجرد مادة دراسية من بين مواد أخرى كثيرة. وفي بعض النظم التعليمية على سبيل المثال تكون مادة اللغة العربية هي المادة الدراسية الوحيدة بهذه اللغة، لأن باقي المواد بلغة أخرى أو بلغات لتعليم المواد الأخرى مثل الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والعلوم الاجتماعية والعلوم الأساسية. وهذا أمر مألوف في دول العالم التي تهتم بلغاتها القومية. وهناك نظم تتخذ موقعاً وسطاً بأن تكون اللغة القومية أداة تعليم بعض المواد، وتكون المواد الأخرى بلغة ثانية أو أجنبية. لابد هنا من عدم الخلط بين النظر في تعليم مادة اللغة من جانب وبحث استخدام اللغة في التعليم من جانب آخر.

٦ – صدر عدد من التوصيات في اليونسكو منذ ١٩٥١ في إطار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨ بشأن استخدام اللغات في التعليم، وكان المقصود بها تلك اللغات الصغيرة التي قد توصف بأنها محدودة أو شعبية أو دارجة. الاتجاه العام في هذه التوصيات يحاول تحقيق أمرين، أولهما حق الفرد في تعلم لغته الأم وتنمية قدرته عن التعبير بها في إطار حقوق الإنسان، وثانيهما حاجة الفرد إلى اللغة الرسمية في الدولة وإلى لغة عالمية. وهذا التوازن مهم جداً في حالة عمل سياسة لغوية للتعليم في داخل الدولة، حرصاً على وحدة أراضيها وتكامل أبنائها في نسق واحد. وفي كل هذه المناطق توجد في الواقع ثنائية لغوية لدى الفرد وفي الحياة العامة والمجتمع. وفي حالات معروفة في أفريقيا وآسيا تحدث مبالغات في اتجاه ما بهدف إضعاف الدولة، ولكن الواقع اللغوي في داخل أكثر الدول الأوربية يعطي أمثلة مخالفة، وذلك في إطار حرص أبناء اللغات الأوربية الصغيرة على تعلم اللغة الرسمية للدولة والتعلم بها، من أجل الحراك الاجتماعي والوظيفي المنشود.

٧ – لا تكاد توجد في العالم المعاصر دولة واحدة ذات جماعة بشرية واحدة. وفي أكثر دول العالم نجد في داخل الدولة أكثر من لغة، ومنها ما يوصف بأنه لغة إثنية لجماعة محدودة أو لغة محلية أو لغة وطنية لجماعة صغيرة. وليست هناك اتجاهات مشتركة، فالموقف يتحدد طبقاً لمعايير متعددة، أهمها الرغبة في التعليم الحديث بهدف الحراك الاجتماعي والوظيفي نحو المشاركة في الحياة المعاصرة، ومن هنا أهمية المعرفة الجيدة باللغة الرسمية في الدولة وبلغة عالمية حديثة. ولهذا عدة أمثلة عملية بعيدة عن التسييس. رفضت الجماعة اللغوية الفنلندية في السويد أن يكون تعليم أبنائها بالفنلندية وتمسكوا حرصاً على الحراك الاجتماعي والوظيفي أن يتعلم أبناؤهم بالسويدية. وحتى اليوم يوجد في كل جمهوريات آسيا الوسطى من يفضلون تعليم أبنائهم بالروسية في مدارس الدولة أو بالإنجليزية في مدارس خاصة. وهذا لا ينفي التوجه العام إلى قدر من المعرفة باللغة المحلية، وخصوصاً في سنوات التعليم الأولى.

٨ – الإفادة من الخبرات المعاصرة في تعليم اللغات القومية أو اللغات الأخرى أمر مهم. وليس من المفيد الاستمرار في القول بأن اللغة العربية لا تخضع لنواميس اللغات وأنها أصعب اللغات، وفي الشكوى الدائمة منها، ومثل هذا يؤدي إحداث فجوة بين اللغة والمجتمع وإلى نوع من الإحباط والعزوف عنها. وهذا ما لا يفعله الصينيون مثلاً الذين نشطوا

في داخل بلادهم وفي خارجها لتعليم اللغة الصينية. الخبرات المعاصرة في تعليـم اللغات تتضمن جوانب كثـيرة لا تقتصر على السياســة اللغوية في الدولة أو المنطقة اللغوية، أو على السياسة اللغوية في التعليم، بل تتضمن أيضـاً الثقافة اللغوية بمعنى تكوين رأي عام بأهمية اللغــة وبإمكان إتقانها وباتخاذ الوسائل التعليمية والثقافيــة والإعلامية والتدريبية لتحقيق هذا كله بشكل جاد.

ثانياً: الواقع المعاصر:

١ – يضم العــالم المعاصر عدة آلاف من اللغات تتفاوت في التقديرات المختلفة بين ألفي لغة وخمسة آلاف لغــة طبقاً للرؤية اللغويــة أو السياسية: وعلى سبيل المثــال بعض النظم اللغويــة تعد في دولها في آسيا الوسطى لغات وطنية مثل القازاقية والقرغيزية والأزبكيــة ولكنهــا تذكـر في دراسات أخـرى بأنها لهجات. من المفيــد أن نصف الواقع المعاصر بهدف التقريب باستخدام ثلاثة مصطلحات أساسية: اللغات العالمية، واللغات الوطنية، واللغات المحلية.

٢ – اللغات العالمية الكبرى تحددها مجموعة من المعايير، في مقدمتها عدد أبناء اللغة وعدد مستخدميها بوصفهــا لغة ثانية وحجم استخدامها في المطبوعات الجديــدة والمترجمة في المجــالات العلمية والثقافية وفي الإعــلام وفي التعامل الــدولي وفي التجارة وفي المنظمات الدولية العالميــة والإقليمية. وكلها معايير تتصل باستخدام اللغة وليســت منها الزعم أن هذه صعبة أو سهلة أو جميلــة أو رشيقة أو غير ذلك من الأوصاف. وبتطبيق مجموع هذه المعايير تكون اللغات الإنجليزية والصينية والأسبانية والروسية والألمانية والعربية والفرنسية أهم اللغات العالمية المعاصرة. أما إذا نظرنــا إلى القوة الاقتصادية وحدها أو إلى عدد المتحدثــين باللغة دون النظر في المعايير الأخرى فإنا نضيف أيضاً اليابانية والاندونيسية والبرتغالية.

٣– أكثر اللغات العالميــة المعاصرة زادت أهميتها في إطــار حركة المد الاستعمــاري الأوروبي من جانب والهجــرات إلى العالم الجديد من الجانب الآخر. ولكن تكــوّن الدول القومية الأوروبيــة أدى إلى استقرار عدة لغات. اللغة الألمانية أكـثر اللغات استخداماً في وسط أوربا، وكان تكــوّن القيصرية الروسية ثم قيام الاتحاد السوفيتي من عوامل دخول اللغة الروسية إلى كل مناطق آسيا الوسطى. وهــذه اللغات لها أهميتها الإقليمية أو العالمية ولها مكانتها في منظمات دولية متعددة.

٤ – إن اللغــات الوطنية في العــالم المعاصر لها أهميتهــا في إطار ما يسمى بالــدول القومية، وقليل منها كان واضح الملامح قبل القرن التاسع عشر، لها تاريخها القــديم والوسيط، ولكن أوضاعها الجديدة تكونت في تتابع زمني سريع نسبياً وفي ظروف مختلفة في القرنــين التاسع عشر والعشرين. توجد في القارة الأوربية لغات يمكن وصفها في ضوء مكانتها في دولها بأنهــا لغات وطنية، وأكثرهــا لغات رسمية في الدول كلها. وعلى المستوى الأوربي أكبر اللغات من حيث عدد أبنائهــا والمتعاملين بها خمس لغات، وهي: الروسية، والألمانية، والإنجليزية، والإيطالية، والفرنسية. وبعد ذلك نجد نحو ثلاثين لغة وطنية لها دورها في داخل دولهــا، منها: الأكرانيــة ، والبولنديــة، والهولندية، والرومانية، والصربية الكرواتية، والمجرية، والتشيكية، واليونانيــة، والسويدية، والبلغاريــة، ولغة بيلاروس، والدانيــة، والسلوفاكيــة، والفنلنديــة، والنرويجية والألبانيــة، والمولدافيــة، والليتوانيــة والسلوفينية، واللتية، والإستونية. وهذه اللغات الوطنية لها مكانتها الرسميــة في دولها، وهي لغات عــدد المتحدثين بها متوسط أو قليل نسبياً، أكبرها الأكرانية بنحو أربعين مليوناً في أكرانيا وروسيا، وأصغرها الاستونية بنحو مليون واحد. أمــا اللغات الأوربية الوطنية التي يقل عدد المتحدثين منها عــن مليون واحد فعددها نحو أربعين لغة من بين مجموع عدد اللغات الأوربية التي تتناولهــا الإحصائيات المعاصرة، وهــي سبع وستون

لغة، ولذلك تناقش منظمة الأمن والتعاون الأوربي مشكلة الأقليات اللغوية والدينية وأصدرت في هذا الموضوع عدداً من التوصيات.

أما في قارة آسيا –بعد الصينية– فأكبر اللغات فيها هي الإندونيسية وقريب منها الماليزية، وبعدها نجد الهندية الأردية واليابانية والكورية والتركية والفارسية ولغات آسيا الوسطى ولغات أخرى. وتظهر مشكلة اللغات الوطنية المحلية في عدد كبير من الدول، منها اندونيسيا والهند وباكستان وإيران ودول آسيا الوسطى والاتحاد الروسي. إنها مئات اللغات الوطنية المحلية التي يكاد يقتصر استخدامها على أبنائها في بلادهم.

وعلى المستوى الإفريقي نجد –إلى جانب اللغة العربية– لغتين كبيرتين نسبيا، هما السواحلية في شرقي أفريقيا والهوسا في غربي أفريقيا، وعدداً محدوداً من اللغات الوطنية المهمة مثل اليوروبا والزولو والسانجو والصومالية والأمهرية، وعدداً كبيراً جداً من اللغات الوطنية المحلية. ومن هنا تظهر قضية التعدد اللغوي من جانب، ومشكلات اللغات المحلية والأقليات من جانب آخر.

يضم العالم المعاصر عدداً كبيراً جداً من اللغات الصغيرة في إطار دولها ولا تتجاوز أهميتها الجماعة اللغوية المحدودة جداً. توجد هذه اللغات الصغيرة في كل القارات. وعلى سبيل المثال في القارة الأوربية هناك لغات صغيرة جداً يتحدث بكل منها عدد يقل عن مليون واحد، وأكثر اللغات الأفريقية من اللغات الصغيرة، ومثلاً لغات القوقاز ولغات الهنود الحمر. وكل هذه اللغات الصغيرة تتعرض في الواقع المعاصر لمشكلات كثيرة، بل هي عرضة لمخاطر متعددة.

ثالثاً: الاتجاهات المعاصرة:

هناك عدد من الاتجاهات المعاصرة في الواقع العالمي المعاصر، تؤثر بدرجات متفاوتة في المناطق اللغوية الكبرى، ولكنها تؤثر مجتمعة في تشكيل ملامح التغيرات المعاصرة في واقع اللغات وتعليمها في داخل كل دولة وعلى مستوى العالم.

١ - الاتجاهات العامة:

أ- زيادة نسبة التعليم في داخل الدول الوطنية.
لقد تضاعف عدد المدارس في النصف الثاني من القرن العشرين عدة مرات، وأصبح عدد التلاميذ بالملايين بدلاً من الآلاف في عدد كبير من الدول. وبعد استقلال دول كثيرة في أفريقيا وآسيا لم يعد التعليم الحديث مقصوراً على مدارس معدودة داخل الدولة، بل أصبح مطلباً عاماً. وكانت سياسة الاتحاد السوفيتي في نشر التعليم واضحة، وأدت عبر عدة أجيال إلى نشر اللغة الروسية في كل أنحاء آسيا الوسطى. هذه الزيادة الكبيرة هنا وهناك تطلبت كتباً لتعليم اللغة الوطنية واللغات الأجنبية وإعداداً للمدرسين وتدريباً لهم.

ب- استمر الاهتمام باللغات الكبرى في داخل أوطانها. وهذا واضح في فرنسا وألمانيا وبريطانيا وروسيا والصين ودول أخرى. وتكوّن وعي تزايد بأهمية إتقان الأداء باللغة الوطنية منطوقة ومكتوبة. الأداء المنطوق الجيد والمتقن من أسس العمل في الإذاعة والتليفزيون والسينما وفي التفاعل الصفي وفي البرلمان وفي الحوار الراقي. والأداء المكتوب والدقيق من مقومات العمل في مستندات الإدارة وأحكام القضاء والصحافة والأدب والكتب العلمية والثقافية وفي الترجمة. وهذا الاهتمام ليس مجرد قرار، بل يتطلب التنفيذ كثيراً من الإجراءات للتدريب والتنفيذ والمتابعة.

ج- بدأ الاهتمام بتعليم اللغة في الخارج في زمن الاستعمار، أصبحت لغة السلطة المستعمرة هي اللغة التي تعلم الإنجليزية في الهند، تضمنت

عمل دراسات وتأليف كتب ومعاجم وإعداد معلمين. ونفذت في القارة الإفريقية خطط مماثلة للغات المستعمرين. وبعد استقلال هذه البلدان نشطت مؤسسات كثيرة جداً تعمل انطلاقاً من مراكزها في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها، للمحافظة على استمرار هذه اللغة أو تلك في الدول الناشئة. وتكونت مؤسسات مماثلة في ألمانيا وروسيا وأسبانيا لتعليم لغاتها في الخارج.

د- زادت العلاقات اللغوية والتأثيرات اللغوية عبر الحدود الوطنية. وهذه الظاهرة واضحة على المستوى الأوربي، ولذلك نفذت برامج كثيرة بين ألمانيا وفرنسا على سبيل المثال، وبرامج لتبادل الطلاب الجامعيين بين الجامعات الأوربية. وأصبح عدد من الطلاب الأمريكيين يدرسون لمدد محدودة في الجامعات والمعاهد الأوربية، بهدف تعلم اللغة وإتقانها. وبدأت برامج مماثلة مع الدول العربية، نفذت في الجامعات الأمريكية أو في جامعات بعض الدول العربية.

هـ- زادت مكانة اللغة الإنجليزية بوصفها لغة ثانية أو لغة أجنبية في العالم كله. هذا التحوّل حدث بمضي الوقت بسبب أهميتها في العلم والتقنيات والتجارة والطيران والتعامل عبر الحدود والتعاون الدولي. وبذلك دخلت اللغة الإنجليزية إلى أقاليم متعددة، منها دول شمالي أوربا وكوريا الجنوبية واليابان. وبدأ تعليم اللغة الإنجليزية في دول كانت -من قبل- تعلم لغة أوربية أخرى لسبب أو الآخر. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي زاد الإقبال على تعليم اللغة الإنجليزية في المدارس والجامعات، وأصبح الالتحاق بالدراسات العليا في جامعات كازاخستان على سبيل المثال مشروطاً بالنجاح في امتحان اللغة الإنجليزية، ومثل هذا في مصر ودول أخرى.

و- استقرت اللغة الإنجليزية بوصفها لغة ثانية قوية في عدد كبير من البلدان. كان عدد أبناء اللغة الإنجليزية سنة ١٩٨٣ في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا ونيوزيلندا ٢٦٦ مليوناً والمتعاملين بها بوصفها لغة ثانية ١١٥ مليوناً. ومنذ ذلك التاريخ زاد العدد الأول، ولكن العدد الثاني تضاعف عدة مرات، وهذا واضح في دول كبيرة العدد، منها الهند وباكستان وبنغلاديش ونيجيريا وتنزانيا.

ز- زاد عدد التلاميذ الذين يتعلمون اللغة العربية في المدارس في خارج الدول العربية، وهذه الزيادة كبيرة جداً في بعض الدول الإسلامية بغض النظر عن تنوع نظمها السياسية، ومنها ماليزيا وأندونيسيا وتركيا ودول آسيا الوسطى وعدد كبير من الدول الأفريقية. وكان لمصر على وجه الخصوص ولدول عربية أخرى ولمنظمتي الألكسو والإيسيكو دور حاسم في دعم هذه الاتجاه. وقد لا يتصور بعض المثقفين العرب أن أكثر من مليون تلميذ وطالب ممن يتعلمون اللغة العربية في مدارس بلادهم خارج الدول العربية.

ح- استمرت الأهمية الإقليمية في التعليم لعدد محدود من اللغات الكبرى، إن اللغة الفرنسية مهمة في مستعمراتها السابقة، وكذلك اللغة الروسية في بلدان الاتحاد السوفيتي السابق. وفي هذا السياق نجد عدة لغات لها أهمية إقليمية: الأسبانية أو البرتغالية في أمريكا الوسطى والجنوبية، والروسية في روسيا وآسيا الوسطى، والفرنسية في غربي أفريقيا، والإنجليزية في شرقي أفريقيا وجنوبي أفريقيا. ومن هنا أهمية هذه اللغة أو تلك في التعليم في ذلك الإقليم.

ط- محو الأمية جزء مهم من التنمية اللغوية، الأمية تشكل حاجزاً لغوياً أو بعداً لغوياً عن الرافد العام. محو الأمية الأبجدية يعني تعليم القراءة والكتابة بالنظام الذي تدوّن به اللغة، وكانت الأمية بنسبة عالية في بلدان كثيرة منها الصين والهند.

وقد اتضح أن من المشكلات الكبرى في محو الأمية وجود الازدواج اللغوي في المجتمع أو التعدد اللغوي. وبذلك يصبح على الخطة الهادفة إلى محو الأمية أن تتخذ قراراً بشأن المستوى اللغوي أو اللغة المراد محو الأمية بها. وفي أكثر الحالات يرتبط محو الأمية أيضاً بتحديد المستوى اللغوي المنشود.

٢ - التحولات الإقليمية:

أ- اللغة الروسية أكبر اللغات المستخدمة في القارة الأوربية وآسيا الوسطى وسيبريا، عدد المتحدثين بها (٢٠٠٩) نحو ٢٥٠ مليوناً، منهم نحو ١٣٠ مليوناً من الروس في روسيا الاتحادية وجمهوريات أخرى كثيرة كانت في إطار الاتحاد السوفيتي، وهي اللغة الأم بالنسبة لهم. أما الباقون فهم من أبناء لغات قومية ومحلية أخرى ولكنهم يستخدمون اللغة الروسية بوصفها اللغة الثانية في بلادهم، وذلك إلى جانب استخدامها في روسيا البيضاء وأكرانيا، ولكل منهما لغة قومية قريبة كل القرب من الروسية.

إن أهم التغيرات في سياق العولمة أن الاتجاه القديم لانتشار اللغة الروسية قد توقف، وكان انتشارها قد اقترن بامتداد القيصرية الروسية في القوقاز وآسيا الوسطى وسيبريا على مدى القرون منذ القرن الخامس عشر الميلادي. وزاد استخدام اللغة الروسية في القرن العشرين زيادة واضحة. وأصبحت لغة التعامل بين كل هذه الشعوب وكذلك في بلاد البلطيق. كانت اللغات الوطنية قد وضعت من الناحية القانونية على قدم المساواة مع اللغة الروسية، ولكن السيادة في الواقع اللغوي كانت للغة الروسية في التعامل وفي التعليم وفي العلم وفي الإدارة في كل أنحاء الاتحاد السوفيتي وامتداداته في البلقان، وبدرجة أقل في دول أوربا الشرقية.

التحولات المعاصرة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي أهمها استمرار اللغة الروسية في كثير من هذه المناطق والمجالات مع زيادة مكانة اللغات الوطنية، فتكوّن موقف جديد إلى حد ما سمته العامة الازدواج اللغوي في كل هذه المناطق، وبدرجات متفاوتة من منطقة لأخرى. وفي الوقت نفسه زاد الإقبال على تعلم اللغة الإنجليزية بشكل خاص في المستويات التعليمية المختلفة وقلّ تعلم اللغات الأوربية الأخرى ومنها الألمانية والفرنسية. أما في الحياة الاقتصادية، والبحث العلمي فقد أصبح الطلب عالياً على الإنجليزية، وأصبح النجاح في امتحان القبول للدراسات العليا في جامعات دول كثيرة يتضمن مادة اللغة الإنجليزية لطلاب كل التخصصات، وبدأ المتخصصون في لغات أخرى يقلقون من المستقبل المهني. وعلى سبيل المثال تليفزيون كاسبيونت في قازاقستان يرسل بالروسية والإنجليزية والقازاقية، ولا يرسل مثلاً باللغة الألمانية على الرغم من الإحصائيات السكانية كانت تجعل الألمان إحدى القوميات المتوسطة في داخل الدولة. وفي الوقت نفسه فإن روسيا المعاصرة تحاول من خلال التعاون في كل المجالات وتقديم المنح الدراسية لأبناء تلك البلاد أن تحافظ على الموقع المتميز للغة الروسية.

ب- اللغة الألمانية أكثر اللغات استخداماً في القارة الأوربية، غير أن المتحدثين بها من غير أبنائها يقل عددهم تدريجياً. هي اللغة الأم في جمهورية ألمانيا الاتحادية والنمسا ونسبة عالية من أبناء سويسرا، ومجموعهم أكثر من تسعين مليوناً، وهناك جماعات محدودة من أبناء الألمانية يعيشون في مناطق من بلجيكا والدانمرك وفرنسا وإيطاليا والمجر وبولندا ورومانيا. أما استخدام اللغة الألمانية بوصفها اللغة الثانية فيتعرض منذ الحرب العالمية الثانية لمشكلات، وخصوصاً في هولندا والسويد والدانمرك والنرويج وفنلندا. وهذه المناطق كانت منذ مائة عام تستخدم الألمانية بشكل واسع في العلم والتعليم.

التحـــولات اللغوية في سيـــاق العولمة امتداد لما حدث في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية. لقد استمرت مكانة اللغة الألمانية قوية في البلدان الناطقة بهـــا بوصفها لغة الحيـــاة والعلم والتعليـــم والثقافة والاقتصاد والفنـــون، تدعم ذلك كله تشريعات لغوية ومؤسسات كثـــيرة للبحث اللغـــوي والتعليم والإنتاج اللغوي. ولكن التغير الكبـــير على مستوى التعليم في ألمانيـــا كان في تناقص الاهتمـــام باللغتين اليونانية واللاتينيـــة في المدارس وزيادة الاهتمام في مكانيهما تدريجياً باللغات الحديثة. لم يحدث هذا التحوّل مرة واحدة، بل حدث اختياريـــاً وتدريجياً، انكمش تعليم اليونانية وقل تعليم اللاتينية، وزاد تعليم الإنجليزية بشـــكل جاد وأخذت لغـــات أوربية حديثـــة مواقعها في التعليم قبل الجامعـــي. وفي هذا السياق الجديد تقدمت اللغـــة الإنجليزية لأسباب اقتصادية وعلمية وثقافية واجتماعية. وكان للتعاون الأوربي في أشكاله المتعاقبـــة وآخرهـــا الاتحـــاد الأوربـــي دور في جعل الإنجليزية تدخل القارة الأوربية لتكون إحدى اللغات المهمة في الاتحاد الأوربي.

أما في السنوات العشرين الماضية فقد اتضحت ملامح محددة للواقع اللغوي في المنطقة الألمانية. اللغة الألمانية لها مكانتها في كل المجالات والإنتاج الفكري يتخذ مكان القمة بين دول العالم والتشريعات اللغوية والفكر اللغوي يحمي وجودهـــا وينظم استخدامها. ويتعلمهـــا أيضـــاً نحو ثلاثـــة ملايين مـــن عائلات الوافديـــن غير الألمان. وفي الوقت نفسه زادت مكانة اللغـــة الإنجليزية في التعليم قبـــل الجامعي، وأصبح ملايين التلاميذ والطـــلاب يتقنونها، ودخل العلماء إليها بقراءة موسعة ومعمقـــة للبحوث المنشورة بها، وأخذ كثير منهم ينشر بحوثـــه بها، وزاد استخدامها في المؤتمـــرات والإعلام. أما اللغة الفرنسية واللغات الأوربيـــة الكبرى فلهـــا مواقع في التعليـــم والثقافة والتعاون الأوربـــي. ولكن اللاتينية واليونانية اتخذتا موقعاً أكاديمياً مع التمهيد لذلك في بعض المدارس.

وفي إطار البحث فـــإن أكثر لغات العالم لها وجود في أقسام جامعيـــة متخصصة، وهذا جـــزء من العمل العلمي وليس من السياسة اللغوية الداخلية.

جـ- اللغة الفرنسية لغة أوربيـــة عالمية، ترجع أهميتهـــا إلى استخدامها في عـــدة قارات. هي اللغة الأم عند نحو ستين مليوناً في فرنسا وفي مناطق من بلجيكا وسويسرا، ثم في موناكو وفي منطقة ذات حكم ذاتي في إيطاليا، والفرنسية هي لغة إقليم كوبيك في كنـــدا، وفي كل هذه الدول أشكال من الثنائية اللغوية أو التعدد اللغوي تختلـــف ملامحها باختلاف الدول وتلك المناطق. ولكن مكانة اللغة الفرنسية ترجع إلى استخدامهـــا في التعليـــم والإدارة في عدد من الدول الأفريقيـــة، وبصفة خاصـــة في دول المغرب وغربي أفريقيا، ثـــم في شرقي أفريقيا جيبوتي وجزر القمر ومدغشقر. وللفرنسية وجود ثقافي وتعليمي في مصر ولبنان وسوريا في عدد من المدارس والجامعات. كانت الفرنسيـــة لغة الثقافة الرفيعة والبلاط في أوربا من القـــرن السادس عشر، ثم أخذت الإنجليزية تنافسها منـــذ النصف الثاني من القـــرن التاسع عشر في تلك المجـــالات. اللغـــة الفرنسية لغة مهمـــة في الاتحاد الأوربي، وفي الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

التحـــولات اللغويـــة في مكانة اللغـــة الفرنسية استمـــرار لما حـــدث بالتدريج بعد الحـــرب العالمية الثانيـــة. استقلت المستعمـــرات الفرنسيـــة واستمر وجـــود اللغة الفرنسية في أكثرها في التعليم والإدارة، وتكونـــت اتجاهات التعاون الأوربـــي ثم قام الاتحاد الأوربـــي. وفي كل هذه المجالات كان للفرنسية وجود قوي، ولكن الإنجليزية منافس قوي. وفي هذا السياق وفي محاولة دعم وجود اللغة الفرنسية في بلادها وفي خارج بلادها قامت مؤسســـات كثيرة للبحث اللغوي التطبيقي، ودعمت فرنسا وجود اللغة الفرنسية وفي جامعات اللغـــة الفرنسية. وتكونت رابطة للجامعات الفرنسيـــة كليـــاً أو جزئيـــاً، ودعمت حركـــة النشر

وتصدير الكتاب والدوريات والصحف بالفرنسية وكذلك حركة الترجمة إليها. وكانت القوة الاقتصادية الداخلية موازية للجهود اللغوية والثقافية. ودخل الوافدون إلى فرنسا بقوة في سياق اللغة الفرنسية، وأصبحت اللغة الأم للجيل الجديد منهم. إنّ مكانتها قوية في بلادها في أوربا عند أبنائها وكذلك في مناطق الأقليات اللغوية في فرنسا وعند الوافدين وفي المنظمات الأوربية والعالمية. ولكن المشكلة الكبرى التي تواجه اللغة الفرنسية في سياق العولمة تكمن في تلك المنافسة على الصعيد العالمي من اللغة الإنجليزية. وهذا واضح في إقليم كوبيك، وفي دخول الإنجليزية مناهج التعليم في دول كثيرة كانت من قبل مقصورة على الفرنسية، وكذلك في التعليم والثقافة والإعلام والعلاقات الدولية. وشغل السياسيون بهذه المشكلة، فقامت مؤسسات ومشروعات وخطط بهدف الحفاظ على مكانة اللغة الفرنسية.

د- اللغة الأسبانية لغة أوربية الأصل وذات امتداد أمريكي قوي. عدد أبناء اللغة الأسبانية في أسبانيا ودول أمريكا الوسطى واللاتينية والأنتيل والفيليبن نحو مائتين وخمسين مليوناً. أهميتها كبيرة في أوربا وأمريكا وفي المنظمات الدولية، وبها إنتاج فكري كبير إلى جانب حركة ترجمة قوية من اللغات المختلفة اليها. التحولات اللغوية المهمة في التاريخ الاجتماعي للغة الأسبانية كانت دخولها مع الهجرات إلى أمريكا اللاتينية والوسطى، تمَّ ذلك التحول اللغوي والسكاني بعد معاهدة ١٨٤٨ وفيها تنازلت مكسيكو عن مناطق واسعة قامت فيها أربع ولايات أمريكية وتوسعت ولايات أخرى. وبذلك بدأ التحول من الأسبانية إلى الإنجليزية في هذه المناطق، كان دستور كاليفورنيا سنة ١٨٤٩ ينص على أن كل القوانين والمراسيم واللوائح والنظم تنشر بالإنجليزية والأسبانية. لم تكن لأسبانيا مستعمرات كبيرة في أفريقيا وآسيا، باستثناء محاولتها الامتداد في بلاد المغرب الأقصى، ولهذا لم تحدث سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية تحوّلاً واضحاً في وقف انتشار اللغة الأسبانية. إن أهم التحولات في سياق العقود الماضية كانت دخول اللغة الإنجليزية في مناهج التعليم في الدول الناطقة بالأسبانية من جانب، والاهتمام المؤسسي الرسمي باللغة الأسبانية في الخارج بتأسيس معهد سرفانتيس (١٩٩١) للنهوض باللغة الأسبانية ونشرها في الخارج من خلال أربعين فرعا في العالم.

وفي سياق اللغة الأسبانية لابد من ذكر شقيقتها البرتغالية القريبة منها إلى حد بعيد، وهي لغة البرتغال بعشرة ملايين والبرازيل بمائة مليون، وهي اللغة الثانية لعدد من أبناء المستعمرات السابقة في أنجولا وغينيا بيساو موزمبيق وجزر الرأس الأخضر، وكان عددهم يقدر باثني عشر مليوناً، ولكن مكانة البرتغالية تتناقص في إطار الاستقلال وتيارات العولمة.

هـ- هناك مناطق أخرى من العالم عرفت سياسة لغوية معلنة على المستوى العام وفي سياق التعليم، ويتضح ذلك في حالات كثيرة، في مقدمتها الصين. إن الإصلاح اللغوي في الصين قام في المقام الأول التعليم في إطار سياسة لغوية عامة. في عام ١٩٤٩ كانت نسبة التعليم محدودة جداً، ونسبة الأمية ٨٠٪ من مجموع السكان، وفي إطار خطة التعليم النظامي من جانب ومحو الأمية من الجانب الآخر تمَّ التغلب على هذه المشكلة وعلى سبيل المثال في سنة ١٩٨٢ كانت نسبة الأمية وشبه الأمية في الصين ٢٥٪، وقلت بعد ذلك بشكل واضح. لقد احتفظ الإصلاح اللغوي بنظام الكتابة الصينية ولم يعدلوا عنه، ولكنهم بسطوا تعليم النظام واختاروا ألفي رمز فقط للتعلم في أربعمائة حصة للكبار. واهتموا بتعليم الصينية لأبناء الأقليات اللغوية في داخل الصين، وهم نحو ٥٪ على الأقل. وفي هذا كله، كان الأداء المنطقي المنشود بطريقة الماندارين، أي اللغة الصينية الماندارينية. أما التغير الموازي في تايوان وهونج كونج اللتين يغلب

عليهما الطابع البشري الصيني وفي سنغافورة ذات النسبة الصينية العالية فهو تحوّل في اتجاه الاهتمام الكبير جداً باللغة الإنجليزية لأغراض تجارية وعلمية وسياحية وللتعامل الدولي.

و- السياسة اللغوية في أندونيسيا تنفذ بالتعاون مع ماليزيا وتقوم على تجاوز التعدد اللغوي الكبير في جزر أندونيسيا، والمحافظة في الوقت نفسه على الوحدة اللغوية النسبية مع ماليزيا في إطار رؤية مستقبلية. لا تقوم تلك الوحدة اللغوية النسبية على التراث المشترك فقط، بل للحاضر والمستقبل. الاهتمام بالتعليم في إطار السياسة اللغوية لكلتا الدولتين معلن في تشكيل المجلس اللغوي الأعلى برئاسة وزيري التعليم في الدولتين، هناك لجنة عليا للغة في كل دولة منهما، ولجنة دائمة للمصطلحات وأمانة لأعمال التنمية اللغوية في كل دولة، وبرامج لغوية مشتركة تركز على تخطيط المكانة أي تخطيط لمكانة اللغة في الدولة والمجتمع وعلى تخطيط المدونة وتعنى بالإملاء الموحد والمصطلحات والمعاجم والنحو. إن أهم القضايا اللغوية في التعليم في الدولتين: تنمية هذه اللغة لتكون لغة تعامل وطنية ورسمية في الإدارة والقضاء والصناعة والتجارة على أساس أن اللغة الرسمية جزء من حركة تقرير المصير، وتطلب تحقيق ذلك إنشاء مؤسسة مختصة بالتنمية اللغوية وإعداد المصطلحات العلمية (٣٢٠ألف حتى ١٩٧٥) وترجمة كتب تعليمية حديثة واستخدامها في التعليم ووضع أسس تنمية المفردات وتقنين الإملاء، ومراعاة ظروف من لهم لغات محلية أخرى ومحو الأمية بالحرف الجديد المقنن ووضع نحو مُوَحّد للغة وتنويع تعليم اللغات الأوربية في المدارس والجامعات.

ز- السياسة اللغوية في اليابان تقوم منذ القرن التاسع عشر على الاعتراف بالتفوق العلمي والتقني الغربي من جانب ومحاولة التفوق عليه بالوسائل نفسها من جانب آخر. وشعارهم: إذا لم تكن قادراً على ضربهم، فعليك أن تنضم إليهم. وقد اتخذت السياسة اللغوية في اليابان الأسس الآتية: التنمية المعجمية بكلمات وعبارات أوربية وتكوين مصطلحات علمية. لا توجد في اليابان فكرة إحلال لغة أوربية في التعليم محل اليابانية. تنفذ خطة التعليم الشامل لكل الأطفال باللغة اليابانية، مع تعليم اللغة الإنجليزية بشكل انتقائي، ومحاولة التقريب بين اللغة الكلاسيكية واللغة المنطوقة وإعداد معاجم حديثة للغة اليابانية وتقليل رموز الكتابة ومناقشة موضوعات اللغة في الإعلام وفي المطبوعات الشعبية وتكوين فكر لغوي مناهض للزعم بصعوبة اللغة اليابانية ودعم تعليم اللغة اليابانية في الخارج وتكوين متخصصين يابانيين في اللغات الأجنبية لدعم العلاقات وتنمية المكتبة اليابانية عن طريق الترجمة.

رابعاً: آفاق المستقبل:

١ - مرت اللغات الحديثة بظروف متعددة جعلت عدداً منها يتجاوز الاستخدام المحدود إلى العالمية وجعلت عدداً منها يستقر على المستوى الوطني ليكون لغات رسمية أو وطنية قوية. وتنوعت العوامل والتجارب والخبرات في تشكيل الواقع اللغوي في السياق السياسي والاجتماعي والثقافي والديني المتعدد والمتغير. ومن مجموع ذلك كله، اتضح أن عدة عوامل كانت حاسمة في وجود هذه اللغات وانتشارها ودعم مكانتها، وفي مقدمة هذه العوامل:

أ- تدوين اللغة، إذا لم تكون قد دونت من قبل على نحو منظم، وتقنين نظام التدوين وتبسيطه والتعليم بهذه اللغة، ومحو الأمية بنظام الكتابة.

ب- طباعة الكتب بهذه اللغة وانتشار الكتاب المطبوع وتوسيع قاعدة القراء.

جـ- بناء نظام إداري قوي يستوعب كل أنحاء الدولة، وبه عدد كبير من الموظفين يستخدمون تلك اللغة بشكل مناسب.

د- استخدام اللغة في صورتها الموحدة في مجالات كثيرة، منها أداء الشعائر الدينية.

هـ- استخدام اللغة في التعليم العام وفي التعليم الجامعي بوصفها لغة التعليم.

و- ظهور الإعلام المطبوع، ثم السينما، ثم الإذاعة والتليفزيون، والعناية في كل وسائل الإعلام بالأداء اللغوي.

ز- الاهتمام بأبناء اللغة في خارج إقليم الدولة، ومحاولة الاتفاق مع دول إقامتهم على حقوقهم في تعلم اللغة الأم.

ح- الاهتمام بنشر اللغة في الخارج -أي تعليم اللغة لأبناء اللغات الأخرى- بوسائل شتى تنفذها مؤسسات تعليمية تابعة لجهات دينية أو لجهات حكومية أو لتنظيمات غير حكومية.

ط- إصدار المراجع اللغوية العامة وفي مقدمتها المعاجم العامة والمعاجم المصوّرة ومعاجم الأساليب والمعاجم الإملائية بهدف توحيد الأداء وتقنية.

ى- إنشاء المؤسسات المعنية بالبحث اللغوي بهدف تعرف الواقع والمشكلات اللغوية في المجتمع واقتراح الحلول لها.

ك- إصدار القوانين والتشريعات اللغوية لتنظيم التعامل اللغوي في مجالات محددة، مثل القضاء والإدارة المحلية والتعليم وشروط تعيين الموظفين وتثبيتهم.

ل- تنظيم الدورات اللغوية التدريبية وتقنين الاختبارات اللغوية اللازمة لأغراض شتى، منها دخول الجامعات والتعيين في الوظائف ومنها التدريس.

م- الاهتمام الخاص بالمناطق ذات اللغات بهدف تنمية المعرفة باللغة الرسمية في الدولة مع مراعاة خصوصية تلك المناطق.

ن- إيفاد مدرسين على حساب الدولة الراعية لنشر اللغة إلى البلاد الأخرى لدعم تعليمها، وكذلك إيفاد خبراء للتخطيط لها.

ح- الدعم بالكتب وتكوين مكتبات متنوعة لدعم الوجود الثقافي والعلمي للغة، وتقديم تسجيلات صوتية ومواد تعليمية من أنواع شتى.

ط- إتاحة سلاسل من المطبوعات بسعر زهيد لتلبية متطلبات الطلاب وغيرهم من القراء بالكتب الأساسية لدعم استمرار اللغة في المناطق الفقيرة.

ى- تقديم المنح الدراسية لجذب الطلاب النابهين من البلدان الأخرى إلى بلد اللغة لدعم صلتهم بها لغة وثقافة.

ك- التوعية بأهمية اللغة المنشودة على المستوى الوطني أو الإقليمي وعدم نشر معلومات ضدها، أو ضد أبناء لغة معينة.

ل- استيعاب كل أبناء المنطقة اللغوية في المؤسسات التعليمية حرصاً على تعلمهم القراءة والكتابة، ومحو أمية من كان قد تسرب منهم من التعليم أو لم يتح له التعليم.

م- الاهتمام بالأداء النطقي للنظام اللغوي بشكل موحد بقدر الإمكان ومتقن على نحو يحقق الاحترام، وعدم الاكتفاء بتعليم الكتابة.

ن- الحرص على الدقة في الأداء اللغوي بتأكيد أهمية المهارات اللغوية المتقدمة في التعليم وفي الاختبارات، وعدم التعامل مع اللغة الحية على أنها مجرد لغة للقراءة فقط دون باقي المهارات.

٢ - اهتمت المنظمات الدولية العالمية والتنظيمات الإقليمية والمؤسسات الأوربية بقضية السياسة اللغوية في التعليم، واتخذ ذلك عدة أشكال:

أ- عمل منظمة الأمم المتحدة واليونسكو محدود جداً في مجال اللغات بسبب العضوية الواسعة لدول

ذات لغات مختلفة. يقتصر الجهد على عدة دراسات عن تعــدد اللغات وعــن التعليم باللغــات الدارجة (١٩٥٣) وعــن محــو الأمية. وفي السنــوات الماضية صــدرت في مجــال اللغات عدة وثائــق دولية، منها: إعــلان الأمم المتحدة بشأن حقــوق الأفراد المنتمين إلى أقليات لغوية أو دينية أو إثنية أو وطنية (١٩٩٢)، وبشأن الحقوق اللغوية (١٩٩٦).

ب- المنظمــات الأوربية لها عمل أكبر في مجال السياسة اللغوية والتعليم، منها منظمة الأمن والتعاون الأوربي OSCE ولها قرارات حول حق المنتمين إلى أقليات لغوية في تعلم لغتهم الأم (كوبنهاجن ١٩٩٠) - إلى جانب تعلم اللغة الرسمية في الدولة- وأن يقيموا مؤسساتهم لذلك في إطار قوانين الدولة. أما اهتمام المجلســ الأوربي بقضايا اللغة فلــه أشكال مختلفة، منها عمل بحــوث تطبيقية في مجــال تعليم اللغات للكبــار، ومنه إصدار الميثاق الأوربي للغات الإقليمية ولغات الأقليات (١٩٩٨)، واتفاقية الإطار حول حماية الأقليات اللغويــة (١٩٩٨). ولكن المنظمات الأوربية تواجه في واقع عملها مشكلات التعدد اللغوي الكبير في القارة الأوربية بقرارات حول تحديد لغات العمل ولغات الوثائق وتنظيم استخدام المصطلحات.

جـ- المنظمــات الدولية علــى المستوى العربي وعلى مستــوى الدول الإسلامية لهــا دور أكبر، وفي مقدمتهــا المنظمة العربية للتربيــة والثقافة والعلوم (الكسو) والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيكــو). الاهتمام باللغة العربيــة كبير نسبياً في المنظمتين منــذ بداية نشاطهما، ولكــن الأمل أكبر. يتوزع الاهتمام بين الاستراتيجيــة الثقافية، وجهود إدارة التربية وإدارة الثقافة وجهود دعم تعليم العربية لأبنــاء اللغات الأخــرى وتدريب المدربــين وتدريب المعلمين والنشر للمواد التعليمية في هذا المجال.

٣ - إن السياسة اللغوية في التعليم على المستوى العربي مهمة من أجل تشكيل ملامح المستقبل:

أ- أهميــة وجــود سياسة لغويــة شاملة للدول العربية في مجال التعليم. وفي إطار الظروف الراهنة لهيمنة مشــكلات السياسة والصراعــات والأزمات المالية يبدو هذا المطلب صعب التحقق حالياً، ولكنه جدير بــأن نسعى إليه، وعلى وجــه الخصوص من خلال المؤسسات الرسمية المعنية باللغة على المستوى العربي. وهي على وجه التحديد اتحاد المجامع العربية والمنظمة العربية للتربيــة والثقافة والعلوم والمنظمة الإسلاميــة للتربية والعلوم والثقافــة. ومن المهم في هذه المرحلة أن تقوم تلك المؤسسات بتكليف من تراه لكــي يعد الدراسات الكثيرة المفصلة والمعمقة بهدف تعــرف أبعاد الواقع اللغوي الاجتماعي ورسم ملامح سياسة لغوية للوطن العربي في مجال التعليم.

ب- تأكيــد أهمية دور الفكــر اللغوي المعاصر في تكويــن رأي عام يدعــم السياسة اللغوية، وهو ما يسمــى في دراسات معاصرة بأيديولوجية اللغة. وقد سميت أيضــاً باسم الثقافة اللغويــة، والمقصود بها مجموع الأفكار الخاصــة باللغة في الواقع والمستقبل عند أبناء اللغة. وفي هــذا الصدد فإن تكوين الرأي العــام له أهميته في هذا المجــال، حتى يسود اقتناع عام بأهمية اللغة القوميــة في الحياة وأهمية الدقة في الأداء اللغــوي والحرص على استمــرار الوحدة اللغوية العربية والاهتمام باستمرار اللغة العربية في كل أقطارها لغة للمستقبل.

جــ- ضــرورة الاستيعاب الكامــل للأطفال في المدارســ رؤية اجتماعية مهمة للسياسة اللغوية التي هي في الدولة الحديثة قضية مجتمعية عامة وليست مقصــورة علــى الصفــوة. إن إهمــال قطاعات في المجتمع يحدث فجوة لغوية كبيرة. وقد نجحت بلدان كثيرة في العالم في محــو الأمية، وأصبح الحد الأدنى لنوعية الحياة أفضل بكثير من دول أخرى.

د- محو الأمية عند الكبــار موضوع مهم، ومن

الصعب عمل تنمية مهنية حقيقية أو اجتماعية شاملة إذا استمر وجود قطاعات عريضة من المجتمع في خارج التيار العام. كان من أهم ملامح التنمية في الصين نجاحها في محو الأمية، ومهد هذا النجاح للتقدم الكبير الذي حدث في الصين، وغيّر نوعية الحياة للفرد وجعل الصين قوة عالمية. أما على المستوى العربي فهناك نسبة عالية نسبياً من الأميين ولا توجد مشكلة في الخط العربي، كما لا توجد مشكلة في اختيار المادة اللغوية من ذلك القدر الكبير المشترك بين العربية ولهجاتها المعاصرة للتعبير عن موضوعات الحياة. الخطة الشاملة لمحو الأمية جزء مهم من السياسة اللغوية في التعليم.

هـ- التعليم الجاد للغة الوطنية فيه خبرات عالمية كثيرة. إنه تعليم يهتم باللغة منطوقة ومكتوبة، يعنى بكل المهارات اللغوية، ولا يقتصر على تعليم النحو النظري والتذوق الأدبي المحدود من خلال القراء والتكرار بهدف الحفظ. إن الشكوى حقيقية من الضعف في التعبير التحريري، ويتضح ذلك في العمل الإداري وغيره. والأداء الشفوي المناسب نادر في مجتمعاتنا، وكأن التعليم الطويل لم يكن هادفاً إلى الوصول إلى الأداء اللغوي العربي السليم، بل كان لأهداف أخرى وبمحتوى لا يخدم ذلك. ويتطلب هذا التوجه تدريباً قوياً للمدرسين، ولا تكفي الأوامر والتوجيهات.

و- تحديد موقع اللغات الأجنبية في نسق النظام التعليمي. لاشك في أهمية تعليم لغتنا العربية بوصفها اللغة القومية ولكل أغراض الحياة والثقافة. ومن المهم في الحياة المعاصرة تعليم اللغة الإنجليزية بالتحديد بشكل جاد، ومن الممكن طبقاً لظروف المجتمعات والدول إتاحة مكان للغات أخرى مثل الفرنسية والألمانية والأسبانية والروسية. ولكن خلط الأدوار بين اللغة القومية واللغات الأجنبية وتبادل المواقع يجعل التنمية اللغوية العربية في موقع غير واضح في خارج التيار التعليمي العام.

ز- الاهتمام الخاص بتعليم اللغة العربية في المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص في داخل الدول العربية من أهم القضايا المجتمعية. لا يجوز ترك تلك المناطق العزيزة على بلداننا كلها والتي لها لغات محلية دون اهتمام تعليمي خاص في إطار التنمية اللغوية للدول العربية. إن النظر إليها بعد أن تصبح مشكلة سياسية داخلية يكون محاولة متأخرة والحل يكون لغوياً وثقافياً وتنموياً.

ح- تعليم العربية في خارج الدول العربية واجب على الدول العربية بالتعاون مع دول العالم الإسلامي والدول الصديقة. إن الجهود في هذا المجال مشكورة ولكنها لا تكفي، ومقومات العمل فيها قصور شديد وتصوّرات سياسية ضيقة أو تصوّرات تجارية تهتم بالسلع المادية فقط، إن الانتشار الحالي للتعليم في الدول الإسلامية جعل العربية مطلباً للملايين وليس للمئات. وحركة الهجرة من بعض الدول العربية إلى أوربا وأمريكا جعل جيلاً جديداً من أصول عربية يعيش بشكل دائم هناك. أبناء العربية في أوربا أكثر من سبعة ملايين، وعددهم أكبر من أبناء لغات أوربية كثيرة، وتعليمهم الراقي في بلدانهم الجديدة مع تعلم اللغة العربية يحقق المكانة لنا ولهم.

ط- أهمية إعداد الكتب المرجعية اللغوية الأساسية التي تكون موضع احترام مجتمعي وتُعد وموثوقاً بها. ولهذا فإن مجمع اللغة العربية واتحاد المجامع اللغوية العربية من الجهات التي نأمل أن توجه إلى إنجاز هذه الأعمال، وأن تكلف بها وتراجعها وتدقق فيها وتشرف عليها، ومن هذه الأعمال:

أ- قواعد الإملاء والمعجم الإملائي العربي.

ب- الكتاب المرجعي لقواعد اللغة العربية للاستخدام المعاصر.

جـ- المعجم المدرسي، على أساس جديد، وذلك بوسائل منها الاهتمام بتطوير وتجديد ودائم للمعجم الوجيز مع كل طبعة جديدة.

د- معجــم اللغة العربية للاستخــدام المعاصر لجمهور المثقفين، وذلك بوسائل منها تطوير وتجديد دائم للمعجم الوسيط مع كل طبعة.

هـ- إعداد معجم اللغة العربية للأطفال.

و- إعــداد المعجم الموسوعي العربــي، للناشئة والطلاب.

ز- إعداد معجم المصطلحات العلمية الأساسية للتعليم العام.

ح- ربط تعليم اللغــة بالثقافة والعلم من أسس السياســة اللغوية الجــادة، وذلــك لأن اللغة ليست هدفــاً لذاته، بل هي الوسيلة الأولى وليست الوحيدة لاكتساب المعرفــة. ومن هنا لا يجوز أن يوضع تعليم اللغــة العربية لأهداف مادة تعليمية ضيقة، بل يكون منطلــق الثقافة بصفة عامــة والأدب والفكر بصفة خاصــة. وهناك تجــارب أوربية في ألمانيــا وفرنسا وبريطانيا لتقديم مئات الأعمال الأدبية والفكرية من الــتراث القومي والعالمي للتلاميــذ في طبعات كاملة أحياناً ومختارة غالباً مع الكتب المعاونة على فهمها. وكان لهذه الكتب أثر كبير في توسيع مدارك التلاميذ ودعــم الانتماء الثقافي الوطنــي وتكوين أساس قوي للثقافة الإنسانية.

ط- الرؤيــة المستقبلية مهمة في عمل السياسة اللغوية في مجال التعليم، لأنه يعد الأجيال للمستقبل وللمشاركــة في علــوم العصــر وحضارتــه. ومن ثم فإنــه من غــير المناسب أن يقتصر تعليــم اللغة على قضايا الماضي على الرغــم من أهميتها وضرورتها، ومن المهم وجود رؤية لقضايــا الحاضر والتخطيط للمستقبــل. التوجه المنشــود هنا يكــون إجابة عن تساؤل عن أهداف التكويــن اللغوي لتلبية متطلبات الحاضــر والمستقبل. ومن هنــا أهمية التعليم الجاد للمهارات اللغوية والتكويــن الثقافي المتوازن وإعداد الكتــب الوسائل التعليمية المتقدمــة الأخرى ووجود أعمال مرجعيــة حديثة والتنميــة الدائمة للمعاجم المدرسيــة وتدريب المعلمين بشكل جاد على هذا كله، مــع تكوين وعي بأهمية تعليــم اللغة الوطنية وجعل اللغــات الأجنبية في مواقعهــا الصحيحة في النظام التعليمي. إن السياسة اللغوية في التعليم ليست مجرد قــرار يتخذ بل هي رؤية شاملــة وأهداف مستقبلية وخطط تنفيذيــة ووسائل متقدمــة ومراحل زمنية وبنــاء المستقبــل جديد، بهــذا كله علــى الرغم من المشــكلات الآنيــة، وقديماً قالوا ومــا لا يدرك كله لا يترك جلُّه.

مراجع مختارة:

* *Omar, A., Languages de l'humanite, Paris 1995.*

* *OSCE Human Dimension Comments, Volume I, Warsaw 2005.*

* *Ricento, Th An Introduction to Language Policy, Theory and Method, Oxford 2006.*

* *Romaine, S. Language in Society, Oxford 1994.*

* *Schiffman, H. Linguistic culture and Language Policy, London and New yor 1996.*

* *UNESCO, The Use of Vernacular Languages in Education, Paris 1953.*

* *Burney, p. Les langues internationals, paris 1996*

* *Coleman, J.A Effective Learning & teaching in modern Languages, London and New york, 2005.*

* *Coulmas, F. Sprache und Staat. Studien zur Sprachplanung, Berlin. New york 11985.*

* *Haarmann, H. Soziologie und Politik der Sprachen Europas, München 1975.*

* *Mar- Molinero, C. Language Ideologies, policies and practices, Language and the future of Europe London 2006.*

واقع اللغة العربية اليوم

بقلم: الدكتور علي القاسمي

مدير إدارة الثقافة سابقاً في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الاسيسكو»



واقـــع ســـــيء

انطلاقاً من المبدأ اللساني القائل بعدم وجود لغات متقدِّمة وأخرى متخلِّفة في حدِّ ذاتها، وإنَّما يصيب التقدُّم والتخلُّف أهل اللغة الناطقين بها، ونظراً لأنَّ الأقطار العربية من أكثر بلدان العالم تخلفاً في الوقت الراهن، كما تشير تقارير التنمية البشرية[1]، فإن هذه الورقة تتناول أوجه التخلف في السياسات العربية الراهنة التي أدت إلى الإضرار باللغة إضراراً بالغاً، وهي كما يلي:

١) إنَّ الحكومات العربية لا تلتزم بالتعليم الإلزامي الذي تنصّ عليه دساتيرها وقوانينها. فطبقاً لإحصائيات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فإنَّ أكثر من مائة مليون عربي في عداد الأميين، أي أنَّ نسبة الأُميَّة في البلاد العربية تبلغ أكثر من ٣٥٪، وأن ٢٥٪ من الأطفال في سنِّ التمدرس، لا تتاح لهم فرصة الالتحاق بالمدارس[2]. وهكذا فإنَّ نسبة كبيرة من المواطنين لا يتمكنون من تنمية لغتهم العربية، ويشكّلون عقبة في طريق التنمية البشرية.

٢) إن النظم التربوية في البلاد العربية متخلِّفة وبعيدة عن الديمقراطية تماماً ولا تحقِّق المساواة في الفرص للمواطنين. فهناك تعليم خاص، أجنبي في معظمه، لأبناء النخبة، وتعليم حكومي سيءٌ لأبناء عامة الشعب. وجلّ المدارس الخاصّة لا تعلِّم باللغة العربية، وإنَّما بلغات الدول الأجنبية التابعة لها. وهكذا فإنّ أبناء النخبة يتلقّون ثقافة أجنبية بلغة أجنبية، وهم إمّا أن يشعروا بالاغتراب في مجتمعاتهم ويهاجروا إلى الغرب، أو يتولّون الحكم في بلدانهم ولا رابطة تربطهم بمجتمعاتهم، ويغلب عليهم لا شعورياً احتقار الثقافة العربية ولغتها واحتقار الذات. ولهذا تستعمل كثير من عوائلِ النخب العربية الإنكليزية أو الفرنسية لغةً للتواصل المنزلي مع الأطفال.

٣) وحتى التعليم الحكومي، لايستعمل اللغة العربية في جميع مراحله ومختلف تخصُّصاته. فالتعليم العالي، وأحياناً الثانوي، يستخدم اللغة الإنكليزية (في بلدان المشرق «العربي») أو الفرنسية (في بلدان المغرب «العربي») لتلقين العلوم والتكنولوجيا. وهذا التحول في لغة التعليم يؤدي إلى انحطاط المستوى، لأنّ المعلومات لا تتشكّل في جزر منعزلة، وإنمّا في منظومات مفهومية مترابطة متراكمة. ولكلّ لغة نظامها المفهومي. وهكذا فإن الطبيب الذي تلقى تعليمه بلغة أجنبية، مثلاً، لايستطيع استيعاب

المعرفـة العلمية بعمـق أو تمثّلهـا، أو الإبداع فيها، كمـا أنه لا يمكنـه نقل معلوماتـه بسهولة ويسر إلى الممرضات والمساعديـن الطبيين والمرضى والمجتمع عامة. ويشكّل هذا عائقاً للتنمية البشرية.

كان الفرانكوفونيون في المغرب العربي والداعون إلى استعمال الإنكليزية في التعليم العالي والاقتصاد في المشرق العربي، في الستينيات والسبعينيات، يتذرعون بعـدم توفر العربية على المصطلحـات الكافية، أمّا اليـوم فإنّهم يعلنون بجـرأة أنّ العربية لغة لا تصلح للحداثـة. وفي الجزائر يعـدّ الفرانكوفونيّون اللغة الفرنسية «غنيمة حرب» يجب المحافظة عليها[٣].

٤) إنّ المعلمـين في التعليـم الحكومـي نفسه لايستعملون اللغـة العربية الفصيحـة في دروسهم، وإنّما اللهجة العامية القُطرية، لأنهم لم يتلقّوا التدريب الكافي، ولأنّ الأنظمة التربوية والإعلامية لا تساعد على تعزيز ملكتهم العربية الفصيحة.

٥) إضافـة إلى ذلـك، فإن مناهـج التعليم في البلـدان العربيـة تنأى اليـوم عن الثقافـة العربية المشتركة وتـروّج للأيديولوجيـة المتحوّلة لكل قطر، وتنمّـي ثقافة قُطرية انفصالية ضيقة، وهذا ما عبّر عنـه الدكتور محي الدين عميمور بقوله: «إنّ المرض الرئيسي الـذي يعاني منه الوضـع الثقافي العربي، فكراً ولغةً وممارسةً سياديةً، هو تعدد مناهج التعليم في الوطـن العربي بتأثيرات إقليميـة مرضيّة تطلق على العمليـة ألقاب مملكة في غـير موضعها، فهي جزأرة وسعودة ولبننة وتونسة وما إلى ذلك»[٤].

٦) افتعلـت بعض الدوائر الأجنبية صراعاً بين اللغة العربية وأخواتها مـن اللغات الوطنية الأخرى كالأشوريـة والسيريانية والأمازيغيـة. وعلى الرغم مـن أن هـذه اللغات الوطنية هي مـن لغات العرب العاربـة وأنّ تنميتها تصبّ في صالح الثقافة العربية المشتركة، فإن بعضهم يعمـل على إثارة الصراع بين العربيـة وهذه اللغات لأغراض سياسية. وفي حالة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، مثلاً، يقول الدكتور محمد العُربي ولد خليفة، وهو نفسه أمازيغي أصيل وعالم لغوي مبرز: «تعمل بعض التيارات على اصطناع الصـراع بين العربيـة والأمازيغيـة أحياناً لأهداف سياسية،... ونجحـت في استقطاب بعض الباحثين الجزائريـين وقطاع من الشباب الأبرياء وآخرين من الاحتجاجيين، وإقناعهم بـأنّ ترقية العربية وتعميم استعمالها خطر على الأمازيغية... لقد كانت الغفلة والاستقطاب صفقة مربحـة للفرنسية المرشّحة لأن تكـون اللغة الجامعة بـين مجموعتين في وطن واحد لايتفاهمان إلا بالفرنسية..»[٥].

٧) بعـد أن أطلقـت الإدارة الأمريكية السابقة التـي سيطر عليها المحافظون الجـدد، مشروعها لـ «الشرق الأوسط الجديد» الذي كانت تبشِّر به وزيرة الخارجيـة كوندليسا رايس في جولاتها المكوكية على زعماء الـدول العربية، وبمصادفـة عجيبة غريبة، سمحت كثير مـن الحكومات العربية بإنشاء إذاعات وفضائيـات إقليمية، خاصة تبث باللهجات العامية، وفي الوقـت نفسه قلّصت حصـة العربية الفصيحة لصالح العاميّات في الإذاعات الوطنية، بحجة تقريب المعرفة إلى فهم عامة الشعب، مع أنّ أمهّاتنا الأميّات يتابعـن المسلسـلات المكسيكيـة الناطقـة بالعربية الفصيحة بكل شغف واهتمـام، وعلى الرغم من أن إذاعات الدول الأجنبية كبريطانيـا وألمانيا والصين وروسيـا، التي لا يمكن اتهام إداراتهـا بالغباء، تبث برامجها إلى شعوبنا باللغة العربية الفصيحة.

يـدرك اللغويون «أن لجميع اللغـات في الدنيا

مستويين على الأقل في التعبير» كما يقول الدكتور الحاج صالح رئيس المجمع الجزائري للغة العربية[٦]، ولا يغفلون إمكان الاستفادة من اللهجات العامية في إغناء اللغة العربية الفصيحة، ولكن استعمال العامية في الإعلام والتعليم لا يعزّز اكتساب اللغة الفصيحة لغة التواصل المشتركة والأداة الأساسية في التنمية البشرية. ولهذا فإن البلدان المتقدمة تعمم استعمال لغتها المشتركة في التعليم والإعلام والحياة العامة، وتحميها بقوة القانون، كما فعلت فرنسا حين سنّت قانون «حماية اللغة الفرنسية» سنة ١٩٩٤، الذي صدر بمناسبة مرور مئتي عام على قانون حماية اللغة الفرنسية إبان الثورة الفرنسية الذي ورد فيه «يعاقب كل من يوقع وثيقة بغير اللغة الفرنسية بالفصل من وظيفته وبالسجن ستة أشهر.»

٨) إضافة إلى الإذاعات والفضائيات باللهجات العامية، أجازت الحكومات العربية تأسيس إذاعات وفضائيات بالإنكليزية في بلدان المشرق «العربي» وبالفرنسية في بلدان المغرب «العربي». وهذه الإذاعات والفضائيات ليست موجهة للأجانب في أنحاء العالم لعرض قضايانا أو الترويج لثقافتنا، وإنّما موجهة لأبنائنا لتنقل إليهم برامج من أمريكا أو فرنسا مباشرة، وقد وصف لغوي مغربي هذه الإجراء بأنه «فتح المجال لإعادة استعمار المغرب من جديد، حيث أن هذه الإذاعات الخاصة... تفتخر بإعلان تبعيتها للغة وثقافة الفرنسيين انطلاقاً من لغة الحديث والحوار والاختيارات الغنائية، ومروراً بنقل عدد من البرامج مباشرة من إذاعات فرنسية، وانتهاء بتغطية الحياة الفنية والثقافية والإعلامية بفرنسا دون ذكر اسم هذا البلد، وكأنَّ المستمع المتابع يقطن بإحدى المدن أو القرى الفرنسية و ليس بمدن المغرب وقراه.»[٧].

٩) في كثير من بلدان الخليج الصغيرة الغنية بالبترول، تتقدم بنجاح باهر أنكلزة التعليم والإعلام والحياة العامة، بفضل العمال الآسيويين الوافدين الذين يشكّلون أكثر من ٩٠٪ من السكان، بحيث أصبح من اليسير جداً على أية دولة كبرى ناطقة بالإنكليزية تحويل هذه البلدان – بذريعة إحقاق حقوق الإنسان – إلى قطر ناطق بالإنكليزية لا علاقة له بالبلاد العربية ولا لغتها، تماماً كما فعلت بريطانيا في سنغافورة بعد أن رفعت نسبة العمال المستوردين من الصين والهند وتايلند والفليبين وغيرها إلى أكثر من تسعين بالمائة من السكان وأجرت استتفاءً اختارت فيه الأكثرية قيام دولة مستقلة عن ماليزيا وناطقة باللغة الإنكليزية، وأصبح أهل البلاد الأصليون من المسلمين الماليزيين أقليَّة لا شأن لها في إدارة البلاد. وقد جعل هذا الوضع الخطير في بلدان الخليج قائد شرطة دبي، ضاحي خلفان يصرخ يوم ٢٠٠٨/٤/١٥ قائلاً: «أخشى أننا نبني عمارات ونفقد إمارات»[٨]. ويظن كثير من الخليجيين الطيبين أن انتماء العمال الوافدين إلى دول مختلفة يمنعهم من تكوين دولة لهم في بلدان الخليج، ولم يدرك هؤلاء الخليجيون أبعاد دلالة المبدأ اللساني «اللغة وطن»، ولم يعلموا أنه لم يبق لتحويل بلادهم إلى بلاد من البلدان الناطقة بالإنكليزية كأستراليا وكندا ونيوزيلندة إلا خطوات شكلية صغيرة.

إن دول أوروبا الغربية التي تعرف معنى التخطيط، تنفق أموالاً طائلة على محاربة الهجرة السرية إليها، ولا تسمح بزيادة عدد المهاجرين عن نسبة ١٠ ـ ١٥ ٪ من السكان، وتصر على دمجهم عن طريق تعلّمهم اللغة الوطنية واجتيازهم اختباراً بها قبل حصولهم على تأشيرة الهجرة، على الرغم من حاجة هذه الدول الماسة إلى اليد العاملة الرخيصة.

١٠) ومــع العولمة، ازداد تهميشــ اللغة العربية واستعمال اللغة الأجنبية بدلاً منها، «إذ رغم الشعارات البراقة المرفوعة، فدواليب الإدارة والتعليم والاقتصاد والتجــارة والسياسة وغيرها تســير وتُسيَّر بغير اللغة العربيــة في معظم البلــدان العربيــة، ومن المواقف المضحكة المبكية مثلاً والدالة على وجود نفاق إدارة واضح أن مذكــرة صدرت (بالعربية) عن دوائر عليا تنصّ على وجوب استعمــال اللغة العربية في العمل والمراســلات وغيرها، فلما وصلــت إلى المسؤول عن التنفيــذ، كتب لمرؤسه في الهامشــ بالفرنسية عبارة «m´en parler» أي للتحــدث معي فيه»[٩]. وذكر لغوي من دولــة مغاربية أن عمــال أحد القطاعات أضربوا عن العمل الشهر الماضي وتضمنت مطالبهم مطلب ضــرورة كتابة لوائح الرواتــب باللغة العربية لكي يفهموا ما يستقطع من رواتبهم[١٠]. إن استخدام الإدارة، في مخاطباتهــا ومراسلاتهــا، لغة أجنبية لا يفهمهــا المواطنون، لا تنمّ عــن احتقارها للمواطنين فحسب، بل كذلك عن رغبة كامنة في الإخلال بالسلم الاجتماعي.

ما ينبغي عمله

بعد تشخيص الــداء اللغوي الذي يستشري في بلادنــا العربية وأسبابه، يتبين لنــا أن الدواء هو في حوزة أصحاب القرار. إنه يتلخص في تبني سياسات تعليميــة وإعلامية وثقافية جديــدة تعيد الأمور إلى نصابهــا الطبيعــي، أي استعمــال العربية في جميع مجالات الحيــاة في بلادنا المسمــاة بالعربية، وذلك باتخاذ القرارات الملزمة التالية بنية صادقة:

- استخــدام العربية الفصيحــة المشتركة في التعليــم بجميع مراحله ومختلــف مستوياته ومتباين تخصصاتــه، خاصة في مواد العلوم والتكنولوجيا في التعليم العالي.

- اتخاذ قرار ملزم بتعريــب وسائل الإعلام، بحيــث لا تستطيع الإذاعات والفضائيات والصحف أن تستعمل لغة غير العربية الفصيحة المشتركة.

- تنظيم علاقــات اللغة العربيــة مع اللغات الأجنبيــة وتحديد أدوار كل منها في الأقطار العربية بما يجنب الثنائيــة المفقرة للغة العربية، ويحل لغتنا محلها الطبيعي في كل المجالات.

- فرض اللغة العربية لغة للتعليم في المدارس والجامعــات الخاصة في البلاد العربية، إلا إذا كانت المدارســ والجامعات لأبناء الجاليــات الأجنبية في بلادنا، وفي هذه الحالة ينبغي أن تدرس هذه المدارس اللغة العربية لغة ثانية.

- تطوير طرائق وأساليب تدريس اللغة العربية في التعليم العام وتنمية قدرات التلاميذ على استخدام اللغــة أداة طيعة للتعبير الوظيفي والإبداعي، تحدثاً وكتابة.

- العناية باللسانيات الحاسوبية بحثاً وتطبيقاً وتدريساً بمــا يساعد على استخــدام اللغة العربية لدخــول مجتمع المعرفــة وتحقيق التنميــة البشرية، مع العلــم أن تحقيق التنمية البشرية يتطلب الالتزام بالديمقراطيــة منهجاً وسلوكاً، وتعميم تعليم إلزامي جيــد على نفقة الدولة، والأخذ بآخر معطيات العلم والتكنولوجيا في الإنتاج والخدمات.

- الاهتمام بالقضايا النظرية والمنهجية في وضع المصطلحات وتأليف المعاجم المختصة والعامة.

- العناية بالترجمة العلمية والتكنولوجية، تمشياً مع تدريس العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية.

- التشجيع على إنشاء جمعيات أهلية للعناية باللغة العربية وتحبيبها إلى المواطنين والناشئة.

- توجيه العناية إلى نشر اللغة العربية للناطقين بغيرها من اللغات في داخل الوطن العربي وخارجه[11].

خاتمة

ولكن مثل هذه الاقتراحات كانت قد صيغت عدة مرات خلال الخمسين سنة الماضية في شكل توصيات موجهة إلى الحكومات العربية من لدن المجامع اللغوية العربية، ومؤتمرات التعريب، والندوات العلمية المختلفة. بل إن مؤتمر وزراء التربية والتعليم ومؤتمرات وزراء التعليم العالي العرب واتحاد الجامعات العربية المكوّن من رؤساء الجامعات، قد ردّدت هذه التوصيات مرات ومرات خاصة ضرورة تعريب التعليم العالي وضرورة استعمال العربية في الإدارة، ولم يتمكّن هؤلاء الوزراء من تنفيذ توصياتهم وتعريب الجامعات التابعة لهم. فمَن، ياترى، هو صاحب الكلمة في هذا الشأن؟!!



الهوامش:

(١) بيان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يوم ٢٠٠٨/١/٨ بمناسبة اليوم العربي لمحو الأمية.

(2) *Undp, humand development 2007/2008 fighting climate chang: human solidarity in a divided world (new york: undp, 2007)*

(٣) الدكتور محي الدين عميمور، «راهن العربية في أوطانها» في كتاب:. المجلس الأعلى للغة العربية، العربية: الراهن والمأمول (الجزائر: المجلس، ٢٠٠٩) ص ٥٣ ـ ٦٤.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الدكتور محمد العربي ولد خليفة، في كتاب: العربية: الراهن والمأمول، ص ١٧ ـ ٥٢.

(٦) الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، «إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي» في كتاب: العربية: الراهن والمأمول، ص ٦٥ ـ ٨٧.

(٧) جريدة «الشرق الأوسط» العدد ١٠٧٣٢ بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٦.

(٨) زالدكتور محمد الينبعي، اللغة العربية في أوطانها بين التحديات والآفاق، في كتاب الندوة: العربية: الواقع والمأمول، ص ٨٩ ـ ٩٧.

(٩) الدكتور محمد خرماش، «اللغة العربية: واقع وآفاق» في كتاب الندوة: العربية: الواقع والمأمول، ص ٧٥ ـ ٨٤.

(١٠) نقلاً عن اللغوي التونسي الدكتور عبد اللطيف عبيد.

(١١) انظر توصيات الندوة الدولية عن «مستقبل العربية في سوق لغات العالم» التي عقدها المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، ٢٥ ـ ٢٠٠٩/٢/٢٦.

أزمة اللغة العربية في التعليم:



د. أحمد بن محمد الضبيب

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية.

إن الحديث عن أزمة اللغة العربية في التعليم الحديث، وعدم استطاعة المؤسسة التربوية المعاصرة أن ترتفع بدارسي اللغة العربية إلى مستوى مقبول من الكتابة أو التحدث

حديث مكرر معاد منذ القرن التاسع عشر الميلادي إلى العصر الحاضر. فعندما استفاق المفكرون العرب على أصوات النهضة والتقدم ترتفع في بلاد كثيرة، ووجدوا أصوات أمتهم تنخفض في هذا المعترك العالمي، وقفوا متأملين ما حدث في العالم من تقدم، قادته فتوحات علمية واقتصادية، غيرت وجوه الشعوب، بينما ظل الوجه العربي شاحباً متصلباً أشبه ما يكون بوجوه جثث المومياء المحنطة. كان لابد من طرح الأسئلة عن السبب الذي أدى بالعرب إلى هذا المآل، بينما قاد أسلافهم مسيرة التقدم والحضارة إبان عصر التمدن العربي الإسلامي.

وبما أن اللغة هي وسيلة نقل العلوم والمعارف، وتوطينها فقد دارت – منذ ذلك الحين – عدة نقاشات حول اللغة في حد ذاتها، ثم حول اللغة والتعليم، ثم حول تعليم اللغة في المدارس.

أما ما يخص اللغة ذاتها فقد كان من الأسئلة الملقاة سؤال عن صلاحية اللغة العربية أصلاً للاستخدام في هذا العصر، وعما إذا كان من المفيد استخدام العاميات الدارجة في كل قطر، أو استعمال لغة أجنبية سواء في التعليم أو غيره من مناشط الحياة. وأجيب عن السؤال بإجابات مختلفة، غير أن التمسك بالفصحى كان هو الراجح، ذلك أن لكل أمة لغة وأن التنازل عن اللغة الأم للعاميات سبيل للتشرذم والتقزم، والفوضى اللغوية والانبتات عن التراث، كما أن التنازل للغة أخرى يقدح في الكرامة، ويتنافى مع الإمكان[1].

مما لاشك فيه أن هنالك أسباباً عامة وأخرى خاصة أدت بنا إلى ما صرنا إليه من إخفاق للتعليم الحديث في تعليم اللغة العربية.

أما الأسباب العامة فربما تتركز في سببين مهمين:

الأول: هو الاستعمار بشقيه العسكري والثقافي.

والثاني: هو مناخ التخلف العام الذي تعيش فيه أمتنا العربية.

أما عن السبب الأول فقد كان الاستعمار حريصاً على انتزاع الهوية الثقافية العربية الإسلامية لأبناء هذه المنطقة من العالم، سواء أكانوا مسلمين أم

مسيحيين. فأينما وجهت نظرك في أنحاء الوطن العربي المستعمرة من قبل دول أجنبية تجد معاول الهدم للثقافة العربية الإسلامية تعمل بلا هوادة. حدث ذلك في مشرق هذا الوطن ومغربه.

ومن أهم ما قام به المستعمر هز الثقة بهذه الثقافة، ووصفها بالتخلف، وفرض اللغة الأجنبية في التعليم، وربط الدول المستعمرة بلغة المستعمر، وإيجاد طبقة نخبوية مرتبطة ثقافياً ولغوياً بثقافة المستعمر، منكرة ومتأففة من الثقافة المحلية، تمكنت من مفاصل الحياة الاقتصادية، ومواقع النفوذ الرسمية، فأصبحت من جهة النموذج الأرفع، ومثلث واجهة التحضر، ووقفت أمام أي تطوير للثقافة العربية، أو استعمال للغة العربية سواء في التعليم أو في مناحي الحياة الأخرى.

وعلى الرغم من أن الأقطار العربية لم تكن متساوية في التأثر بخطط المستعمر وإملاءاته، إلا أننا يمكن أن نعد أقطار العرب في المغرب العربي هي المثال الصارخ لهذا النوع من الاستعمار، غير أن المحصلة النهائية – حتى في البلدان الشرقية – لم تكن في صالح اللغة العربية ولا الثقافة العربية عند الجميع.

وجاء عصر العولمة الذي يمكن أن نعده عصر الاستعمار الجديد، فقلب الموازين وأصبح فيه الاقتصاد سيد الموقف، وأشاع في الناس ثقافة السوق، والاستهلاك، ورافق ذلك انفجار معرفي ومعلوماتي وتقني لم تكن المجتمعات العربية مهيأة ثقافياً لاستقباله، وتعاضد الاقتصاد والإعلام في تهوين شأن اللغة العربية، وإشاعة النموذج الغربي لغة وثقافة وفي الحياة، فانحنت الرؤوس جميعاً لهذه العاصفة التي لم تمر سريعاً، بل بقيت تفعل فعلها في عقول الناس وأفكارهم، وتعمل على تحطيم ما بقي من نقائهم الثقافي واللغوي. وكان الضعف، والهزيمة النفسية وانعدام الرؤية الحقيقية لدى هذه البلدان

سبباً مباشراً في تكوين أراض خصبة مهيأة لتنمو فيها الثقافة الاستعمارية الجديدة المتمثلة في إحلال الثقافة الأجنبية محل الثقافة العربية الإسلامية. وتبع ذلك الترويج للغة الأجنبية على أنها لغة الخلاص والتقدم، وفتح المدارس الأجنبية بكثافة، ووفود الجامعات الأجنبية إلى المنطقة بلغاتها الأجنبية، من أجل قلب المعادلة اللغوية لصالح اللغة الأجنبية والثقافة الأجنبية.

وبما أن الاقتصاد في هذا العصر هو عصب الحياة، والبيئة العربية بيئة مستهلكة للمستورد من نتاج الغرب والشرق، فقد رسخت الشركات الأجنبية في البلاد العربية أقدامها بالترويج للغاتها، عن طريق وكلائها وسماسرتها، من رجال الأعمال الذين لا يهمهم إلا الكسب السريع، دون وعي – أو بوعي – بما يصيب الثقافة المحلية من التآكل والاضمحلال، فأصبحت اللغة الأجنبية لغة الأعمال التجارية، وأقصيت العربية عن مجالات العمل الاقتصادية، بل حوربت حرباً شعواء، وأصبح اجتياز اللغة الأجنبية تحدثاً وكتابة شرطاً من شروط التعيين في وظائف القطاع الخاص، وفي كثير من الوظائف الحكومية، وأصبحت اللغة الأجنبية لغة طبيعية مطلوبة في كثير من الأنشطة في الحياة العامة، كالوظائف الطبية، ووظائف السياحة، والمؤسسات التجارية، وأصبح التعليم باللغة الأجنبية على المستويين العام والجامعي أساسياً وعاماً، مع وجود فقرة في أنظمة الجامعات والسياسات التعليمية العربية تشير إلى أن لغة التعليم الرسمية هي اللغة العربية، وأن التدريس بالأجنبية يكون لدى الاضطرار. وهكذا أصبح الشاذ هو القاعدة.

لقد أدى ذلك كله إلى حالة التخلف العربي الذي استمر سنين طويلة، وهو السبب الثاني. فالعربي موهوم بالتنمية الشاملة، التي تتناول في – أحسن أحوالها – ماديات هذا الإنسان من طرق ومواصلات ومبان ومنشآت، لكن ذلك لم يؤثر إيجابياً في موقفه

من نفسه، من حيث الحفاظ على الشخصية العربية، والتمسك بثوابت الكرامة الوطنية، وتعزيز الهوية القومية.

لقد أدى الاحتكاك بين العربي والآخر وباللأسف الشديد إلى التقليد الأعمى في توافه الأمور، والانسياق نحو ثقافة الآخر دون انتقاء، فحل التغريب محل التحديث على عكس ما يحدث لدى بعض الأمم الناهضة كاليابان التي لخص أحد الباحثين تجربتها التنموية بأنها «نموذج أثبت بالأفعال أن التقدم والازدهار لا يتحققان لمجرد الانتماء، والتعلق بهذه النظرية أو تلك، أو بهذا المبدأ أو ذاك، أو بقلة الموارد الطبيعية أو وفرتها، ولكنهما يتحققان في المقام الأول بالتمسك بالأصالة، والمبادئ النابعة من تراث الأمة، وصلابة إرادتها... بالعمل الجاد الدؤوب، بوضوح الأهداف والتخطيط السليم، وحسن اختيار وتطبيق السياسات والأساليب التي تحقق تلك الأهداف، بالمقدرة على استيعاب المفيد من التقنية والتراث، وصهرهما في بوتقة التراث الوطني، بالعلم والمعرفة من المهد إلى اللحد، وبنقش وتأصيل الخصال الحسنة، في عقول ونفوس الأجيال الصغيرة. بالتعاون كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، بعلو الهمم والتطلعات العالية، بالتضحية المتبادلة، والتنافس الشديد في سبيل تحقيق الأهداف المرسومة، بالقدرة على التكيف في مواجهة الأزمات وبالحرص على التشاور والحوار قبل البت في اتخاذ القرارات... إنه النموذج الياباني في التنمية والتقدم»(٢).

لسنا نلوم الاستعمار ونعلق عليه إخفاقاتنا، ولكننا نلوم أنفسنا وبخاصة أننا أصبحنا نملك قرارنا بعد رحيل الاستعمار عن البلاد العربية، وحتى مع وفود العولمة بجلبتها وسطوتها الشرسة كان بإمكاننا أن نحدد موقفنا كما حددت أمم أخرى مواقفها، فأخذنا ما يناسبنا، ووقفنا في وجه مايضرنا. لكن الواقع المؤلم يشير إلى أن سياساتنا الخاطئة أدت إلى هذا النوع من التقزم أمام الأمم في مختلف المجالات، ومن أهمها مجال الثقافة، فلا غرابة أن نصل إلى هذه النتيجة المحزنة للغتنا الفصحى.

هذا الجو الخانق الذي نعيشه، بوصفنا أمة مأزومة، أفرز أجيالاً مستهترة بالهوية القومية، كارهة للثقافة العربية الإسلامية، تلهث وراء الأجنبي كي تسد رمقها من العيش، وتملأ أدمغتها الخاوية من فتات موائد الآخرين، مضحية في سبيل ذلك بأثمن مالديها من ركائز شخصيتها القومية. وكانت اللغة هي أول ما يمكن أن يضحي به من هذه الركائز. وقد شجعت الممارسات الرسمية في وزارات التربية والتعليم هذا الاستهتار، فأديت اللغة العربية بأردأ المناهج، وتولى تعليمها أقل المدرسين تأهيلاً، وعرضت على التلاميذ بأبشع الوسائل. وفصل فصلاً تاماً بين التلميذ وهذه اللغة بمختلف الحواجز، فهي لغة ميتة في حياته اليومية، لا يجد التشجيع على إجادتها، ولا النصوص الجيدة التي تجعله يتعلق بها. حتى القرآن الكريم - الذي هو عنوان هذه اللغة، وصورتها في أنصع صورها - يعرض على التلميذ العربي بطريقة آلية تهدف إلى الحفظ دون فهم، أو تذوق، أو تدبر أو تشويق.

فقد الطالب حلاوة اللغة، التي كنا نتذوقها عندما كنا طلاباً. إذ كانت اللغة تنتقل إلينا من أستاذ يتذوقها، ويحرص على نقلها إلينا بالروح نفسها. وكانت اللغة حية في محيطنا الطلابي عن طريق التشجيع على القراءات المختارة، وإجراء المسابقات وإقامة المسامرات الطلابية التي كانت العربية الفصحى هي مادتها الأولى.

بل إن التخريب أصاب ذائقتنا الأدبية في الصميم فقد جاءت نصوص الحداثة المتدثرة بالغموض والعبث واللامعقول، والقبح الأسلوبي، والتفكك السياقي، لتجعل من نصوصنا الشعرية على وجه الخصوص نصوصاً بهلوانية، هزيلة معزولة عن الذائقة العربية، وظهرت آراء تقول إن الشاعر

لايكتب لأحد، وإنما يكتب لنفسه، وأن النص يشترك الشاعر والقارئ والناقد في تأليفه، فالنص مفتوح، ولكل أن يضيف إليه ما يشاء. وأصبح التركيز على رصف الكلمات المتنافرة والجمل الباهتة وتعمد الخطأ النحوي في النص من ملامح النص الأدبي من وجهة النظر الحداثية.

في هذا المشهد الثقافي الهزيل والاجتماعي الغريب، تظهر بيننا لغة هجينة رديئة، ويظهر بيننا خلف لا يحترم اللغة الأم، وإنما ينصرف إلى الهجنة والركاكة، يخلط كلامه بأنواع من المفردات والتراكيب الأجنبية حتى لا تكاد تتبين ما يقول إن لم تكن على علم بهذه المفردات والتراكيب، أو لم تكن عضواً في جماعة هذا المخلوق.

ومكنت الشابكة (الأنترنت) لتسيب شديد في استعمال اللغة، وتساهل مبتذل في التعبير، فدخل إليها أصناف من الناس تجد في العامية سلوتها، أو في الأجنبية مثالها، فاختلطت الأصوات وأصبحت العربية مسخاً من الأمساخ. فكيف لنا أن نتلمس خروجاً من هذا المأزق اللغوي، الذي تكاتفت السلطات الرسمية والتعليمية والإعلامية والاجتماعية على خلقه والإمعان في تثبيته؟

إن الإصلاح المنشود في تعليم اللغة العربية في مدارسنا لا يمكن أن يبدأ، وينضج إلا بعد توافر الأرضية المناسبة له كي يؤتي أكله.

فمهما تحدثنا عن أهمية المدرس وكونه عصب العملية التعليمية، وضرورة تأهيله تأهيلاً مناسباً، وتدريبه تدريباً جيداً.

ومهما تحدثنا عن المنهج وضرورة إعداده إعداداً عصرياً، واختيار موضوعاته بعناية.

ومهما تحدثنا عن الكتاب وضرورة تحديثه وجعله مشوقاً.

ومهما تحدثنا عن استعمال التقنية الحديثة، وضرورة الانتفاع بالمختبرات الحديثة، في تعليم اللغة أسوة بما يحدث للغات الأخرى.

ومهما تحدثنا عن البيئة المدرسية وجعلها مناسبة كي تترعرع فيها اللغة العربية وتنمو نمواً صحياً، فإننا لن نبلغ ما نريد من الإصلاح ما دامت التربة سبخة، لا تتقبل هذا النبات ولا ترحب به، بل تساعد على خنقه وكتم أنفاسه.

إن هذه الأرضية الصالحة غير موجودة في الوقت الحاضر بفعل:

هجوم العولمة واستسلامنا الاستسلام المطلق لها.

شيوع ثقافة السوق وآلياتها التي تهمش اللغة العربية، والعمل على استبعادها من الحياة، وتعلي من شأن اللغة الأجنبية.

انصراف الناس إلى العامية من جهة واللغة الأجنبية كلاماً وكتابة، وتشجيع المؤسسات الرسمية والخاصة لذلك.

تمكن الهزيمة النفسية التي يعاني منها العربي، مما أفقده الثقة بنفسه وإرثه الحضاري، وانبهاره بالإنجازات الغربية، التي لم يأخذ منها إلا القشور...

وانعدام الرؤية لدى متخذي القرار في الوطن العربي على معظم المستويات في تلمس طرق النجاح.

- ولغياب المشروع النهضوي الشامل، الذي يمكن أن يقود الأمة إلى الرقي ويدخل بها إلى ساحات الارتقاء.

وينبني على ذلك كله انعدام الرؤية لمستقبل عربي واعد تكون العربية الأم من أبرز محركاته نحو

التقدم.

- إن أزمة اللغة في التربية والتعليم هي جزء من أزمتها في المجتمع، وهو جزء لا ينفصل عن الكل بأي حال من الأحوال، ولذلك فإننا كي نبلغ الهدف الذي نبتغيه فإن علينا أن نضع في اعتبارنا أمرين مهمين:

- الأول: إن أي مشـــروع نهضوي لابد له من أن تكون اللغة أبرز مرتكزاته ومعنى ذلك أن تكون اللغة في هذا المشروع حيـــة متفاعلة، مستعملة بكثافة من قبل كل أفراد المجتمع، محترمة في بيئتها، لها السيادة المطلقة على ألسنة أهلهــا. عن طريقها ينتقل العلم والمعرفة إلى الناس، وبها يكتب العالم ويخترع المخترع، ويضع مفردات صناعتــه، ويتابع فيها التاجر شؤون تجارته.

- إن استعمال اللغة هـــو سر حياتها، وهجرها وازدراؤهـــا هو مسبـــب موتها واندثارهـــا، إنها كما يقول أحد الباحثين: «تخطو وتنمو وتنهض وتتراجع وتتخلــف وتندثر وفقاً للتعامـــل الإيجابي أو السلبي الذي تلقاه من مجتمعها»[٣].

والثـــاني: إن إصــلاح هذا الوضـــع للغة جذرياً لايكون بالتصدي الجزئي أو الفردي لبعض الجوانب التعليميـــة، كإصـــلاح النحو أو تجديـــده، أو العناية بمدرســـ اللغة العربية، أو تطويــر المناهج، فقد كان ذلك ممكنـــاً في ظـــروف سابقـــة، كان العربي فيها حريصاً على لغتـــه العربية، في الأغلب الأعم، وإنما يكون برسم سياسة لغوية متكاملة على مستوى البلاد العربيـــة، أو على مستوى كل قطـــر على حدة، تعمل في ضوء منهج يعلي شأن اللغة بوصفها عنواناً للهوية ويحافظ عليها باعتبارها أداة ضرورية للتقدم، ويعمل على استثمارهـــا الاستثمار الأمثل، كي تحدث فعلها السحري في تقدم الأمة ورقيها.

سياسة تستعيد اللغة العربية من غربتها، وتمكن لها في موطنهـــا، وتعيد إليها المكانة في قلوب أبنائها وأفكارهم، فتكون مطلباً أساسياً للالتحاق بالجامعة، والوظيفة الحكومية والخاصة، واللغة المستعملة بين متخـــذي القـــرار في الإدارات المختلفة، ولغة رسمية للمؤتمرات والنـــدوات التي تعقد في الوطن العربي. ولغة الإعلام الأولى بمختلف وجوهه.

ولا يكون ذلك إلا بتفعيل استعمالها في المجتمع على الصعد كافة، حيث تتداخل السلطات والرغبات والظروف، وحيث تشترك جهات عدة لابد لها من أن تتضافر وتتكامل لتنفيذ هذه السياسة.

هذه السياسة من شأنها أن تصدر القوانين التي تحمي اللغـــة وتحافظ عليها، ومـــن شأنها أن توجد البنـــى الاجتماعيـــة التي ترعى اللغـــة وتتابع تنفيذ القوانـــين، وتشرف على التنفيذ، ومن شأنها أيضاً أن تتبع الوسائل الحديثة المناسبة لجعل اللغة قريبة من مستعمليهـــا ودارسيها، بأن تشرف على شؤون تعلمها وتعليمها بطريقة حديثة جذابة.

ومن شأن هذه السياسة اقتراح الوسائل المناسبة لإعداد المدرسين لجميع المـــواد إعداداً لغوياً سليماً، بحيث تـــؤدي جميع المواد في المدرســـة والجامعة - ماعدا اللغات الأجنبية بالطبع - بلغة عربية سليمة، فتوجـــد بذلك البيئة الصحيـــة الملائمة التي تنشط فيها اللغة وتسترد فيها عافيتها وألقها.

عندما ترســـم خطوط هـــذه السياسة اللغوية يمكن حينئـــذ أن توضع الخطـــط للنهوض بالعربية تعليماً وتعلماً، وفق دراسات لغوية ونفسية واجتماعية، ودراســـات استقرائيـــة وتحليلية للواقـــع اللغوي في البلاد العربية، ترسم مستقبل المشهد اللغوي في هذه البلاد بما يتناسب واحتياجات كل مرحلة من مراحل التعليـــم، والأهداف الموضوعة لها في سياق المنظومة الكبرى لهذه السياسة.

إن معظم المشكلات التي يتطرق إليها الباحثون المحدثون في مجال إصلاح تعليم اللغة العربية تجري

معالجتها على أساس من معلومات جزئية قاصرة، ومنهج يفتقر إلى الشمول والاحتكام إلى الواقع، فالحلول المطروحة -غالباً- لا تقوم على دراسات علمية تحليلية تصف المزاج اللغوي المعاصر للإنسان العربي، وتتلمس احتياجاته اللغوية، وتتماشى معها، وهي لا تحتكم إلى واقع مختلف عن ذلك الواقع القديم الذي كان العربي فيه أكثر تركيزاً على علوم اللغة، وكان نمط الدراسة في البيئات العلمية واحداً، يلم فيها أولاً بعلوم الدين واللغة أولاً ثم ينطلق بعد ذلك إلى تخصصات ضيقة محدودة يكمل المرء فيها شغفه في بعض العلوم الأخرى، التي لا تكاد تمس الحاجة إليها عند معظم الناس.

أما في عصرنا الحاضر فقد اختلفت الحياة وتشعبت التخصصات ولم يعد هنالك تخصص إلا أصبحت له لغته الخاصة، وضاقت أعمار الناس عن التبحر في علم واحد فضلاً عن الإلمام بكل العلوم، وأصبح مستحيلاً على الشخص أن يكون مشاركاً بكفاءة يصعب فيها التفريق بينها، وتبعاً لذلك وجب أن تتغير اللغة العلمية في كثير من العلوم، وأن تكون لها قواعدها ومعجمها الخاص.

ولذلك فإن وقت الإنسان المعاصر لم يعد متسعاً لمعرفة الخلافات النحوية، أو التفريعات الدقيقة، وما فضلته الكوفة ورفضته البصرة، وما يجوز فيه الوجهان والثلاثة، بل ضاق عن معرفة العلة لكثير من مسائل النحو، فما عاد الإنسان بحاجة إلى ذلك.

لقد أصبح أغلب ما يلقى في قاعات الدرس من مواد يثقل كاهل المتعلم بكثير من المواد التي لا يحتاجها، ولذلك فإنه لا يهتم بتحصيلها، أو ينفر مزاجه اللغوي المعاصر منها، أو تكون صالحة في مرحلة عمرية دون مرحلة أخرى، أو مستوى من التعليم يختلف عن المستوى الذي وضعت له، أو مجال من مجالات الحياة يحتاج إلى مهارات لغوية يختلف بها عن مجالات الحياة الأخرى.

في هذه المرحلة من حياة اللغة العربية ما أجدرنا برسم سياسة تعليمية لغوية تخدم واقعنا المعاصر، تكون السليقة العربية الصحيحة هي محورها، وأساسها، وتكون القاعدة رديفة ومفسرة أكثر من كونها سلطة مستبدة.

لا نطالب بأن تطبق هذه السياسة فوراً، وإنما نرى أن توضع السياسة مع برامجها وآلياتها، ووسائلها، وتخضع للاختبار والتقويم، ويتغلب في الوقت نفسه على العقبات التي يمكن أن تعترض طريقها، ثم تنفذ بالتدريج حتى تكتمل.

عندما تسترد اللغة العربية من غربتها بين العرب، وينظر إلى تعلمها وتعليمها على أسس واقعية حديثة جذابة، فإننا حينئذ فقط نستطيع القول بأننا نجحنا في إحداث إصلاح لغوي يستأصل الضعف والركاكة اللغوية، ويؤذن ببزوغ فجر جديد مشرق في حياة اللغة الأم، لغة النهضة ومفتاح العبقرية.

الهوامش:

(١) ينظر مقال في المقتطف، مج ٧٦، ج٦، تشرين الثاني سنة ١٨٨١م بعنوان «اللغة العربية والنجاح» والردود على هذا المقال في أعداد المقتطف التالية.

(٢) حمدي أبو زيد، اليابان: دروس، ونماذج وإنجازات خارقة، ط١، الرياض، مطابع الفرزدق، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م، ص١٤.

(٣) محمود الذوادي، في فقدان العلاقة العضوية بين المجتمعات العربية ولغتها، اللسان العربي وإشكالية التلقي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سنة ٢٠٠٧م، ص٤٢.

المعجمية العربية الحاسوبية



أ. د. وفاء كامل فايد

أستاذة اللسانيات في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

مدخل: الثورة المعجمية الحاسوبية:

أحـــدث دخول الحاسوب مجال العمل المعجمي – صناعة وبحثاً – ثورة عارمة في الصناعة المعجمية، أعقبتها ثورة مماثلة في المفاهيم والمعتقدات والتقاليد المعجمية. فحدثت تبـدلات كبيرة في أولويات العمل في هـــذا المجال: تخطيطاً وتنفيــذاً وتحديثاً. علاوة على اختــلاف غير قليــل في الأهــداف الصناعية والبحثية، فما كان يعد غاية في ذاته – من التقنيات أو الدراسات – أصبح يعد وسيلة، وما كان يعد عملاً جباراً يرصد لــه الوقت والجهد والعدد الضخم من العاملين، صار الآن عملاً يمكن إنجازه في وقت أقصر وجهد أقل وبعدد من العاملين أصغر.

ويمكن أن نتصـــور آثار هذه الثورة في الجوانب الآتية:

- في تقنيات المعجم التقليدي.
- في إيجاد معاجم أو مصادر معجمية جديدة.
- في إجــراءات البحــث المعجمــي ومنطلقاته وغاياته.
- في إيجاد مجالات بحثية معجمية جديدة.
- عــلاوة علــى توظيــف الحاســوب باعتباره وسيطاً بين المعجم وفروع معرفية أخرى، وتطبيقات متنوعة.

كل ذلك قـــد يصل في التصدي للتأريخ للمعجم بأن يقسّم عمله إلى ما قبل الحاسوب –(ويروق لكثير من الباحثين تسميتها المعجمية التقليدية)– وما بعد الحاسوب (وتسمى المعجمية الحاسوبية).

ويذهب بعض الباحثين إلى أن (ثورة الحاسوب لم تغير في الطريقة التي يجري فيها البحث فحسب، بل إنها فتحت آفاقاً لحقول بحثية جديدة...ترنو إلى فهم للعقل البشري. على ضخامته وتعقيده).

ويلحـــظ أن الفكر الحاسوبي لم يتوغل في العمل المعجمـــي العربي؛ إذ مـــا زال معظم العمل المعجمي العربي عملاً تقليدياً، لا يزيد في علاقته بالحاسوب إلا في اتخاذه وسيلة لتنسيق المعجم وإخراجه إخراجاً طباعياً. والثورة الحاسوبية في الأفق المعجمي العربي مازالــت في بدايتها رغم الجهود التي يقوم بها أفراد ومؤسسات عربية أو غير عربية في هذا المجال، لكنها جميعاً جهـــود تبشر بإيتاء أكلها بعد حين من البحث النظـــري والتطوير الحاسوبي. وهـــو سبيل الخروج بالمعجم العربي من أزمته مادة ومنهجاً وتطبيقاً.

وتبدأ الورقة بإلقاء الضوء على العمل المعجمي

الحاسوبي من جانبين:

١) الصناعة المعجمية الحاسوبية.
٢) البحث المعجمي الحاسوبي.

ثم تردف ذلك بالحديث عن المعجمية العربية الحاسوبية، من خلال:

١) وصف الجهود في هذا المجال.
٢) نقد الواقع المعجمي العربي الحاسوبي.
٣) آفاق المعجمية العربية الحاسوبية.

المعجمية الحاسوبية
Computational Lexicgraphy

أولاً: الصناعة المعجمية الحاسوبية.
ثانياً: البحث المعجمي.

مدخل:

في المعجمية الحاسوبية يظهر اهتمام بمجالات بحثية جديدة، بما تفرضه طبيعة موضوع البحث. وتختلف أولويات الاهتمام البحثي عن أولويات الاهتمام المعجمي التقليدي، إضافة إلى اختلاف غير قليل في طبيعة الفروض النظرية والإجراءات والأهداف.

وتعنى المعجمية الحاسوبية - على ذلك - بصناعة المصادر المعجمية الحاسوبية (والدراسة الحاسوبية لها والإفادة، تشمل شكل الكلمة ومعناها وسلوكها). وتستقي المعجمية الحاسوبية روافدها الإبيستيمولوجية من مصادر متنوعة أهمها اللسانيات، واللسانيات النفسية، وعلم النفس المعرفي، وعلوم الحاسب، والمنطق الرياضي.

ويذكر ليتكوفسكي Litkowski من الأنشطة التي تدخل في نطاق المجال المعجمي الحاسوبي مايلي[1]:

- المعاجم الإلكترونية.
- المعاجم ومعلوماتها التي قد تدرس لاكتشاف النماذج المعجمية وإثراء المداخل Entries.
- تشييد معاجم لدعم نظرية لسانية حاسوبية خاصة، أو نحو حاسوبي.
- دراسة النصوص المكتوبة أو المقروءة لتعزيز مداخل المعجم.

وترتبط معالجة اللغات الطبيعية بالمصادر المعجمية الحاسوبية أشد الارتباط. وتظهر أوجه الارتباط فيما ينتج من تطبيقات معجمية في مجال معالجة اللغة الطبيعية مثل البرامج المكتبية (كمعالج الكلمات وتحليل الكلام، وتركيبه، والتلخيص الآلي، والفهرسة، واستخلاص المعلومات، والترجمة الآلية، والتحليل التركيبي وغيرها)،علاوة على العون الذي يمكن أن تقدمه المعجمية الحاسوبية في مجال تعليم اللغات (في اختيار المادة المقدمة، وطرائق تقديمها بتقنيات تفاعلية). وإنشاء بنوك المصطلحات، والمولدات الآلية للمصطلحات، والأنظمة الخبيرة expert systems[2]. وقد تعددت التطبيقات للمعجمية الحاسوبية حتى غزت الفلسفات والعلوم والمعارف المختلفة[3].

أما المعارف المعجمية التي تتطلبها أنظمة معالجة اللغات الطبيعية فتشمل:

- المعارف الفونولوجية: وتتضمن الجوانب

---

(1) *Litkowski, k.c (2005), computational Lexicons and dictionaries. Encyclopedia of language, 2nd edition. Oxford: Elsevier publishers.p.2.*

(٢) قام باحثان هما: T. Ahlswede و M. evens بإنشاء نظام خبير لإحدى المستشفيات الأمريكية بتطبيق النموذج المعجمي العلاقي في: A Lexicon for medical system. In: Relation model of the Lexicon.

(٣) حاول William fraeley دراسة لغة العلم metescience من وجهة نظر معجمية في بحثه: Relational model and metascience. in: relational model of the lexicon.

التي تقدم طرائق النطق وآليات تكون الكلمة.

- المعــارف الهجائية (الإملائيــة): وتتضمن البدائــل أو التنوعــات الشكليــة الهجائيــة للكلمة الواحدة.

- المعــارف الصرفيــة: وتشمــل الجوانــب الاشتقاقية والتصريفية بمــا يؤدي إلى إحكام البنية المعجمية اللفظية للمعاجم، علاوة على تقديم المعلومة ذاتها للمستعمل البشري أو النظام الحاسوبي.

- المعارف النحوية: وتشمل المعلومات الإعرابية والتركيبيــة، والتوصيف التركيبي للوحدات المعجمية بوصفهــا ذرات تركيبية. وهذه النــوع قد يقدم في المعجم صريحاً، وقد يضمن بنية التعريف المعجمي.

- المعارف الدلاليــة: وهي المعــارف المتعلقة بالمعنــى في حالة المفــردة، وفي احتمالاتها التركيبية أو السياقيــة المختلفة. ويقدم هــذا بصورة جلية في التعريــف المعجمــي Lexical definiton، أو عن طريق التوصيف الدلالي رمزاً أو نصاً.

- المعارف الموسوعية: وهي معارف غير لغوية إنمــا هي معــارف تتعلــق بالعالم الخارجــي (خارج اللغة) وتشمل الأعلام والأشياء والمفاهيم والجوانب الحضارية والاجتماعية.

كل هــذه المعلومــات يقوم المعجميــون بجمعها وتحليلها وتمثيلها في سرد معجمي لتضمينها مداخل المعجم بطرائق منظومية يمكن للحاسوب استدعاؤها، وتصنيف الوحدات المعجمية على أساسها؛ لتوظيفها في أنظمة معالجة اللغة الطبيعية.

أولاً: الصناعة المعجمية الحاسوبية:

اختلفــت تقنيات الصناعة المعجمية الحاسوبية عن تقنيــات الصناعة المعجميــة التقليدية في كثير مــن الجوانــب: في تقنيات جمــع المــادة وتحليلها، وتقنيــات تنظيمها وتقديمهــا، وفي الإمكانات التي تتاح للمستعمل - في حالة المصادر المعجمية الموجهة للإنســان بوصفه مستعملاً مباشراً لها - في التعامل معها بحثاً ومطالعة. فضلاً عن الاختلاف في آليات الإنتاج المعجمي وأدواته.

وستعرض الدراسة هذا الجانب تحت العنوانين الفرعيين الآتيين:

١) تقنيات الصناعة المعجمية الحاسوبية.

٢) المصادر المعجمية الحاسوبية.

١) تقنيات الصناعة المعجمية الحاسوبية:

نتناول في هذه الجزئية جوانب تقنيات الصناعة المعجمية كما يلي:

١. جمــع المــادة وتحليلها (من خــلال المدونة الحاسوبية (corpus).

٢. معالجة المادة.

٣. تنظيم المادة ومعالجة بنيتها.

٤. متابعة التحديث (بالتعديــل أو الإضافة أو الحذف).

وفيمــا يلــي إلقــاء الضــوء على بعضــ هذه الجوانب:

١. في جمــع المادة وتحليلها (من خلال المدونة الحاسوبية (corpus).

إن أعظم مــا يميز العمل الحاسوبي عن العمل المعجمــي التقليدي - بخلاف شــكل المنتج النهائي ورقيــاً كان أو حاسوبيــاً - هو تقنيــات جمع المادة وتحليلها. ففي سبيل جمع المادة التي يصنع منها العمل المعجمي لجأت المعجمية التقليدية إلى تقنيات يدوية أشهرها نظام الجزازات slips، وملفات الاقتباسات، وغير ذلك من الأعمــال اليدوية التي كانت تستغرق وقتــاً وجهداً وحيــزاً تخزينياً كبيراً. أمــا المعجمية

الحاسوبية فقد لجأت إلى نظــام المدونة المحوسبة. وأول المدونــات المحوسبة كانت للغة الإنكليزية التي طورتها جامعة براون للإنجليزية الأمريكية وذلك في السبعينيات[٤].

والمدونة المحوسبة مجموعة من النصوص اللغوية تمثل المستوى اللغوي المحدد لها تمثيلاً صادقاً، تخزن تخزيناً آلياً وفقاً لمقــولات محددة من قبل مصممها وهي تشمل – في الوقت الحاضر – عدة ملايين من الكلمات في نصوص طبيعية متنوعة، وهذه النصوص يمكــن معالجتها آلياً بحيث تقــوم بعمليات التحليل والرصــد عن طريق مجموعة مــن الأدوات البرمجية الحاسوبية (tools)، تمكِّن المعجمي من مقاربة المادة المعجمية، واستخلاص المعلومات التي يحتاج إليها في صناعة معجمه. وتعد المدونة اللغوية المحوسبة وسيلة لمحاصــرة ظواهر اللغــة جميعها: (أصواتــاً وصرفاً ونحواً ودلالة وذرائعيات «براجماتيكس»، علاوة على الجانب المعجمي. ويرى بعض اللسانيين الحاسوبيين أن النظريات اللسانيــة، في محاولاتها نمذجة النحو البشري أو الملكة اللسانية، قد قدمت فروضاً يعوزها التوثيق الجيد، وأن مدونــات اللغة هي التي أتاحت تكوين النظريــات، وتشكيل فهــم الباحثين للمعجم علــى وجه الخصوص، بما تقدمــه من شواهد عن الظواهــر اللغوية، مثل تعدد المعنــى polysemy، وتردد التصاحبات اللفظية، والتفضيلات الانتقائية Selection preference.

أما أنواع المعلومات التي يمكن استخلاصها من المدونة فيما يخص العمــل المعجمي صناعة وبحثاً فهي:

معلومات عن الكلمات ومعانيها.

معلومــات عن طبيعــة الاستعمــال (حقل الاستخدام – مستوى اللغة – طبيعة الموقف – جنس المؤلــف – النوع الأدبي أو الجنس السردي – وتعيين مصــدر النص – وثقافــة المؤلف – وبلــد النشر – والتوثيق).

معرفة الأساليب الأشيع والأخطاء الشائعة.

معرفة التصاحبات اللفظية وطبيعة كل نوع، ومن ثم معرفة المتنافرات.

تحديد السلوك النحوي التركيبي للكلمات.

التعرف على التعابير الاصطلاحية.

التوصــل إلى أبنية الاستعارات (بعد جمعها وتصنيفها).

تحديد الفجوات المعجمية والاشتقاقية.

التوصــل إلى قوائــم محــددة بحسب غاية استخدامهــا (باستخــدام الأطفــال / النســاء / الأجانب).

الإفادة منها في الدرس الأسلوبي الإحصائي.

استكشاف الظواهر اللغوية.

وبعبــارة أخرى إن المدونــة المحوسبة هي اللغة في واقعهــا الحقيقي، وفي اطراداتها وشذوذها، ولها نوعان، على حسب طبيعة مادتها: مدونة للغة مكتوبة، وأخــرى للغة منطوقة. وطبيعي أن أهداف كل منهما تختلف – إن قليلاً أو كثيراً – عن الأخرى.

والمدونة المحوسبة – بوصفها مختارات ضخمة لنصوص يمكــن للحاسوب التعامــل معها وقراءتها Machine readable texte – تحتاج إلى مجموعة من الأدوات البرمجية الحاسوبية تقوم بمعالجة المادة لتحقيق مطالب اللســاني الحاسوبي. وتتوقف قيمة المدونة المحوسبة – عــلاوة على حجمها وتصميمها – على ما يوظف فيهــا من أدوات tools هي التي تقوم بعمليات البحث والإحصاء والتحليل.

---

(٤) للمدونــة المحوسبــة مكانــة عظيمة في اللسانيــات المعاصرة بجميــع توجهاتها ومجالات بحثهــا، ولا تقتصر هذه المدونات على المقاربة المعجمية فحسب بل تشمل جوانب اللغة وغيرها.

ومن هذه الأدوات البرمجية:

أ. المحلل الصرفي Morphological Analyzer:

وهو عبارة عن برنامج حاسوبي يقوم على تحليل كلمات النصوص إلى صرفيمات (مورفيمات) morphemes، فيبين الجذر والجذع والسوابق واللواحق.

ويعد المحلل الصرفي أهم الأدوات الحاسوبية في مجال تحليل اللغة الطبيعية، فهو يقوم بتجميع كل صيغ paradigms الكلمة الواحدة، أو كل تحققات الجذر الواحد root، إضافة إلى تحديد المعلومات الصرفية التركيبية. وبدهي أن المحلل الصرفي تتوقف كفاءته وإمكاناته على التصميم الذي بني عليه.

ب. القارئ الآلي (أو قارئ الحروف (OCR)[٥]:

أحد أهم الأدوات الحاسوبية في تطوير المدونة: فبه يمكن الاستغناء عن إدخال النصوص (المكتوبة) عن طريق لوحة مفاتيح الحاسوب - بما يستغرقه ذلك من وقت وجهد ومال - بالاكتفاء بمسحها بصرياً عن طريق OCR. وطبيعي أن تطوير برنامج ذي كفاءة عالية مثله سيؤثر إيجاباً في سرعة إدخال البيانات إلى الحاسوب، ومن ثم سهولة تكبير حجمها بما يتفق وتصميم المدونة ذاتها، والسعة التخزينية الممكنة في الحواسيب المعتمدة.

ج. المفهرس الآلي Concordancer:

أداة حاسوبية أو برنامج حاسوبي يقوم، إلى جانب البحث عما يطلب منه (كلمات - تراكيب...)، بعملية فهرستها وفقاً لما هو محدد له، فتظهر الكلمة - على سبيل المثال - محددة في سطور متتالية، حسبما وردت في نصوص المدونة.

وتأتي أهمية هذه الأداة في كونها تجمع السياقات الجملية (والنصية) التي ترد فيها الكلمة أو العبارة، وتعرضها على شاشة الحاسوب؛ ليقوم المعجمي / اللغوي بتحليلها لغوياً واستعمالياً.

د. المصنف النحوي Tagger:

أداة حاسوبية تقوم بتعيين أنواع الكلم حسب مقولتها التركيبية parts of speech، إضافة إلى تعيين بعض المميزات الدلالية، كما هو محدد في تصميم المدونة المحوسبة، وفي تحديد مقولاتها الرئيسية ومقولاتها الفرعية، وكيفية تمييز كل هذا بما يوفر بيئة العمل المناسبة لهذه الأداة البرمجية.

وتختلف المدونات المحوسبة فيما بينها من حيث:

- **الهدف:** (مدونة للدرس اللساني، أو مدونة لصناعة المعجم، أو مدونة للتعليم).

- **الحجم:** (وتتبارى المدونات المحوسبة في زيادة ما تحتويه من كلمات، فيكون التفاوت بملايين الكلمات).

- **طبيعة المادة:** (مكتوبة / منطوقة).

- **المستوى اللغوي:** (نموذجية - دارجة، لابن اللغة - للأجنبي).

٤. في معالجة المادة:

يوظف الحاسوبيون البرامج والأدوات الحاسوبية في إجراء عمليات الجمع والإحصاء والفهرسة والتحليل والتصنيف. ثم يأتي دور المعجمي الذي يقوم بعمليات تحليل النصوص أو السياقات التي وردت فيها الكلمة أو التعبير؛ للتوصل إلى الدلالات، ثم تصنيفها إلى دلالات مركزية، ودلالات هامشية،

(٥) (OCR) اختصار للمصطلح Optical character Reader.
وينبغي أن نميز بين الماسح الضوئي، الذي يدخل النصوص إلى ذاكرة الحاسب بوصفها صوراً لا يمكن معالجتها على أنها حروف، وبين هذا البرنامج الذي يجعلها حروفاً مميزة لدى الحاسوب، وكأنها مدخلة فيه من خلال لوحة المفاتيح.

ودلالات مجازية...إلخ.

ويشمل التحليل:

- عمليات تعين الصيغة المعتمدة لكل مجموعة من تنوعات الصيغ paradigms، وهو ما يعرف بـ Lemmatization أو تحديد رأس لمجموعة تنوعات شكلية لكلمة واحدة من أجل تحديد القائمة المعتمدة لكلمات المصدر المعجمي أو مداخله.

- استخلاص الشواهد والاقتباسات وتجهيزها لدمجها في متن المصدر المعجمي.

- استخلاص السمات التركيبية وتباين الخصائص التصاحبية النحوية والمعجمية لكل كلمة.

- استخلاص الخصائص النطقية للمفردات إفراداً وتركيباً (من خلال المدونة الفرعية النطقية).

- تحديد قيود الاستعمال ومواقف الاستعمال (الخصائص الاستعمالية) والأسلوب style، والذرائعيات pragmatics.

- تحديد التجمعات اللفظية، وما يعد تجمعاً مألوفاً وما يعد تجمعاً حراً.

ويحدد بعضهم ثلاثة أنماط من العبارات phrases: (العبارات المسكوكة fixed phrases، وعبارات تركيبية نحوية syntactical phrases، وعبارات معجمية Lexical phrases)[6].

إضافة إلى التعابير الاصطلاحية Idioms، والأفعال العبارية phrasal verbs.

- استيضاح المعلومات التصريفية والاشتقاقية.

- تحديد العلاقات المعجمية (ترادف – تضاد – تقارب – تضمن – اشتمال).

(6) *Ramesh Krishnamurthy, the process of compilation. In: looking up. P. 66*

٤. في تنظيم المادة وإخراجها:

تُحوَّل المادة المعالجة إلى صورة قاعدة بيانات معجمية تمهيداً لاستخلاص المصدر/ المصادر المعجمية منها. وللحاسوب الدور الأعظم في تنسيق المادة وتنظيمها.

وعن دور الحاسوب في هذا الجانب من تقنيات العمل يذكر فريق عمل معجم COBUILD أن الحاسوب قد (قام بفرز الكلمات بطرائق متنوعة؛ لتصل المعلومات الخاصة بكل كلمة إلى فريق من المحررين والمؤلفين الذين يقومون بدورهم بدراسة هذه الكلمات؛ لإنشاء ملف مفصل لمعانيها واستخداماتها، في قاعدة بيانات معجمية lexical database؛ لتصبح بالتالي المصدر الأولي لعائلة من الكتب)[7]. على أن كل ما تحتويه قاعدة البيانات من معلومات ينبغي أن يربط بنصوص من المدونة.

وتستعمل قواعد البيانات في توحيد المعلومات بأن يكلف الحاسوب توحيد المعلومات المتشابهة، وهو ما قد التزمه مشروع معجم COBUILD؛ إذ أوكل إلى الحاسوب توليد «المصطلح التعريفي» لكل معرَّف من المعرفات، وهو ما أدى إلى إحكام لغة التعريف وضبط محتواها، بناء على منهجية معتمدة في معالجة التعريفات والأنماط الملتزمة[8].

يوكل إلى الحاسوب أيضاً مهمة إجراء اختبارات لضبط الإحالات المتقاطعة cross references وضبط ما التزم به صانعو المعجم، كما حدث في معجم Longman dictionart of contemporary English، حيث أنيط بالحاسوب ضبط كلمات التعريف؛ بحيث لا تخرج كلمات التعريف عن القائمة المعتمدة[9].

(7) *john Sinclair, looking up: Collins cobuild English dictionary, introduction.*

(8) *Jeremy clear, computing in: looking up: p. 41*

(9) *Bo Svnsen. Practical lexicography, p. 254*

وبعـد استخلاص المعجم من قاعـدة البيانات تطبـع المسودة ليقـوم المختصون مــن فريق العمل بمراجعتهــا. وتذهــب بعض دور النشــر إلى إشراك مراجعين متخصصين وغـير متخصصين من خارج فريق العمل؛ ليبدوا ملاحظاتهم في المسودات الأولى أو الطبعات التجريبية.

٥. في متابعة التحديث Updating:

من الســمــات المميزة للعمل المعجمي الحاسوبي إمكانيــة التحديث الدائم دون تكلفــة كبيرة أو وقت طويل. وتشمــل عملية التحديــث إضافة المعلومات الجديــدة التي قــد تستجد نتيجة تطــور العمل، أو نتيجة تكبير المدونة المحوسبة، أو ابتكار أداة برمجية جديــدة. وتشمل أيضاً عملية الحــذف لما قد يثبت خطؤه أو يطوّر فيستغنى عنــه، والتعديل لما يراد به تصويــب، أو لما اكتشف به خطأ أو نقص أو زيادة لا ضرورة لهــا. وعمليات التحديث هــذه قد تكون في إحدى مرحلتين: إما في مرحلة تأليف العمل المعجمي وإعداده، أو بعد الانتهاء منه، ونشره؛ بغرض الإعداد لطبعة أخرى أو إصدار آخر.

ويتيح الحاسوب في عمليات التحديث إمكانات متعددة: فقد يكون التحديث لواقعة معجمية واحدة، وقد يكون شامــلاً لفئة أو لمقولة من مقولات العمل، فتظهر قدرة الحاســوب الفائقة في إجراء التحديث في طــول العمــل بأمــر واحــد، وتظهــر في شاشة التعامــل أو الواجهــة التي يتعامل بهــا المعجمي مع قاعــدة البيانات المعجمية مواضع الحذف والإضافة والتعديــل والاسترجاع، وهو جزء مــن برنامج إدارة قواعد البيانات.

(٢) المصادر المعجمية الحاسوبية:

أحد فروع البحــث المعجمي موضوعه: المعاجم (المصــادر المعجمية) الحاسوبيــة تخطيطاً وتنفيذاً، صناعة وبحثاً. والمصادر المعجمية الحاسوبية أعمال معجميــة حاسوبياً ومخزنة حاسوبيــاً، أو على أحد الوسائط الحاسوبية (CD ROM أو ما شابه).

ويوجـد نمطـان مـن المصــادر المعجميـة الحاسوبية:

الأول: مصادر معجمية للمستعمل البشري تعرض مادتهــا في صــورة واجهــة interface على شاشة الحاسوب، ويمكن للمستعمل أن يطلب منها الكلمات أو المعلومات التي يرغب في معرفتها أو التأكد منها. ومثل هذا النمــط من المصــادر المعجمية قد يكون (تطبيقاً قائماً بذاته مثل Online Dictionary) الــذي يسهل عملية التفتيشــ أو البحث عن الكلمة، وقد يكون أيضاً جــزءاً من نظام أكبر كما في المدقق الهجائــي الخاصــ بمعالج الكلمــات، أو في المعجم المصطلحي لنظم مساعدة المترجمين[١٠].

وأما النمــط الثاني: فمصــادر معجمية تُجعل لأنظمة الحاسوب الداعمة لمعالجة اللغات الطبيعية (فمستعملو هــذه الأنظمة الحاسوبيــة لا يتعاملون مباشــرة مــع المصــدر المعجمــي)[١١] ولا يــرون إلا التطبيقات المبنية على هذه المصادر.

وتجدر الإشارة هنــا إلى أن الدراسة تتناول أنواع المصادر المعجميــة الحاسوبية من الواجهة المعجمية لا من حيث طبيعتها الحاسوبية (الشكل الحاسوبي الــذي تتحقق فيه)، فمثلاً تفصل بين قاعدة البيانات المعجميــة والحديث عن الشبكة اللفظيــة Word Net رغــم كــون الثانية -في تحققها الحاسوبي- هــي الأخرى قاعدة بيانات معجمية[١٢].

(10) *Roy Byrd, Dictionary Systems for office practice in lexicon automating, p.205.*

(11) *Ibid. p.205.*

(١٢) وهو ما يتضح مــن الإصدار الذي حررته *Christian Fellbaum 1998* وهو: *Word net; an electronic lexical database*

أنواع المصادر المعجمية الحاسوبية:

١ - المعجم المقروء آلياً[١٣] (MRD Machine readable dictionary):

لم يرتبط نوع من أنواع المصادر المعجمية الحاسوبية بالمعجمية الحاسوبية قدر ارتباط المعجم المقروء آلياً بها. حتى إن ظهور مصطلح المعجمية الحاسوبية كان يعني دراسة المعجم المقروء آلياً MRD. وقد بدأ المعجم المقروء آلياً في الظهور في منتصف الستينيات، وازداد الاهتمام به مع بداية التسعينيات من القرن العشرين. ويعد أشهر نماذجه: معجم ويبستر الجامعي الجديد السابع، ومعجم لونجمان للإنجليزية المعاصرة.

وينظر للمعاجم المقروءة آلياً باعتبارها مصدراً للمعلومات يلائم الاستخدام في معالجة اللغات الطبيعية NLP؛ وذلك لاحتوائها على كمية هائلة من المعارف المعجمية والدلالية؛ لذا فإن المعجم المقروء آلياً يعد مادة يستخرج منها اللسانيون والمعجميون الحاسوبيون المعلومات الدلالية والتركيبية والصرفية، كما أجرى كثير من الباحثين دراسات حول إمكانية اشتقاق قواعد للمعارف من هذا النوع من المصادر المعجمية.

ومع أن المعجم المقروء آلياً يضم معلومات لا تظهر في المعجم المطبوع إلا أن كثيراً من الباحثين يعدونه نسخة حاسوبية لطبعته الورقية، أو تمثيلاً حاسوبياً للمعجم الورقي.

ومما يذكر من التطبيقات التي تعتمد على المقروء آلياً MRD: المدقق الإملائي spelling checker، وتركيب الكلام، وفك اللبس disambiguation، والتصنيفات الدلالية.

(١٣) يُحترز بخصوص عبارة (المقروء آلياً) أنه ليس المقصود بها أن الحاسب يقرأ المعجم فحسب، بل المقصود أن المعجم في هيئة الكترونية تسمح للحاسوب أن يقوم بمعالجات عليها: Litkowski, Computational Lexicons and Dictionaries, p.2.

ولقد وجد مطورو النظم المعجمية الحاسوبية، والمعجميون الحاسوبيون أن المعجم المقروء آلياً لا يفي بمطالب استخلاص المعلومات بالشكل الذي يرضونه؛ فأخذوا في ابتكار الأدوات البرمجية لتحويل المعاجم المقروءة آلياً MRDs إلى معاجم قابلة للتوسيع آلياً MTDs Machine Tractable Dictionaries؛ لتصبح في صورة صالحة لمعالجة اللغات الطبيعية مباشرة. وتستخدم في ذلك أدوات إحصائية للمفردات وعلاقاتها في المعجم المقروء آلياً MRD، أو بتحليل كلمات التعريف للوصول إلى المعاني النووية التي تحكم بنية المعجم المقروء آلياً MRD، أو بتحليل التعريفات نفسها، وهي الإجراءات التي طبقها فريق عمل معجم لونجمان المقروء آلياً لتحويله إلى معجم قابل للتوسيع آلياً، صالح لتطبيقات معالجة اللغات الطبيعية[١٤] NLP.

٢- الشبكة اللفظية Word Net:

أحد الأشكال التي ظهرت في الأعوام الأخيرة، وهي تقوم على أسس نفسية لسانية بالأساس، وتعتمد في تنظيمها على فكرة المكنز، غير أنها تستغل تقنيات العمل الحاسوبي في توثيق عرى العلاقات بين مفردات المعجم وعباراته. وتحاول الشبكة اللفظية تمثيل المادة المعجمية تمثيلاً يشابه طريق تنظيم العقل البشري للمادة المعجمية (فالبنية التراتبية hierarchical التي تطور عن طريق نظريات تنظيم المعرفة البشرية تزودنا بمكونات مفيدة لمشروعات أبحاث الذكاء الاصطناعي)[١٥].

والكلمة Word هي المكون الأساسي للشبكة اللفظية (غير أنها تحتوي أيضاً على أسماء مركبة،

(14). *Yorik Wilks ET Al, Providing Machine Tractable Dictionary Tools, in Pustejovsky (ed) (1993), Semantics and the lexicon. P341*

(15). *Christian Fellbaum, Introduction in Word Net Electronic Database- A Semantic Net Work of English Verbs, p 2..*

أفعال عبارية، وتجمعات لفظية، وتعابير اصطلاحية). وتقوم فكرة الشبكة اللفظية على أساس فكرة الأعمال الشبكية Net Work.

وتزعم كريستيان فيليباوم أن الشبكة اللفظية (ليست معجماً ولا مكنزاً، ولكنها جُمّاع لسمات كلا النمطين من أنماط المصادر والمعجمية)(١٦). وغاية طموح الشبكة اللفظية هي تنظيم المعلومات المعجمية عن طريق معاني الكلمات لا صيغها.

ومن تطبيقات الشبكة اللفظية في مجال معالجة اللغات الطبيعية:

فك اللبس Disambiguation، واسترجاع المعلومات information retrieval، وتوليد اللغة، والترجمة الآلية. (كما أن قاعدة المعارف المعجمية لا يمكن أن تتجاهل الشبكة اللفظية عند إرادة بنائها)(١٧).

كل هذه التطبيقات تفيد من الشبكة اللفظية؛ نظراً لما في بنيتها من مرونة وقابلية للتوظيف، وما لها من خلفيات إيبيستيمولوجية قامت عليها.

ورغم كل ما في الشبكة اللفظية من مزايا وطاقات تعد بتطبيقات في مجال معالجة اللغات الطبيعية فإنها لا تعدم من يرى فيها نقائص، مثل (صعوبة الربط القائم بين أقسام الكلام المختلفة)، وقلة التعابير الاصطلاحية المدرجة، ناهيك عن أن تصنيفها لم يخطط بشكل شامل محكم)(١٨) ويقترح بعضهم إمكان دمج المكنز بعد إجراء التعديلات عليه -مكنز روجيه- في الشبكة اللفظية الإنجليزية لتجنب هناتها.

(16) Ibid.

(17) Miller. A(1990), Word Net as Lexical Database Organised on Psycholinguistic Principles, Princeton University.

(18) Mario, James, Stan Sopakowicz, Rojet's Thesaurusp A Lexical Resource to Treasure. P.7.

٣- قاعدة البيانات المعجمية: Lexical database

هي صياغة المادة المعجمية في صورة قاعدة بيانات، بما لقواعد البيانات من إمكانات في التخزين، والضبط، والربط العلاقي، وإمكانات البحث، والفهرسة، والاستخلاص، والإحصاء. ويعدها بعضهم نسخة من المعجم المقروء آلياً MRD غير أنها قد عدلت فيها الأخطاء والتناقضات الداخلية التي قد تكون موجودة في المعجم المقروء آلياً MRD. ولإنشاء قاعدة بيانات معجمية يلجأ المعجميون الحاسوبيون إما إلى إعادة بناء معجم مقروء آليا (أو أكثر) في صورة قابلة للتوسيع tractable، أو بتكوينها مباشرة من المدونة اللغوية الحاسوبية.

ويمكن النظر إلى قواعد البيانات المعجمية بوصفها مخزناً هائلاً للثروة اللفظية: ألفاظاً ومعلومات متعلقة بها، مصوغة في صورة منظمية، يمكن توظيف محتواها في إنتاج مصادر معجمية أخرى أو برمجيات حاسوبية تختص بمعالجة اللغات الطبيعية.

ويبدو أن التطور الحادث في أنظمة بناء قواعد البيانات وأنظمة إدارتها قد أغرى معظم الدارسين في هذا المجال المعجمي الحاسوبي بتخزين مادتهم في صورة قواعد بيانات.

٤- شبكة الأطر Frame Net:

هي عمل معجمي يقصد بناء معجم دلالي على هدي من نظرية فيلمور في دلالة الإطار ونحو الحالة Case grammar. وهو معجم دلالي تركيبي بالأساس.

٥- قاعدة المعارف المعجمية: Lexical Knowledge Base

تعد قاعدة المعارف المعجمية إحدى المصادر

المعجمية وأكثرها تطوراً وأعقدها بنية؛ إذ إن متطلبات بنائها المعجمية والحاسوبية -خصوصاً، المعجمية- أكبر من تلك المتطلبات التي يحتاج إليها أي من المصادر المعجمية الأخرى.

فيحتاج بناء قاعدة معارف إلى كم ضخم من الكلمات والتعابير، المنظّمة والمصنّفة تصنيفاً محكماً، يقوم على تجلية أبنيتها الدلالية والتركيبة، (كما تحتاج إلى بيان نسبة تردد الاستعمالات الخاصة بكل كلمة، وبيان الروابط الجلية بين مختلف الوحدات المعنوية). هذا التصنيف يوجد في المصادر المعجمية الأخرى صريحاً وضمنياً في بنية التعريف المعجمي Lexical definition: (معاني ومفاهيم وقواعد ومترادفات وفروقاً لغوية وفهرساً شاملاً لكل كلمة أو عبارة عن عبارات المصدر، وتحديد الروابط بين أقسام الكلام والتعريفات، والتصنيفات الفرعية).

وهناك أنواع من المعلومات يجب أن تتضمنها قاعدة المعارف، وقد لا تضمن في المعجم المقروء آلياً، (وهي الجوانب السياقية للوحدات المعجمية مقدمة بشكل موسع، والمعارف الموسوعية، والمعلومات غير اللغوية).

علاوة على تصميم محلل تركيبي للتعريفات المعجمية Definition parser، حيث إن المحتوى الدلالي والتركيبي للوحدة المعجمية هو أهم ما يقام عليه قاعدة المعارف المعجمية (وإن أهم ما يجابه قواعد المعارف المعجمية هو عدم وجود منجز تنظيري لتحسين نصوص التعريفات أو تنسيق المعلومات الدلالية، اللهم إلا بعض محاولات عرضية مثل شفرات معجم لونجمان الدلالية)(١٩).

ثانياً: البحث المعجمي الحاسوبي:

اتسعت آفاق البحث المعجمي الحاسوبي لانفتاحه على مجالات معرفية عديدة مما أدى إلى إيجاد موضوعات ومجالات بحثية جديدة، تحاول مقاربة المعجم بوجهات نظر متنوعة نفسية معرفية، أو منطقية رياضية. وكان لثلاثية: المعجم، العقل البشري، الحاسوب، أكبر الأثر في تحديد اهتمامات الدرس المعجمي الحاسوبي.

وإن تطور تقنيات الحاسوب وإمكان تطوير أدوات ومنهجيات حاسوبية تلقي بعبء هائل على أكتاف البحث المعجمي الحاسوبي؛ لتطوير نظريات معجمية وبرامج وأدوات لملاحقة الظواهر المعجمية المختلفة والسيطرة عليها؛ فالبرامج الحاسوبية بما هي أدوات tools تعد مجالاً مفتوحاً لتطوير البحث المعجمي، إذ يمكن أن تبدع منها أدوات عديدة تفرضها طبيعة الموضوع المعالج أو متطلبات التنظير اللساني أو المعجمي، علاوة على إمكان تطوير أدوات موجودة بالفعل لزيادة كفاءتها. ويبقى الإبداع في هذا المجال مرهوناً بمتابعة الإبداع في هذه الأدوات والمنهجيات Methods، شريطة ألا تكون فكراً حاسوبياً غفلاً بل ينبغي أن تأتي تحقيقاً لفروض لسانية ومعجمية نظرية.

وينبغي أن نميز بين مساعدات الحاسوب في العمل المعجمي بوصفه آلة تخزين وتنسيق وإحصاء، ومساعداته بوصفه بيئة تضم مجموعة من البرامج والأدوات والمنهجيات تخصص لتنفيذ مهام معجمية مثل: تحليل المدونة المحوسبة وفهرستها، واستخراج المعلومات وتصنيفها آلياً، والتحليل التركيبي الآلي parsing... الخ. ويمكن بناء على ذلك أن نميز بين:

أبحاث ودراسات معجمية تجعل الحاسوب أداة من أدوات بحثها لتقوم بأحد إجراءاته مثل الإحصاء وجمع المادة وتنظيمها.

وأبحاث معجمية حاسوبية موضوعها علاقة المعجم بالحاسوب، وكيفيات إخضاع كل منهما

(19) *Nancy Ide Jean Veronis, Extraction Knowledge Base from Machine Readable Dictionaries. P.8.*

للآخر، ثم كيفية تطوير البرمجيات لمعالجة المعجم نفسه، وتوظيفه في التطبيقات في مجال معالجة اللغات الطبيعية NLP.

أما عن مساعدة الحاسوب (برامجه وأدواته) للبحث المعجمي وعلم المعجم فيمكن أن نذكر منها:

الإحصاء والتمثيل البياني القوائمي والجداول والفهرسة، باعتبار كل هذا وسيلة لتحليل المعجمي. وتستخدم هذه الإجراءات عند إرادة التوصل إلى أشيع الكلمات أو المعاني لصنع معجم لمتعلمي اللغة أو فئة بعينها. كما يستخدم في الدراسات الأسلوبية الإحصائية.

اكتشاف الظواهر المعجمية الجديرة بالدرس مثل:

- الفجوات المعجمية (لفظية أو دلالية).
- العجر المعجمية (ترهل في أحد جوانب المعجم كلماته أو معانيه).
- التصاحبات والتجمعات اللفظية Collocations.
- المتنافرات الدلالية واللفظية.
- التنوعات اللفظية الشكلية والهجائية.

تحليل الظواهر التي تحتاج إلى جهد أو وقت أو دقة أعلى، بما للحاسوب من قدرة على السيطرة على الظواهر المعقدة والمتشابكة الفروع.

التواصل إلى البنية القارّة لمعجم اللغة.

ولا شك أن العمل المعجمي الحاسوبي قد جلّى ظواهر جديرة بالدرس لم تكن ذات اهتمام بحثي من قبل، وشدد على أهمية ظواهر أخرى لم يكن لها نفس الدرجة من الاعتناء البحثي، مثل دراسات إزالة اللبس، وما طُوّر من أدوات لذلك.

ويمكن تصنيف موضوعات البحث المعجمي الحاسوبي (بحثاً وتطويراً برمجياً) كما يلي:

- أبحاث تدور حول اكتساب المعرفة المعجمية آلياً Knowledge Acquisition، أي الحصول عليها من مصادرها المعتادة (المدونة اللغوية المحوسبة أو المعاجم التقليدية)، ثم تخزينها في الحاسوب. ويشمل هذا أيضاً عمليات التوليد المعجمي.

- أبحاث حول تحليل المعرفة المعجمية وتصنيفها والتوصل إلى بنيتها القارة.

- أبحاث تدور حول تمثيل المعارف المعجمية (للمستعمل البشري أو لأنظمة الحاسب) في صورة معاجم مقروءة آلياً MRDs أو معاجم ورقية.

- أبحاث تدور حول توظيف المعارف المعجمية في التطبيقات المختلفة مثل NLP معالجة اللغات الطبيعية أو صناعة المعاجم (بتخطيط المعاجم، واختيار مادتها، وإعداد قوائمها، وإحداث الربط بين مصادر المعارف المعجمية المختلفة Mapping؛ لتحقيق أكبر قدر من الدقة وتعميق المعلومة، وتعليم اللغات (خصوصاً للأجانب أو الصغار)، وبرامج الفهرسة، والتلخيص، ومحركات البحث، والحوسبة الدلالية التي هي أساس تطوير برامج الذكاء الاصطناعي Artificial Inteligence والأنظمة الخبيرة.

ويعنى بالبحث في المعجم –إلى جانب المعجمين الحاسوبيين– علماء الذكاء الاصطناعي والهندسة اللغوية.

واقع المعجمية الحاسوبية العربية

مدخل:

بدأ المعجم العربي دخول عصر الحاسوب في السبعينيات من القرن العشرين، وكانت بداياته إحصائية، ثم أخذ الاهتمام يتزايد باللغة العربية سواء خارج الوطن أو داخله. ثم بدأ المعجم العربي يأخذ في الثمانينيات سمتاً حاسوبياً، فشيّدت قواعد

بيانات معجمية ومعاجم إلكترونية؛ لتستغل في مجال معالجة اللغات الطبيعية NLP، أو للتعامل المباشر من قبل المستعمل البشري.

ثم "اكتسبت المعالجة الآلية للغة العربية اهتماماً متزايداً من الباحثين العرب بدءاً من منتصف الثمانينيات: فقد عقد عدد من المؤتمرات في الكويت والمغرب وتونس والقاهرة ودمشق حول هذا الموضوع[٢٠]، وكان المعجم وتطبيقاته في قلب هذه الاهتمامات.

ومما يلاحظ على العمل المعجمي العربي الحاسوبي -خصوصاً داخل الوطن العربي- التكتم الشديد على المنجز الحاسوبي في هذا المجال وعدم إتاحة تفاصيل معرفية عنه؛ لأسباب أهمها النظرة التجارية التي تحكم معظم المؤسسات العاملة في هذا المجال. حتى إن ما يرد في معظم الأوراق البحثية لا يعدو كونه حديثاً (عن) الموضوع لا حديثاً (فيه).

كما يلاحظ اهتمام دول غير عربية بمعالجة اللغة العربية آلياً عموماً، ومعالجة المعجم العربي آلياً على و جه الخصوص. وهو اهتمام يتخذ شكلاً جامعياً أكاديمياً، أو شكل مؤسسات تجارية؛ حتى إن أحد المشروعات العلمية Nemlar -وهو ممول من الاتحاد الأوربي- يقوم بعمل مسح شامل survey للمؤسسات والأفراد المهتمين بهذا المجال، ويتابع المشاريع البحثية والتجارية[٢١]، في إطار اهتمامه باللغات الأورومتوسطية، وهي محاولة لاحتواء الطابع التشرذمي الذي يسم العمل البحثي العربي.

أولاً: وصف للمعجمية العربية الحاسوبية:

تحاول الدراسة هنا إعطاء لمحة عن العمل المعجمي العربي الحاسوبي صناعة وبحثاً نظرياً وتطبيقياً.

- المؤسسات المعنية بالعمل المعجمي الحاسوبي:

عنيت مؤسسات (تجارية وأكاديمية) بالعمل المعجمي العربي الحاسوبي سواء في داخل الوطن العربي أو خارجه، ويمكن أن نمثل لها بما يلي:

أ- داخل الوطن العربي:

جمعية الهندسة اللغوية، الشركة الهندسية لتطوير أنظمة الحاسب (RDI)، جامعة عمّان، جامعة محمد الخامس بالمغرب، جامعة بالمائد بلبنان، شركة العالمية صخر.

ب- خارج الوطن العربي:

جامعة كوبنهاجن بالدانمارك، إلدا ELDA بفرنسا، جامعة ليون٢ بفرنسا، معهد معالجة اللغة والكلام باليونان، جامعة أتريخت Utrecht بهولندا، الجامعة المفتوحة بانجلترا، جامعة استانفورد بأمريكا وغيرها[٢٢]. وقد رمى البحث بإيراد هذه الأسماء إلى أن يشير إلى كثرة المهتمين بالقضية وبالتالي يوضح مدى خطرها وأهميتها.

ويمكن تلخيص أهم توجهات البحث المعجمي الحاسوبي الغربي في الموضوعات التالية:

- بناء المصادر المعجمية (اقتراح -تحديد المتطلبات -التوظيف).
- توليد المعرفة المعجمية واكتسابها.
- التحليل.
- اقتراح الحلول وتطوير الأدوات. مثل المحلل الصرفي، و(المعين النحوي) Tagger، والمفهرس الآلي Concordance، والمحلل المعجمي... إلخ.
- التحليل الإحصائي والبحث اللساني الحاسوبي النظري (مثل متطلبات فك اللبس).

(٢٠) علي فرغلي في مقدمة ترجمة: آلان بونيه، الذكاء الاصطناعي: واقعه ومستقبله -عالم المعرفة، الكويت سنة ١٩٩٣.

(٢١) www.Nemlar.org وقد عقدت مؤتمرات تخص المعالجة الآلية للغة العربية.

(٢٢) التزمت الدراسة بإيراد الأسماء التي شملها المسح الذي قامت به مؤسسة NEMLAR.



أما طبيعــة البحوث والدراسات التي أنجزت في هذا المجال فهي نوعان، من حيث تخصص أصحابها: النــوع الأول: أبحاث ودراسات قام بها لسانيون، مثل: عبد القادر الفاسي الفهري في بحثه (ثلاثة إشكالات في حوسبة المعجم)[٢٣]. ويذهب فيه –بوصفه لغوياً في الأصل– إلى أن العمــل المعجمي الحاسوبي تطبيقات لإشكالات بحثية معجمية لسانية نظرية[٢٤]. وهو رأي يتسق وخلفيتــه المعرفية اللسانية، بــل يتفق وطبيعة العمــل المعجمــي الحاسوبــي، ويرى الفهــري ثلاثة إشكالات ينبغي درسها عند إرادة حوسبة المعجم هي:

- تحديد المادة المعجمية وطبيعتها ومصدرها.
- تحديد محتوى المداخل المعجمية.

تمثل القواعد التي تربط بين المفردات، أو تحتسب ما هو حشوي فائض، وصوغها ضمن المعلومات التي تــرد، أو يمكن أن تــرد، في المداخل[٢٥]، وهو يتحدث عن نوعين من المعاجم: أحدهما موسع، والثاني مقعّد (يستعيض عن الحشو بإيراد القواعد)[٢٦].

ومــن اللسانيين إبراهيم بــن مراد في بحثه عن (المعاجم العلمية المختصة ودور الحاسوب)[٢٧]. وتحدث فيه عن مجــالات ثلاثة يمكن أن يكون للحاسوب دور فيها وهــي: التوليد المصطلحــي، والجمع، والوضع (أي إنجــاز المعجم وتحريره)[٢٨]. وهو في هذا البحث يحــاول أن يقدم متطلبات المجــال المعجمي المختص (المصطلحي) للحاسوبيين؛ كي يتخذوا فيها إجراءات برمجية، وغنــي عن البيان أن البحــث حديث لغوي خالص لا حاسوبية فيــه، وليس مطلوباً من معجمي أو لساني غير متخصص في اللسانيات الحاسوبية أن يتناول حديثاً متكاملاً في مثــل هذه المواضيع، ولكن يطلب منــه –كما فعل إبراهيم بن مــراد– أن يحدد متطلبات اللغوي من الحاسوب، كما يفعل محلل النظم تماماً عندما يحدد متطلبــات الحاسوب من اللغوي (كيف ينظم مادته ليتقبلها العقل الالكتروني).

ومنهم نهاد الموسي في كتابه (اللغة العربية نحو توصيف حاسوبــي): ويخصص فيه فصلاً للمعجم، يحاول تقديم نماذج لتوصيف مادة المعجم للحاسوب، مستخدما بعض معطيــات التيار اللساني التوليدي. ولكــن الأمر أعقد من أن يعقد له فصل في كتاب ولا يتناول قضاياه الملحة، مثل قضايا فك اللبس المعجمي، وتنظيم المادة المعجمية، والبنية المعجمية... الخ.

ومنهم محمد الحناش، في بحثه: مشروع نظرية حاسوب لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية[٢٩].
النوع الثاني: أبحاث ودراسات قام بها حاسوبيون:

ورائد معالجة اللغة العربية هو نبيل علي الذي وضع كتــب (اللغة العربية والحاسوب)، خصص فيه الفصــل الثامن لميكنة المعجم العربــي، وعرض فيه لأزمة المعجم العربي وأسبابها، وقدم اقتراحين لحلها من وجه نظــر حاسوبية. فبحــث المعجم من ناحية طبيعتــه، وطبيعــة مضمونه، وتنظيمــه، وتحديثه، وخدماتــه للبشر والنظم الآليــة[٣٠]. وأفاد نبيل علي مــن التوجهات اللسانية التوليدية في مقاربته المعجم العربــي، ومن بعض توجهــات الدلالة المعجمية، في محاولتــه تفتيــت العنصر المعجمي الــذري. وطالب المعجميين العرب المحدثين بإعادة النظر في مضمون المعجــم العربي؛ لفرز المهجــور، واستغلال الحصاد المعجمي الهائل[٣١]، ولكنه لم يقدم معياراً لهذا الفرز، واكتفى بتصور فؤاد نعمة في تقسيمه الاسم إلى جامد ومشتق، واعتبار المصدر جامداً وهو ما يخالف التوجه المعجمي سواء القــديم أو الحديث: ففي القديم هو

(٢٣) ضمن كتابه: المعجمة والتوسيط، ص ص: ٦١ –٧١.
(٢٤) السابق ص٦١.
(٢٥) السابق نفسه.
(٢٦) السابق ص ٦٨.
(٢٧) إبراهيم بن مراد: مسائل في المعجم ص ص ٧٨ –٩٨.
(٢٨) السابق ص ٨٢ وما بعدها.

(٢٩) نهاد الموسي (اللغة العربية نحو توصيف حاسوبي).
(٣٠) السابق: ص ٤٥٩.
(٣١) السبق ص ٤٧٦، ٤٧٧.

الجذر، وفي الحديث الأصل مختلف فيه. ولكن تبقى رؤيته للعمل المعجمي العربي الحاسوبي، أجلى الرؤى الحاسوبية حتى الآن.

ومن الحاسوبيين سلوى حمادة، في بحثها: (نحو إنشاء قاعدة بيانات معجمية آلية: معجم عصر المعلوماتية)[٣٢]. الذي تدعو فيه إلى بناء معجم يواكب متطلبات العصر مادة ومنهجاً، وتقترح خطوات لإنشاء قاعدة البيانات المعجمية الآلية[٣٣]. كما تقترح تصنيفاً هرمياً لبنية المعجم يمكن تمثيله من خلالها. ومن دراسات الحاسوبيين دراسة إحسان عابد Construction of general Arabic Lexicon[٣٤] وتضع تصوراً عن المعجم العام الذي تتطلبه تطبيقات معالجة اللغات الطبيعية (NLP) وخصائصه –كما تراها الدراسة– من وجهة نظر حاسوبية.

وهناك دراسات استخدمت الحاسوب أداة لضبط بنية المعجم العربي الصرفية، مثل دراسات علي حلمي موسى عن جذور المعاجم، وأولها: معجم الصحاح[٣٥].

أما المشاريع العلمية والمصادر المعجمية الحاسوبية العربية فنستعرضها فيما يلي:

١- معاجم استعانت في تنظيم مادتها وإحصائها وإخراجها بالحاسوب، وذلك مثل سلسلة معاجم شعراء العصر الجاهلي لسهام عبد الوهاب الفريح.

٢- معاجم تقليدية لبست الثوب الحاسوبي بإدخالها –عبر لوحة المفاتيح– كما هي، ودون تغيير كبير، اللهم إلا ما فرضته الطبيعة الحاسوبية تنظيماً للمادة وطريقة عرض واستعلام، وذلك مثل معجم الغني، والمعجم العربي الشامل، والمعجم الوسيط في نسخته المحوسبة، وغيرها. وجعلت هذه الأعمال على اسطوانات (CD Rom)، أو أتيحت للبحث على شبكة المعلومات الدولية (الشابكة أو الإنترنت) (أون لاين) On-line Dictionary.

٣- قواعد بيانات معجمية:

وذلك مثل قاعدة بيانات جامعة ليون ٢ (DIINAR.١). على أن لكل المؤسسات والشركات التجارية العاملة في مجال معالجة اللغات الطبيعية قواعد بياناتها الخاصة بها، كالشبكة اللفظية الشاملة لشركة صخر.

٤- المدونات المحوسبة Corpora:

وهناك عدد من المدونات العربية المحوسبة داخل الوطن العربي وخارجه، ولكن المدونات المحوسبة المحولة من الخارج هي المتاحة للاستعمال والاطلاع عليها، ومعظمها مشاريع علمية أكاديمية. ومنها مدونة أعدها أحمد عبد العلي وجيم كوي وحمدي سليمان[٣٦] A Modern Standard Arabic Corpus، ومدونة جامعة نايخمين[٣٧] (Nijemeyn corpus)، ومدونة جامعة ليون[٣٨] DIINAR. Corpus.

ثانيا: نقد المعجمية العربية الحاسوبية:

ورثت المعجمية العربية الحاسوبية كل المشكلات

---

(٣٢) سلوى حمادة: نحو إنشاء قاعدة بيانات معجمية آلية (معجم عصر المعلوماتية): أبحاث المؤتمر الثاني لهندسة اللغة ص٢٨ -٥١.

(٣٣) يبدو الأمر ص٣٦ ملتبساً عند الحديث عن خطوات إنشاء قاعدة البيانات المعجمية حيث تبدأ بالقول: تصنيف النصوص، فأية نصوص؟ ربما حدث سقط أحسبه الحديث عن بناء مدونة لغوية محوسبة.

(٣٤) ضمن أبحاث المؤتمر الثاني لهندسة اللغة *Ehsan Abed: Construction of a General Arabic Lexicon.*

(٣٥) علي حلمي موسى: دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر –مطبوعات جامعة الكويت- ١٩٧٣.

(٣٦) ينظر التقرير الذي قدمه ثلاثة الباحثين: *Ahmed Abdelali & Jim Cowie and Hamdy S.Soliman, Building a Modern Standard Arabic Corpus.*

(37) www.let.kun.nl/wba/content

(٣٨) عبد القادر القاسي القهري: ثلاثة إشكالات في حوسبة المعجم، ضمن المعجمة والتوسيط ص ٦٣.

النظرية عن المعجمية التقليدية؛ لذا فإن معظم هنات المعجم التقليدي تظهر في المعجم الحاسوبي.

ويمكن رصد مـــا يوجه من نقد للعمل المعجمي العربي الحاسوبي فيما يلي:

١. اعتمـاد معظـم المصادر المعجمية المحوسبة على المعاجم التقليدية: التي تفتقر بدورها إلى الأسس النظريـة البحثية، التي تجعلها مـادة كافية لمطالب معالجـة اللغات الطبيعية NLP، أو تكفي لأن تكون مصادر معجمية ذات كفاية وصفية تتوجه للمستعمل البشري. وهو ما لاحظه عبد القادر الفاسي الفهري علـى المعاجم العربيـة من قصور وافتقـاد للكفاية الوصفيـة، ونقصـن في الاستيعاب، وعـدم النسقية أو الانتظـام في جوانب النطـق والصرف والتركيب والدلالة أو جانب التأثيل Etymology(٣٩).

علـى أن العاملين في المجـال المعجمي العربي اكتفوا بالاعتمـاد على المعاجم التقليدية -مع رميها بسهام النقـد- في بحوثهم ودراساتهـم النظرية، أو برامجهـم الحاسوبية، دون محاولـة لاقتراح معاجم تفي بمتطلبات التنظير المعجمي اللساني، أو المعجمي الحاسوبي ومعالجة اللغـة الطبيعية(٤٠). وإن تعرض بعضهم لذكر المطالب الحاسوبية في المعجم العربي، مثل نبيل علي في كتابه: (اللغة العربية والحاسوب)(٤١)، وسلوى حمـادة في بحثها: (نحو إنشاء قاعدة بيانات معجمية آليا)(٤٢).

(٣٩) عبـد القادر الفاسـي الفهري: ثلاثة إشـكالات في حوسبة المعجم، ضمن المعجمة والتوسيط ص ٦٣.

(٤٠) يمكـن التمثيـل على ذلك بموقـف نبيل علي مـن المعجم الوسيـط: اللغـة العربية والحاسوب ص٤٧٠، وموقف شركة صخـر من المعاجم التقليدية التي تعرضـن على موقعها، وهي عبارة عن نسخ مـن المعاجم التقليدية المطبوعة، وموقف عمر مهديـوي من لسـان العرب: مدخل إلى العـلاج الآلي للمعجم العربي من اعتماد على لسان العرب.

(٤١) نبيل علي: اللغة العربية والحاسوب -ص٥٢٧.

(٤٢) سلوى حمادة: نحو إنشاء قاعدة بيانات معجمية آلية -معجم عصر المعلوماتيـة، أبحاث المؤتمر الثاني لهندسة اللغة ص ص ٢٨ - ٥٠.

ولاشـك أن حـل الإشـكالات التنظيريـة حلاً نظرياً في المعجم التقليـدي ستظهر آثاره في المعجم الحاسوبي؛ فالمعالجة الحاسوبية للمعجم مرآة تعكس المنجـز التنظيري، وتحصر نتائجه ثـم تعيد تمثيله. فلا يمكـن أن نظن أن (تقنيـات التخزين ومعالجة المعلومـات التي توفرها الآلـة تمكّن من بناء معاجم آلية وفق ضوابـط لسانية وحاسوبيـة صارمة)(٤٣)، ما لم تكن هـذه الضوابط متوفرة قبلاً، ويأتي العمل الحاسوبي تطبيقاً لها.

٢. اعتماد مفاهيم لغوية تقليدية(٤٤)، مما يؤثر في دقـة النتائـج التي يخرجها البحـث الحاسوبي: فتحديث المفاهيم اللغوية والمعجمية ينبغي أن يسبق التحديـث التقني(٤٥)؛ إذ إن الأول هاد ومرشد للثاني لا العكس. والتحديث التقني من المفاهيم التي ينبغي أن يتخذ فيها موقف مبنى على درس نظري.

ومـن الجوانـب التقليديـة الموقف مـن أصل الاشتقاق واتجاهه، وأقسام الكلام، واللغة الشارحة، وغيرها.

٣. عدم وضـوح الموقف من التجمعات اللفظية أو تحديده، وإزالة الاختلاط الذي يحدث بين أنواعه؛ فالفـروق ليست جلية بـين أنواع هـذه التجمعات، ويشتد الخلط عند الحديث عن التعبير الاصطلاحي (Idiom)، فتعد بعض المؤلفات المعجمية الحاسوبية الأمثلة التالية تعابير اصطلاحية، دون تفريق أو تمييز: (تلوث البيئة -التوازن النـووي -الانفجار السكاني -أشعة تحت الحمراء -سفير فـوق العادة -تكهرب الموقف -أسلوب تلغرافي -حركة مسرحية -تفجرت

(٤٣) عمـر مهديوي: مدخل إلى العـلاج الآلي للمعجم العربي - ص٣.

(٤٤) ينظـر -علـى سبيـل المثال- سلـوى حمـادة: مرجع سابق ص٣٤.

(٤٥) يقـول الهـري: «ونستغرب إذ نجد مهندسـي اللغة يوظفون في قواعـد معطياتهـم المعلومات والضوابـط التقليدية، رغم كونها غـير كافية -العربية- الفهري: اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق... ص٢٦.

الأزمة)؛ مما يدعـو إلى التساؤل عن المفهوم المعتمد للتعبير الاصطلاحي تحديـداً. على أن هذا الموقف ليس له أن ينضبـط ما لم يعتمد على تأسيس نظري شامـل، ومدونة محوسبة تحلل النتائـج المستخرجة منهـا ثم توصـف؛ إذ لا أمل في تعريـف الحاسوب التعابير الاصطلاحية –مثلا– فيتعرف عليها آلياً في النصوص التي تقدم إليه ليعرف معناها –أو مقابلها إذا كان الحديـث عن تطبيقـات الترجمة الآلية– ما لم تكن الأفكار النظريـة واضحة في أذهان مبرمجيه ابتـداءً. وخير مثال على ذلك ما وقع فيه فريق عمل "القاموس الهولنـدي –العربـي"[٤٦] عند تحليلهم للمدونة العربية المحوسبـة، فقد خلطوا –كما ظهر في متـن المعجم– بين مفهـوم التعابير الاصطلاحية Idioms والمصطلـح Term والأمثال Proverbs والتصاحبات العادية. وهـذا الخلط سوف يؤثر في موثوقية النتائج بالتأكيد.

٤. **أغرى الحاسوب** بقدرتـه الفائقـة علـى تنفيـذ الأوامـر في سرعة ودقة مهمـا كان حجمها –الحاسوبييـن بسحـب كثير من المنجـز العربي في مجال المعجم المحوسب وتطبيقاته، دون تمهيد البيئة اللغويـة النظرية التي تستطيـع احتواء هذا المنجز، فكيف يمكن –مثـلاً– لشبكة لفظيـة word net عربيـة أن تنجز دون تكون البنيـة الدلالية للمعجم مضبوطة ومحكمة تحليـلاً وتمثيلاً، سواء في صورة تعاريف معجمية منضبطة لغة ومحتوى، أو في صورة مكانز عربية تصلح أساسـاً لبناء مثل هذه الشبكة. وكيف يمكن استخلاص معلومات دلالية، أو تركيبة، من المطور المعجم developer دون أن تكون هذه المعلومات ممثلة في النص المعجمي تمثيلاً مطرداً، أو مبنياً على تحليل دلالي تركيبي وبلغة منضبطة.

فالحديث عـن أي عمل معجمـي حاسوبي، لم تعدّ له العدة المعرفيـة اللسانية النظرية والتطبيقية الكافيـة، لهـو بمثابة قفز إلى النتائـج دون معالجة المقدمات.

٥. **لما يزل القائمون بالبحث في مجال المعجمية العربية الحاسوبية** يعددون عيوب المعاجم التقليدية، ناسـين أو متناسين أن إمكانـات الحاسوب تمكنهم من أن يبنوا هـم معاجمهم بمواصفاتهم الخاصة إن هم اعتمدوا مدونة لغوية محوسبة Corpus وكانت لهـم الإمكانات المعجمية –إلى جانب الحاسوبية– أو باشتراك المعجمي والحاسوبي معاً في تصميم المدونة، وتحليلهـا، ثم تحريـر مداخل المعجـم الذي يخدم تطبيقاتهـم، والذي يخلو من العيوب التي يرونها في المعجم التقليدي.

فـلا يعقـل لمـن يعمـل في العمـل المعجمـي (الحاسوبـي) أن يعد من أسباب أزمة المعجم العربي قيامه علـى نظام ترتيبي واحد هـو نظام الجذور، وهـو أمر ليس له أن يذكر في عصر الحواسيب التي يمكنها أن تقدم عدداً لا نهائياً للترتيب، إذا أعطاها الحاسوبـي هذه المعلومة: فقاعدة البيانات المعجمية يمكـن أن يجعل لها أكثر من فهرس، على أن يكون أساس الفهرس مُعطى من قبل: كالبحث بالجذر، أو الكلمة، أو الوزن الصرفي أو الحقل الدلالي، أو البنية المحمولية للفعل أو المشتق، أو غير ذلك.

فلا مجال لكل مـا يقدمه الحاسوبيون من نقد للمعجـم التقليـدي، وإن كان جلـه صحيحاً؛ فليس المطلـوب أن يهجم الحاسوبي على مـادة سائغة ثم يجعل الحاسـوب يتعامل معها، إنما ينبغي أن يوضع في الاعتبـار أن المعجمية الحاسوبية –هي الأخرى– مطلـوب منها صنع معاجم صناعـة حقيقية، ابتداء من التخطيط واتخاذ مدونة نصوصية، ثم حوسبتها،

(٤٦) قاموس هولندي –عربي، رئاسة هيئة التحرير يان هوخلاند، كيس فرستيخ، مانفريد فويديش.
ولقـد وقع فريق العمل في هنـاك كان مبعثها –على الأرجح– عدم وضـوح التصور النظـري والمفهومي لكثير مـن القضايا عند تحليل المدونة، وبالتالي صناعة المعجم اتخاذاً لمداخله، وتصنيفاً وتوصيفاً، لها ثم تمثيلاً لمحتواها الدلالي والتركيبي.

ووضـــع مخطط لمقولاتهـــا الرئيســـة والفرعية، ثم التحليـــل المعجمـــي والتحرير؛ فيكـــون المعجم الذي نريده جميعاً.

واتخـــاذ مدونـــة محوسبـــة يجعل أقـــوالاً مثل: (احتـــواء المعجم التقليدي ألفاظـــاً ومعاني مهجورة) لا مجـــال لها أيضـــاً؛ إذ ما معيـــار الحكم على كائن معجمـــي (كلمة أو معنـــى أو استعمال) بأنه مهجور؟ وهـــل يمكن أن يخول لـــذوق المعجمي الحكم بذلك، ثم يقوم بالنفـــي والاستبعاد لما يـــراه غير مستعمل، تبعاً لذوقـــه؟ أحسب أن نتائـــج إحصاءات المدونات المحوسبة هي التي يجدر بنا أن نتخذها حكماً.

٦. عـدم التوازن بين البحث المعجمي الحاسوبي والأعمـال التطبيقيـة: فمعظم ما يقـدم إن هو إلا تقارير عن مشروعات، ولا يـكاد يعد بحثاً علمياً أو دراســـة معمقـــة، باستثناء بعض رسائـــل علمية مثل دراسة لطيفة السليطي عن (تصميم وتطوير مدونة محوسبة للعربيـــة المعاصرة)[٤٧]. ويمكن التأكد من ذا باستطلاع عناوين أي مؤتمر عقد في هذا المجال.

٧. مركزيـة الصـرف في المعالجـات الحاسوبيـة للمعجـم وطغيـــان فكرة (الجذر –الجـــذع –الوزن –المجرد والمزيـــد..) على الفكر المعجمي الحاسوبي. ومرد ذلك إلى أمريـــن: أولهما سهولة السيطرة على مـــادة المعجم تنظيماً واستعلامـــاً من خلال الصرف (أو المحللات الصرفيـــة)؛ لصورية المقاربة الصرفية أو شكليتها، وإمكان إخضاعها للحوسبة دون الدخول في غياهب الدلالة والتركيب. والأمر الثاني هو بقايا تكبل بالفكر المعجمي التقليدي.

علـــى أن البحث لا يعيب الاهتمام بالصرف إنما يعيب كونـــه المحور الوحيد الذي يـــدار عليه المعجم، وهذا موقف نظري أدى إلى إهمال البحث في جوانب بنيـــة المعجم، التي تعـــد من أهـــم القضايا في مجال العمل المعجمي الحاسوبـــي الغربي، والبنية المعجمية Lexical Structure – في ظني هي التي تتجلى فيها المادة النظرية التي تحكم المعجم تنظيراً وتنظيماً.

٨. يحتـاج العمـل المعجمي الحاسوبـي العربي إلى وقفـات عند كل طور مـــن أطوار صناعة المعجم، بأن تخصص دراسات للمدونـــة المحوسبة تخطيطاً وتصميماً، ومن بعدها التحرير، ثم الإخراج النهائي، ومتابعـــة التحديث. وينبغي أن تكـــون هذه الوقفات معجميـــة وحاسوبيـــة في آن؛ حتـــى لا يســـير العمل المعجمي على ساق واحدة، فاللغويون والمطورون –في واقعنـــا العربي– غالباً مـــا يعمل كل منهم في واد؛ إذ إن لكل خلفيته المعرفية المختلفة. والمطورون يرون في اللغـــوي أداة للتوثيق لا شريكاً فكرياً في العمل. ولعل أجيالاً جديدة تجمع بين اللغوي والحاسوبي فتقضي على هذه الازدواجية.

٩. عـدم ظهـور آثـار الحاسوب في مجـال العمل المعجـمي الورقـــي أو الحاسوبي فلم نر مثلاً معاجم للاستعمـــال Usage Dictionaries أو معاجـــم التجمعات اللفظية، أو قوائم بأشيع الكلمات ومعانيها، الـــخ. وهي الأمور التي ستكـــون معالجتها من خلال المدونة المحوسبة أمراً سهلاً إن هي بنيت على تنظير لساني. فإلى الآن لم يخرج لنا معجم بمواصفات معجم لونجمـــان للإنجليزية المعاصـــرة، أو كولينز كوبيلد. وكل مـــا رأيناه هو معاجم لا تقدم جديداً غير تسهيل عملية البحث، وهي ما يمكن أن نطلق عليه "المعاجم المحوسبة التقليدية".

١٠. نـدرة العمل الجماعـي: مما أدى إلى تكرار العمل الواحد أكثر من مرة، على حساب موضوعات أخرى لم تطرق بعد. فمـــن الموضوعات التي أنجزت أكثر من مرة المحلل الصرفي "بوصفه أداة من أدوات التحليل أو التوليد المعجمي".

(47) *Latifa Al_Sulaiti, Designing and Developing a Corpus of Contemporary Arabic, the University of Leeds, School of Computing (2004).*

١١. ضحالة المعرفة اللسانية التي تبنى عليها الأعمال المعجمية الحاسوبية (خاصة التي تنهض بها المؤسسات التجارية؛ لاعتمادها على التقنيين وقلة من غير المتخصصين (لأسباب اقتصادية)، كما أن هذه المؤسسات –ناهيك عن المؤسسات الحكومية– لا تدعم الباحثين الجادين في هذا المجال، وهو ما يمكن أن نسميه تمويل المنتج لا تمويل المنتج، أي تمويل المشاريع دون تمويل الباحثين، الذين يفترض فيهم زيادة الأعمال المعجمية ومشروعاتها تخطيطاً وتنظيراً وتنفيذاً واختباراً.

١٢. عدم رعاية الكفاءات العلمية في هذا المجال؛ مما يدفعهم إلى الهجرة إلى الدول الغربية، المهتمة اهتماماً كبيراً بالعربية: درساً نظرياً، وحوسبة، وتطبيقات، ويمكن الزعم بأن عدد المتخصصين في هذا المجال من العرب المقيمين أو العاملين في الخارج يفوق بكثير عددهم داخل الدول العربية.

آفاق العمل المعجمي الحاسوبي

من واقع العمل المعجمي الغربي الحاسوبي ومن خلال مقارنته بالواقع المعجمي الحاسوبي العربي يمكن استشراف آفاق العمل المعجمي الحاسوبي على النحو التالي:

١. فهناك أعمال بحثية ودراسات ينبغي إنجازها، مثل الأبحاث الدلالية المعجمية، والأبحاث في مجال الاستعمال usage، والبنية المعجمية، والبنية الاشتقاقية الدلالية للمعجم العربي، ودراسات لسانية نفسية تقصد إلى توصيف المعجم الذهني لمتكلم العربية.

هذه الدراسات وغيرها سوف تكون وسيلة لتجاوز حديث المثقفين إلى حديث البحث العلمي اللساني ونتائجه المبنية على تأسيس نظري وتجريب عملي.

٢. ينبغي أن ينهض بالتخطيط للأعمال المعجمية معجميون حاسوبيون ذوو تأسيس لساني حتى يمكن تجاوز الصدمة التكنولوجية التي أصابت كثيراً من العقول فراحت تتخيل أن الحاسوب يمكنه –وحده أو بمعاونة الحاسوبي فقط– أن يبني معجم (عصر المعلومات).

٣. ينبغي تطوير أدوات Tools نابغة من بيئتنا اللغوية، وعدم الاكتفاء بسحب المنجز الغربي دون اعتبار للفروق بين طبائع اللغات.

٤. ينبغي تطوير أدوات لتحليل المدونات النصية حتى يمكن فرز التجمعات اللفظية والتعابير الاصطلاحية.

٥. ينبغي التأسيس (أو إنجاز البنية البحثية التحتية) لإنشاء مصادر معجمية حاسوبية مختلفة، أهمها –فيما يخص الواقع المعجمي الحالي– معجم مقروء آلياً (MRD) يضاهي معجم ويبستر السابع، أو معجم لونجمان للإنجليزية المعاصرة؛ بحيث يكون مادة للبحث والدرس المعجمي الحاسوبي، واستخلاص المعلومات التركيبية والدلالية، وتوليد مصادر معجمية أخرى منه أو بمساعدته مثل Word net.

٦. يمكن بناء مدونة محوسبة تكون ملكاً عاماً يستعملها الباحثون والدارسون. ومن هذه المدونة ومن نتائج دراستها يمكن إعادة التخطيط اللغوي في الوطن العربي، وتنسيق الجهود الرامية إلى التعريب، وتوحيد المصطلح.

وهذا لن يكون إلا بخلوص مؤسسات علمية لهذا المجال، وتعاون الأكاديمي والتجاري لاستغلال مزايا التوجهين (والأمثلة الغربية على نجاح مثل هذا التعاون كثيرة، منها مشروع كوبيلد COBUILD، ولونجمان Longman، وأوكسفورد Oxford).

المراجع:

أولا: المراجع العربية:

إبراهيم بن مراد:
- مسائل في المعجم- ط١، دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٩٩٧.

سلوى السيد حمادة:
- نحو إنشاء قاعدة بيانات معجمية آلية "معجم عصر المعلوماتية"- أبحاث المؤتمر الثاني لهندسة اللغة- القاهرة ١٩٩٩.

سهام عبد الوهاب الفريح:
- أوس بن حجر ومعجمه الشعري –حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية ١٩، ١٩٩٩.

عبد القادر الفاسي الفهري:
- المعجمة والتوسيط –ط١ دار توبيقال- الدار البيضاء –المغرب ١٩٩٥.
- اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق: ضمن تقدم اللسانيات في الأقطار العربية –١٩٨٩.

علي حلمي موسى:
- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر –مطبوعات جامعة الكويت- ١٩٧٣.

علي فرغلي:
- ترجمة (الان بونيه: الذكاء الاصطناعي: واقعه ومستقبله) –عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٣.

عمر مهديوي:
- مدخل إلى العلاج الآلي للمعجم العربي –مجلة الحوار المتمدن –العدد١٨- عام ٢٠٠٦.

محمد الحناش:
- مشروع نظرية حاسوب لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية: مجلة التواصل اللساني مج٢ سنة ١٩٩٠.

نبيل علي:
- اللغة العربية والحاسوب –دار تعريب- ط١ القاهرة ١٩٨٨.

يان هوخلاند:
- قاموس هولندي –عربي- رئاسة هيئة التحرير يان هوخلاند، كيس فرتسيخ، مانفريد فويديش –جامعة نايخيمين.

ثانيا: المراجع الأجنبية

Ahiswede, T. & Evens, M. A Lexicon for Medical Expert System. In: Relation Model of the Lexicon.

Ahmed Abdelali & Jim Cowie and Hamdy S.Soliman. Building a Modern Standard Arabic Corpus.

Bo Svénsen. (1993). Practical lexicography: Principles and Methods of Dictionary-Making. Translated from the Swedish. By Sykes, J.& Schofield, K. Oxford University Press.

Christian Fellbaum, Introduction in Word Net Electronic Database- A Semantic Net work of English Verbs: (1998), Word net; an electronic lexical database.

Ehsan Abed: Construction of a General Arabic Lexicon. The second conference of language engineering. 1999.

Jermey Clear. Computing. In: Looking up Collins COBUILD English Dictionary.

John Sinclair. Looking up: Colins COBUILD English Dictionary, introduction.

Latifa Al_sulaiti, Designing and Developing a Corpus of Contemporary Arabic, the University of leeds, School of computing (2004).

Litkowski, K. C. (2005) , Computational Lexicons and Dictionaries. Encyclopedia of Language and Linguistics, 2nd edition. Oxford : Elsevier publishers.

Mario, James, Stan Sopakowicz , Rojet's Thesaurus: A Lexical Resource to Treasure.

Miller, A (1990), Word Net as Lexical Database Organized on psycholinguistic principles, Princeton University.

Nancy Ide and Jean Veronis, Extraction Knowledge Base form Machine Readable Dictionaries.

Roy Byrd, Dictionary Systems for office practice in lexicon automating.

Ramesh Krishnamurthy, the process of compilation. In: Looking up. Collin COBUILD English Dictionary.

William Fraeley, Relational model and Metascience, in: relational model of the lexicon.

Yorik Wilks ET Al, Providing Machine Tractable Dictionary Tools, in Pustejovsky (ed) (1993), Semantics and the Lexicon.

Collins COBUILD English Linguisties.

Longman Dictionary of Applied Linguistics.

Longman Dictionary of contemporary English, 1995.

Merriam Webster Collegiate Dictionary, tenth edition.

The Oxford English Reference Dictionary 1995.

Random House Compact unabridged Dictionary.

Webster's seventh new Collegiate Dictionary.

www. Nemlar.org

www.let.kun.nl/wba/content

محركات البحث في النصوص العربية وصفحات الشابكة (الإنترنت)

مــروان البــواب
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

يتناول هذا المقال تعريفَ محرِّكات البحث في النصوص العربية وصفحات الشابكة (الإنترنت)، ومبدأ عملها. ثم يَعرض مشكلاتِ البحثِ ذاتَ المنشأ اللغوي والتنفيذي، ونماذجَ من واجهات البحث في النصوص العربية، وأخرى من محرِّكات البحث في مواقع الإنترنت وصفحاتها. وأخيرًا يَقترح خوارزميةً لتطوير هذه المحرِّكات.

١. مقدمة

دَرَج مؤلِّفو الكتب ومصنِّفوها على تذييل كُتُبهم بفِهْرِس يتضمَّن عناوينَ أقسامها وأبوابها وفصولها. وغرضُهم من هذا تيسيرُ الوصول إلى العنوان المطلوب من طريق رَقْم جزء الكتاب ورقم صفحته. وقد تقتضي مادةُ الكتاب وضْعَ فِهرس مفصَّل يتضمن مسائلَه الفرعية، أو وضْعَ فهرسَيْن: أحدهما إجماليٌّ، والآخر تفصيليٌّ؛ كما في كتاب النحو الوافي، لمؤلِّفه عباس حسن؛ حيث أُفْرِدَ لكلِّ جزءٍ من أجزائه الأربعة فهرسان؛ الأول لبيان الأبواب العامة للجزء، والآخر لتفصيل المسائل والموضوعات التي يشتمل عليها كلُّ باب من أبوابه العامة. بلغ مجموعُ صفحات النحو الوافي ٢٨٩٠ صفحة، وعددُ صفحات فهارسه ٨٠ صفحة [أي بنسبةٍ مئويةٍ قدرُها ٢.٨ ٪من حجم الكتاب].

فإذا كان الكتابُ مرجعيًا ومهمًا، واقتضى الحالُ البحثَ عن جزئيات دقيقة فيه، لجأ المؤلِّف (أو المحقِّق) إلى وضع مجموعة من الفهارس الفنية يَختصُّ كلٌّ منها بجانبٍ محدَّد من جوانب البحث؛ كما في كتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف للمبرِّد. إذ بلغ مجملُ فهارسه ١٤ فهرسًا تناولت: الموضوعات، والآيات، والأحاديث، والأمثال، والمباحث النحوية، والمباحث البلاغية، واللهجات، والألفاظ اللغوية، وأعلامَ الرجال والنساء، والبلدان والجبال والأنهار، والأممَ والقبائل والمِلَل، وأبيات الشعر، وأيامَ العرب وتواريخَها، وأسماءَ الكتب. بلغ مجموعُ صفحات كتاب الكامل ١٢٩٠ صفحة، وعددُ صفحات فهارسه ٢٧٣ صفحة [أي بنسبة مئوية قدرُها ٢١٪ من حجم الكتاب]. وكذلك كتاب البيان والتبيين للجاحظ، بلغ عددُ صفحاته ١٢٥٠ صفحة، وعددُ صفحات فهارسه الفنية ٢٩٢ صفحة [أي بنسبة مئوية قدرُها ٢٣٪ من حجم الكتاب]. على حين بَلَغ مجموعُ صفحات معجم لسان العرب قرابة ٩٨٠٠ صفحة في خمسة عشرَ جزءًا، وعددُ صفحات فهارسه الفنية ٥٠٠٠ صفحة تقريبًا في سبعة أجزاء [أي بنسبة مئوية قدرُها ٥١٪ من حجم المعجم].

وإذا تطلّب الأمرُ البحثَ عن كلّ لفظ من ألفاظ الكتاب، فعندئذ يوضع فهرسٌ يَشتمل على ألفاظ الكتاب جميعها بترتيبها المعجمي، أو بترتيب جذورها، لمعرفة موقع اللفظ في الكتاب. مثال ذلك المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، والمعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة... وغالبًا ما يكون حجمُ هذه الفهارس أكبرَ من حجم الكتاب نفسه.

فلما حلّ عصرُ النشر الإلكتروني، تغيّر وجهُ البحث تغيرًا كليًا؛ وغدا البحثُ عن كلمة أو عبارة في الكتاب الإلكتروني على طرف الثمام؛ إذ استُحدثت أداةٌ برمجية (محرك البحث search engine)، تُتيح البحثَ عن كلمات وعبارات محدّدة في النصوص، وفي مواقع الإنترنت Internet.

أما عملية البحث في النصوص، فتعتمد على مقابلة كلمة (أو عبارة) البحث بمثيلاتها في هذه النصوص، وعرض نتائج البحث على شاشة الحاسوب مميّزةً بلونٍ مغايرٍ للون النص زيادةً في الإيضاح.

وأما عملية البحث في مواقع الإنترنت، فتعتمد على استقراء صفحات الوب Web Pages [وهي مجموعةٌ من الوثائق المترابطة interlinked documents في نظام نصوص ترابطية hypertext system، تكوّن بمجموعها شبكة الإنترنت العالمية]، بواسطة متصفّح وب Web browser، الذي يبحث عن وثائقَ جديدة في الإنترنت، ويُخزّن عناوينَها والمعلومات المتعلقةَ بها في قاعدة معطيات (فهارس) تستطيع محركاتُ البحث النفاذَ إليها، وعرْضَ الصفحات التي تُطابق كلمةَ (أو عبارة) البحث.

تَستعمل محركاتُ البحث علاقاتٍ منطقيةً بين كلمات البحث، الغرضُ منها زيادةُ كفاءة عمليات البحث. ومن أهم هذه العلاقات:

علاقة (و = AND) [أي البحث عن ورود كلمتين معًا؛ نحو: سيارات و قطارات].

علاقة (أو = OR) [أي البحث عن ورود إحدى كلمتين؛ نحو: سيارات أو قطارات].

غير أن الكتبَ الإلكترونيةَ انتشرت انتشارًا واسعًا، وازداد عددها ازديادًا أسيًا، سواء على وسائط التخزين المختلفة؛ كالأقراص المتراصة CD والأقراص الفيديوية الرقمية DVD، أو على شبكة الإنترنت. فقد جاء في إحدى الإحصائيات أن عدد مستعملي الإنترنت العرب يتجاوز ٢٢ مليون شخص، وأن عددَ الصفحات العربية على الإنترنت يزيد على ١٠٠ مليون صفحة، إلى جانب مئات الألوف من الوثائق الإلكترونية electronic documents العربية الموجودة في النظم الداخلية للمؤسسات والمنظمات والشركات.

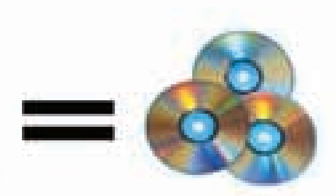
ومما ساعد على هذا الانتشار الواسع للكتب والوثائق الإلكترونية:

* السعةُ التخزينيةُ الهائلة لوسائط التخزين؛ فالقرص المتراص CD يمكنه استيعاب ٧٠٠ MB (أي ما يعادل ٤٠٠ كتاب تقريبًا). أما سعة قرص DVD الواحد فتبلغ في حدّها الأدنى ٧ أقراص متراصة، وفي حدّها الأقصى ٢٤ قرصًا متراصًا. وتُستغلّ هذه السعةُ الهائلة في تخزين الموسوعات العامة والتخصصية، وأفلام الفيديو (يتسع قرص DVD لتخزين فيلم فيديوي يزيد طوله على ١٣٠ دقيقة)، والكتبِ الصوتية (وبذلك يتسنى تخزين الكتاب بصورتَيْه؛ النصية text والصوتية audio معًا). والجدير بالذكر أنه يَصعُب التمييز بين

القرص المتراص CD والقرص الفيديوي الرقمي DVD، ذلك أن كلا القرصين له قطر ١٢ سنتيمتر، وثخانة ١،٢ مليمتر. وأما شبكة الإنترنت، فلا حدود لقدرتها التخزينية.

* عدم الحاجة إلى حيّز مكاني لوضع الكتب الإلكترونية فيه، كما هو الحال في النسخ الورقية.





* سهولة نشر الكتب الإلكترونية، وجعلها في متناول الجميع.

* رخص ثمنها، قياسًا إلى ثمن النسخ الورقية.

* سهولة البحث فيها وسرعته (وهذا أهم ما تمتاز به). فبمجرد أن تكتب في المكان المخصص لواجهة البحث الكلمة (أو العبارة) التي تريد البحث عنها، وتضغط على مفتاح (الادخال Enter) في لوحة المفاتيح، أو على زر (البحث Search) في واجهة البحث، تظهر المواضع (أو صفحات الإنترنت) التي وردت فيها هذه الكلمة في النصوص (أو المواقع) المبحوث فيها.

٢. مشكلات البحث ذات المنشأ اللغوي

ذكرنا آنفا أن عملية البحث في النصوص الإلكترونية أصبحتْ سهلة وسريعة، لكنَّ الكميات الهائلة من النصوص والكتب المخزنة سواءً في وسائط التخزين الإلكترونية أو في مواقع الإنترنت التي لا تكاد تُحصى، أحدثَتْ مشكلات في عمليات البحث، منها ما يتعلّق بمعنى الكلمة المبحوث عنها، ومنها ما يتعلّق بمبناها.

٢.١. أما المشكلةُ المتعلّقةُ بمعنى الكلمة، فليست مقصورةً على النصوص العربية وحدها، بل تشترك فيها النصوص المكتوبة باللغات الأخرى. ومنشأ هذه المشكلة، هو أن الكلمة قد يكون لها أكثرُ من معنى. فكلمة (الهَرَم) مثلاً لها معنيان: الأول: بلوغُ أقصى الكِبَر في السنِّ، والآخَرُ (في علم الهندسة): جسمٌ مُتعدّدُ السطوح، أحدُ أوْجهه مُضلّع، وأوجُهُهُ الأخرى مثلثاتٌ قواعدُها أضلاعُ هذا المُضلّع، ورؤوسُها مجتمعةٌ في نقطة واحدة خارجة عنه. وعلى هذا، فإن عملية البحث - إذا لم تكن مزوَّدةً بالمعنى المراد للكلمة - لا تُميِّز بين معنى كلمة (الهَرَم) في قول المتنبي:

أتى الزَمانَ بَنوهُ في شَبيبَتِه فَسَرَّهُم وَأَتَيناهُ عَلى الهَرَمِ

وقول حافظ إبراهيم:

فَيعلَمَ النيلُ أنّا خَيرُ مَن وَرَدوا وَيَستَطيلَ اختيالاً ذلكَ الهَرَمُ

ونلحظ المشكلةَ نفسَها في اللغة الإنكليزية أيضًا؛ فالصفة (light) مثلاً لها أكثر من معنى؛ منها: مُنيرٌ (عكس مُظْلم)، وخَفيفٌ (عكس ثقيل)، وضعيف (عكس قويّ)، ومنخفض (عكس مرتفع)... ومن ثَمَّ، فإن عمليةَ البحث لا تُميّز بين معاني (light) في الأمثلة الآتية:

It was still light when we arrived at home.

She was as light as a feather to carry.

Leaves were blowing about in the light wind.

Her voice was light and pleasant.

وكذلك نجد في اللغة الفرنسية أن كلمة (rayon) لها أكثر من معنى؛ كالشعاع، ونصف القطر، والجناح في صالة البيع... وعليه، فإن عمليةَ البحث لا تُميّز بين معاني (rayon) في الأمثلة الآتية:

"parfois un rayon perçait les nuages"

Le rayon est ègal au demi-diamétre.

le rayon des manteaux

٢،٢. وأما المشكلاتُ المتعلِّقةُ ببنية الكلمة، فلها مظاهر متعدِّدة، معظمها ناشئٌ عن طبيعة اللغة العربية، من أهمها:

١،٢،٢. غيابُ علامات الشكل؛ إذ إنّ معظمَ النصوص العربية المخزّنة غيرُ مشكولة، وهذا يسبِّب لَبْسًا في معاني مفرداتها، لا يُزيلُه سوى سياق النص. وعلى ذلك، فإن محركات البحث المعتمدةَ على صورة الكلمة وحدَها لا تستطيع إزالته. فإذا تضمَّن النصُ كلمة (الكتاب) مثلاً، فكيف تَستطيع هذه المحركاتُ تحديدَ المقصود من هذه الكلمة؛ أهي (الكِتاب) أم (الكُتّاب)؟ يبيِّن الجدول الآتي عددًا من الكلمات تَغيُّرَ معناها نتيجةَ تَغيُّر علامات شَكْل بعض حروفها:

الكلمة غير المشكولة	المعنى الأول	المعنى الثاني	المعنى الثالث...
القدر	القَدْر	القِدْر	القَدَر...
يحرم	يُحَرِّم	يُحْرِم	يَحْرُم...
البر	البِرّ	البَرّ	البُرّ...
الحجر	الحِجْر	الحَجَر	الحَجْر...
مبلغ	مَبْلَغ	مُبلِّغ	مُبلَغ...
العرض	العَرْض	العِرْض	العَرَض...

أم	أَمْ	أَمّ	أمْ...
الملك	المَلَك	المَلِك	المُلْك...
من	مِنْ	مَنْ	مَنّ...

وإضافة إلى اللَّبْس الحاصل في معنى الكلمة نتيجة عدم شَكْلها، يَحصل لَبْسٌ آخرُ يتعلق بوظيفة الكلمة، لا يُجلّيه سوى سياق النصّ أيضًا. فإذا وردتْ في النصّ كلمةُ (أخذ) مثلاً، فإن محركات البحث المعتمدةَ على صورة الكلمة وحدها غيرُ قادرة على التمييز بين (أَخَذَ) المبني للمعلوم، و(أُخِذَ) المبنيّ للمجهول. يبيّن الجدول الآتي عددًا من الكلمات تغيّرت وظيفتها نتيجة تَغيُّر شَكْل بعض حروفها:

الكلمة غير المشكولة	الوظيفة الأولى	الوظيفة الثانية...
ملك	(مَلْكٌ) اسم	(مَلَكَ) فعل...
من	(مَنْ) اسم موصول	(مِنْ) حرف جر...
أنف	(أَنْفٌ) اسم	(أُنُفٌ) صفة...
مجلد	(مُجَلِّد) اسم فاعل	(مُجَلَّد) اسم مفعول...
أسرة	(أُسْرَة) مفرد	(أُسَرَة) جمع...
عدوان	(عُدْوان) مفرد	(عَدْوان) مثنى...
فرسان	(فَرَسان) مثنى	(فُرْسان) جمع...
بعيد	(بَعيد) صفة	(بُعَيْد) اسم مصغَّر...
نسبي	(نَسَبي) اسم	(نِسْبيّ) اسم منسوب...
فرض	(فَرَضَ) فعل ماض	(فَرْض) مصدر...
عن	(عَنَّ) فعل ماض	(عَنْ) حرف جر...
أكرم	(أَكْرَمَ) فعل ماض	(أُكْرِمُ) فعل مضارع...
آتوا	(آتَوْا) فعل ماض	(آتُوا) فعل أمر...
تبحث	(تَبْحَثُ) مضارع مرفوع	(تَبْحَثَ) مضارع منصوب...

تبحث	(تَبْحَثَ) مضارع منصوب	(تَبْحَثْ) مضارع مجزوم...
أدر	(أدْرِ) مضارع مجزوم	(أدْرِ) فعل أمر...
أحسن	(أحْسَنَ) فعل ماض	(أحْسَنُ) اسم تفضيل...
فرمت	(فَرَمْتُ) للمتكلّم المفرد	(فَرَمْتَ) للمخاطَب المفرد...
علم	(عَلِمَ) فعل مجرّد	(عَلّمَ) فعل مزيد...
غلبت	(غَلَبَتْ) مبني للمعلوم	(غُلِبَتْ) مبني للمجهول...

٢,٢,٢. اتصالُ أحرف سابقة الكلمة بها. وهذا يؤدّي إلى نوعٍ آخرَ من اللَّبس، منشؤه أن الكلمة يمكن أن تُقرأ على وجهَين مختلفين؛ أولهما أن تكون أحرفُ السابقة من أصل الكلمة، والآخر أن تكون أحرفُ السابقة متصلةً بالكلمة وليست منها. مثال ذلك كلمة (وعد)، فحرف الواو

قد يكون من أصل الكلمة؛ نحو: (وَعَدَ؛ أي الفعل وَعَدَ يَعِدُ)،

وقد يكون حرف عطف؛ نحو: (وَعَدَّ = وَ + عَدَّ؛ أي الفعل عَدَّ يَعُدُّ).

وعلى هذا، فإن محركات البحث المعتمدةَ على صورة الكلمة وحدَها، لا تستطيع أن تُميِّز بين هاتين الحالتين المختلفتين لكلمة (وعد).

وهذا النوع من اللَّبس في العربية، ليس نظير له في الإنكليزية. فكلمة (كتاب) مثلاً، يقابلها في الإنكليزية (book). فإذا حلّيناها بأل التعريف بقيتْ في العربية كلمةً واحدة (الكتاب)، على حين أنها تصبح في الإنكليزية كلمتين (the book). وإذا أضفنا إلى كلمة (الكتاب) واوَ العطف، بقيتْ في العربية كلمةً واحدةً أيضًا (والكتاب)، في حين أنها تصبح في الإنكليزية ثلاث كلمات (and the book).

يتضمنُ الجدولُ الآتي أمثلةً أخرى من الكلمات التي يمكن أن تكون على وجهين؛ الأول باعتبار أحرف سابقة الكلمة من أصل الكلمة، والآخر باعتبارها متصلةً بها وليست من أصلها:

الكلمة	الوجه الأول: حرف السابقة من أصل الكلمة	الوجه الآخر: حرف السابقة ليس من أصل الكلمة
بطاقة	بِطَاقَة (اسم)	بِطَاقَة = بِـ + طَاقَة (حرف جر + اسم)
وهم	وَهْمٌ (مصدر)	وَهُمْ = وَ + هُمْ (حرف عطف+ ضمير متصل)
فرمت	فَرَمْتُ (من فَرَمَ يَفْرِمُ)	فَرَمَتْ = فَـ + رَمَتْ (من رَمَى يَرْمِي)

لسعت	لَسعَتْ (من لَسعَ يَلْسَعُ)	لَسَعَتْ = لَـ + سَعَتْ (من سَعَى يَسْعَى)
أبعث	أَبْعَثُ (فعل مضارع)	أَبَعَثَ = أ + بَعَثَ (همزة استفهام + فعل ماض)
كرب	كَرِبَ (فعل ماض)	كَرَبِّ = كَ + رَبِّ (حرف تشبيه + اسم)
الحق	الْحَقْ (فعل أمر)	الْحَقّ = الْ + حَقّ (ال التعريف + اسم)

٣،٢،٢. اتصالُ أحرف لاحقة الكلمة بها (ولواحق الكلمة هي ضمائر الرفع أو النصب أو الجر المتصلة بالكلمة). يماثل اللَّبسُ الذي ينشأ هنا اللَّبسَ الذي ذكرناه في اتصال أحرف سابقة الكلمة بها، وهو أن الكلمةَ يمكن أن تُقرأ على وجهين مختلفين؛ أولهما أن تكون أحرف اللاحقة من أصل الكلمة، والآخرُ أن تكون متصلةً بالكلمة وليست منها. مثال ذلك كلمة (وله). فحرف الهاء

قد يكون من أصل الكلمة؛ نحو: (وَلَهَ: الفعل وَلَهَ يَوْلَهُ).

وقد يكون ضميرًا متصلاً؛ نحو: (وَلِّه = وَلِّ + ـه = فعل الأمر من وَلّى يُوَلّي متصلاً بضمير النصب).

وعلى هذا فإن محركات البحث المعتمدةَ على صورة الكلمة وحدَها لا تستطيع أن تُميِّز بين هاتين الحالتين المختلفتين لكلمة (وله).

وهذا اللَّبسُ كسابقه، ليس له نظيرٌ في الإنكليزية. مثال ذلك كلمة (قَلَم)، يقابلها في الإنكليزية (pen). فإذا اتصل بها ضمير الغائب المفرد بقيتْ في العربية كلمةً واحدة (قَلَمُهُ)، على حين أنها تصبح في الإنكليزية كلمتين (his pen). ومثل ذلك كلمة (أَجَبْنَاهُ)، [اتصل بها ضميران: ضمير الرفع (نا)، وضمير النصب (ـه)] يقابلها في الإنكليزية ثلاث كلمات (we answered him).

يتضمَّن الجدولُ الآتي أمثلةً أخرى من الكلمات التي يمكن أن تكون على وجهين: الأول باعتبار أحرف لاحقة الكلمة من أصل الكلمة، والآخرُ باعتبارها متصلةً بها وليست من أصلها:

الكلمة	الوجه الأول: حرف اللاحقة من أصل الكلمة	الوجه الآخر: حرف اللاحقة ليست من أصل الكلمة
برك	بَرَكَ (فعل ماض)	بَرَّكَ = بَرَّ + كَ (فعل ماض+ضمير متصل)
بكم	بُكْمٌ (جمع أبكم)	بِكُمْ = بِـ + كُمْ (حرف جر+ضمير متصل)
تلفن	تَلْفَنَ (فعل رباعي)	تَلِفْنَ = تَلِفْ + نَ (فعل ماض+نون النسوة)
نبت	نَبَتَ (فعل ماض)	نَبَتْ = نَبَ + تْ (فعل ماض من نبا ينبو + تاء التأنيث الساكنة)

برهن	بَرْهَنَ (فعل رباعي)	بِرْهِنَّ = بِرْ + هِنَّ (اسم+ضمير متصل)
لي	لَيٌّ (مصدر لَوَى يَلْوِي)	لِي = لِـ + ي (حرف جر+ضمير متصل)
همهم	هَمْهَمَ (فعل رباعي)	هَمُّهُمْ = هَمُّ + هُمْ (اسم+ضمير متصل)

٤،٢،٢. تَعَدُّدُ الصور المختلفة للكلمة نتيجة تصريفها. فالفعل الماضي (قال) مثلاً، يرد في النصوص بصور مختلفة نتيجة اتصاله بضمائر الرفع؛ نحو: (قُلْتُ، قُلْنَا، قُلْتَ، قُلْتِ، قُلْتُمَا، قُلْتُمْ، قالَ، قالَتْ، قالا، قالَتا، قالُوا، قُلْنَ). وعلى هذا فإن البحث عن الفعل (قال) المسنَد إلى جميع الضمائر، يقتضي البحث عن الصور الاثنتي عشرة التي ذكرناها. على حين أنه في اللغة الإنكليزية، يتم هذا البحثُ بإجرائه لكلمة واحدة فقط هي (said). ويعود ذلك لسببَيْن؛ أولهما: عدم اتصال الضمائر بالفعل، فنقول: I said, you said, he said, she said, we said, they said. فضمائر الرفع جميعُها منفصلة عن الفعل. وثانيهما: أن الفعلَ نفسَه لا تتغيَّرُ صورتُه نتيجة تغيُّر الضمير، فهو دائمًا (said) مع جميع الضمائر.

٣. مشكلات البحث ذات المنشأ التنفيذي

١،٣. عدم توفُّر مزيّة البحث عن جزء من الكلمة، والاقتصارُ على البحث المطابق لها. تَكْمن فائدةُ هذه المزيّة في الحصولِ على كلمة البحث إضافةً إلى كلمات أخرى تشترك معها في حروفها. فمثلاً إذا كانت كلمةُ البحث هي (معجم)، فإن هذه المزيّة تُمكّننا من الحصول على هذه الكلمة إضافةً إلى عشرات الكلمات التي تحتوي عليها؛ من مثل:

(المعجم، والمعجم، بالمعجم، فالمعجم، كالمعجم، للمعجم...

المعجمي، والمعجمية، فالمعجمية، بالمعجميات، فالمعجميون...

معجمه، معجمك، معجمكما، معجمي، معجمنا، معجمهم...

ومعجمه، بمعجمه، فمعجمه، وبمعجمه، كمعجمه، لمعجمه...)

أما إذا لم تتوفّر هذه المزيّة، فعندئذ ينبغي إعادة عملية البحث لكلِّ كلمة على حدة. كما هو الحال في محرِّك البحث في الموسوعة الشعرية. [وهي موسوعة ضخمة تضمُّ قرابة مليونَيْن ونصف المليون من أبيات الشعر، إضافةً إلى عشرة معجمات هي أمّاتُ المعجمات العربية، وعدد كبير من الكتب الأدبية واللغوية]. فإذا بحثنا في هذه الموسوعة عن كلمة (الشعر) حصلنا على النتائج الآتية:



نلاحظ في هذه اللوحة أن محرك البحث عثَر على سبعة مواضع لكلمة (الشعر) في ديوان بشار بن برد، وميّزها باللون الأحمر. ولكنه لم يتمكن من العثور على الكلمات الأخرى التي تشترك مع كلمة (الشعر) في حروفها من قبيل: (والشعر، بالشعر، فالشعر، الشعري، الشعرية...). وهذا يعني أننا إذا أردنا الحصول على مواضع كلمة (بالشعر) مثلاً، فعلينا إعادة عملية البحث وإدخال كلمة (بالشعر) نفسها، كما هو موضحٌ في اللوحة الآتية:



في هذه اللوحة نلاحظ أنّ ما عَثَرَ عليه محرِّك البحث هو كلمة (بالشعر) تحديدًا. أما الكلمات الأخرى التي تشترك معها في حروفها [مثل: وبالشعر، بالشعرية، فبالشعر...]، فلم يتمكن من العثور عليها.

ولا شكَّ في أنّ عدم توفر هذه المزيّة يُعَدُّ نقصًا في عمل محرِّك البحث.

٢،٣. عدم توفر مزيّة البحث عن كلمتَيْن متتابعتَيْن دون فاصل بينهما. فائدةُ هذه المزية هو الوقوف على استعمال كلمتين متلازمتين؛ قد تكونان فعلاً وحرفًا؛ نحو: (زاد على)، أو مضافًا ومضافًا إليه؛ نحو: (صحيفة تشرين)، أو اسمَيْ علم؛ نحو: (أحمد شوقي)، أو اسمًا وصفة؛ نحو: (مقامًا محمودًا)، أو فعلاً واسمًا؛ نحو: (قال الإمام)...

نستطيع تَلَمُّس أهمية التتابع في الكلمتين المبحوث عنهما في المثال الآتي، وفيه نتيجة البحث عن: (العصر العباسي).



نجد في هذه اللوحة كيف أن عدم تتابع هاتين الكلمتين، وبُعْدَ المسافة بينهما، أدّى إلى الابتعاد عن المقصود من البحث عن هذا التركيب. فسياق كلمة (العصر) في هذا النص هو (العلامة الأديب، فريدُ العصر، ويتيمة الدهر...)، وسياق كلمة (العباسي) هو: (وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ محمد العباسي الخلوتي...)

وهذا نقصٌ آخرُ في محرِّك البحث، كان ينبغي استدراكه، وتوفيرُ الخيارات الآتية:

- إمكان البحث عن كلمتين متتابعتين (دون فاصل بينهما).

- إمكان البحث عن كلمتين غير متتابعتين، مع المحافظة على ترتيب ورودهما.

- إمكان البحث عن كلمتين غير متتابعتين، دون مراعاة ترتيبهما.

٣.٣. عدم توفر مزيّة البحث عن كلمتين بينهما العلاقة المنطقية (OR)، أي البحث عن ورود إحدى هاتين الكلمتين في النصوص. فمثلاً إذا كنتَ ترغب في البحث عن المواضع التي ورد فيها ذكر مدينة (دمشق) أو مدينة (حلب) في النصوص، فما عليك سوى أن تُدخل إلى محرِّك البحث هاتين الكلمتين وبينهما علاقة (OR). أما إذا كنت ترغب في البحث عن المواضع التي ورد فيها ذكرهما معًا، فما عليك سوى أن تضع بينهما علاقة (AND).

٤.٣. عدم توفر مزيّة تجاهُل/عدم تجاهُل الفروق بين الهمزات. ذلك أن بعض النصوص تتساهل في مسألة رسم الهمزة؛ نحو: (ان) بدلاً من (أن) أو (إن)، و(الى) بدلاً من (إلى)...

وقد تحتوي النصوص أخطاءً في رسم الهمزات، فتختلط همزة الوصل بهمزة القطع؛ فنجد حينًا همزة القطع حلّتْ محلَّ همزة الوصل؛ نحو: (الإستعلام) بدلاً من (الاستعلام)، و(الإنتصار) بدلاً من (الانتصار)، و(الإزدحام) بدلاً من (الازدحام)... وبالعكس، نجد همزة الوصل حلّتْ محلَّ همزة القطع؛ نحو: (الاكرام) بدلاً من (الإكرام)، و(الانترنت) بدلاً من (الإنترنت)...

٥.٣. عدم توفر مزيّة تجاهُل/عدم تجاهُل الفرق بين حرف الياء وحرف الألف التي على صورة الياء. فبعض النصوص ترسم كلاً من الياء والألف التي على صورة الياء هكذا (ى)، وبذلك يختلط الاسم (علي) بحرف الجر (على)، و(أبي) بـ (أبى)، و(الثري) بـ (الثرى)...

٦.٣. عدم توفر مزيّة تجاهُل/عدم تجاهُل الفرق بين الهاء والتاء المربوطة. ذلك أننا نجد عدم تفريق بينهما في بعض النصوص؛ ويَحدث نتيجةً لذلك اختلاطٌ بالمعنى؛ نحو: (صدقه و صدقة)، و(منه و منة)، و(عاقبه و عاقبة)...

٤. نماذج من واجهات البحث في النصوص العربية

١.٤. واجهة البحث في الموسوعة الشعرية. يمتاز البحث في هذه الموسوعة بسرعته، غير أن خياراته محدودةٌ جدًا، بل لا يوجد فيه سوى خيار واحد؛ وهو البحث المطابق عن الكلمة (أو الكلمات). وعلى ذلك فإنه غيرُ قادرٍ على البحث عن جزء من كلمة، ولا عن كلمتين متتابعتين دون فاصل، ولا عن إحدى كلمتين... وقد عرضنا جزءًا من عمله آنفًا.

٢.٤. واجهة البحث في المكتبة الشاملة. يمتاز البحث في هذه المكتبة بفعاليته وخياراته المتعدِّدة، ولكنه بطيء نسبيًا. يبيّن الشكل الآتي واجهة البحث في المكتبة الشاملة:



نلاحظ في هذه الواجهة أن البحثَ يمكن أن يُحْصَر في نطاق نصوص الكتب أو في عناوينها أو في التعليقات عليها. ونلاحظ أيضًا أنه يمكن البحثُ عن عشر كلمات في آن معًا: نصفُها مرتبطٌ بالعلاقة المنطقية (AND)، ونصفها الآخر بالعلاقة المنطقية (OR)، مع مراعاة (أو عدم مراعاة) ترتيب ورود هذه الكلمات في النصوص. إضافةً إلى إمكان تجاهل الفروق بين الهمزات ونحوها.

وبالجملة، فإن الخيارات المتاحة في هذا البحث ذاتُ طيف واسع تَجعل عملية البحث مجدية وفعّالة. ومع ذلك كلِّه، فإنها تفتقر إلى خيارٍ مهمٍ وأساسيٍ، وهو تَحَسُّس علامات الشكل لحروف كلمات البحث. مثال ذلك أنها لا تفرق في البحث بين كلمة (كتب) غير المشكولة، وكلمتَيْ (كُتُب) و(كَتَب) المشكولتَين جزئيًا، وكلمتَيْ (كَتَب) و(كُتِب) المشكولتَين كليًا. ومن ثَمَّ فإننا نَحصل على نتائجَ متماثلة عند البحث عن أيٍ من هذه الكلمات الخمس؛ فمثلاً إذا كان البحث مقتصرًا على معجم (لسان العرب)، وجدنا أن عدد النتائج يساوي (٢٤٣) نتيجة لكلٍ منها.

يبيِّن الشكل الآتي نموذجًا من نتيجة البحث عن كلمة (واسعة):



نلاحظ أن محرِّك البحث عثر على (٣٦٦) نتيجة في (٢٣٣) كتابًا من كتب الأدب.

٣،٤. واجهة البحث في برنامج (الدفتر) من شركة مايكروسوفت



٤،٤. واجهة البحث في برنامج (المفكرة) من شركة مايكروسوفت



٥،٤. واجهة البحث في برنامج Access من شركة مايكروسوفت



يلاحظ أن واجهات البحث الثلاث السابقة لها خيارات بحث محدودة.

٦،٤. واجهة البحث في برنامج Word لمعالجة النصوص



تتضمن شاشة البحث عددًا من الخيارات الفعّالة؛ نحو: مطابقة حالة الأحرف، والشكل (أي حركات الحروف)، وهمزة الألف، وتمييز الكلمات التي عثر عليها...

يبيّن الشكل الآتي نتيجة البحث عن الكلمات التي تحتوي على كلمة (شكل) في برنامج Word،

2. وأما المشكلات المتعلّقة ببنية الكلمة، فلها مظاهر متعدّدة، معظمها ناشئ عن طبيعة اللغة العربية، من أهمها:

1.2. غياب علامات الشكل؛ إذ إن معظم النصوص العربية غير مشكولة، وهذا يسبّب لَبسًا في معاني مفرداتها، لا يُزيله سوى سياق النص. أما عمليات البحث المعتمدة على صورة الكلمة وحدها، فلا تستطيع إزالته. فإذا تضمّن النصُّ كلمة (الكتاب) مثلاً، فلا يستطيع محرك البحث التمييز بين (الكِتاب) و(الكُتّاب). يبيّن الجدول الآتي عددًا من الكلمات التي تغيّر معناها نتيجة تغيُّر شكلها:

نلاحظ أن محرك البحث عثر على ثلاث كلمات في هذا المقطع من الصفحة؛ هي: (المشكلات)، و(الشكل)، و(شَكْلها).

٧.٤. واجهة البحث في مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية



تُبيّن هذه الشاشة وجود خمسة أنواع للبحث، عن كلمة فقط، أو جزء منها، أو عدد من الكلمات (نصّ)، أو مفردات متباعدة يربط بينها علاقة (OR)، أو علاقة (AND).

يُظهر الشكلُ الآتي نتيجةَ البحث عن كلمة (دمشق) في كتاب (رحلة ابن بطوطة):



٥. نماذج من محركات البحث في مواقع الإنترنت

ثمة عددٌ غير قليل من محركات البحث في مواقع الإنترنت، تتفاوت فيما بينها من جهة السرعة، وعدد النتائج، ومطابقة كلمة (أو عبارة) البحث. ومعظم واجهات بحث هذه المحركات متشابهة (ولاسيما البحث المتقدّم)، وتتضمّن خيارات متماثلةً إلى حدٍ بعيد. وفيما يلي نماذج من واجهات هذه المحركات مشفوعةً بنبذة من كلٍ منها.

١,٥. محرك البحث Google. يعد هذا المحرّك من أسرع محركات البحث في مواقع الإنترنت، إن لم يكن أسرعَها. ويمتاز إضافةً إلى ذلك بدقته، وشموله، وتعدد اللغات التي يبحث فيها؛ إذ يستطيع البحث في ٦٦ لغة (منها العربية). ويعالج ١٢٠ مليون طلب بحث يومياً (استناداً إلى إحصاء مؤسسة ميديا ميتركس). يبيّن الشكل الآتي واجهة البحث العادي في Google:



إذا ضغطنا على زر (بحث متقدم) حصلنا على الشاشة الآتية:

تتضمن هذه الواجهة خيارات عديدة للبحث؛ من قبيل: البحث المطابق عن كلمة أو أكثر، والبحث عن كلمات بينها العلاقة المنطقية (AND) أو العلاقة (OR)، وعدم احتواء الصفحة على كلمة أو كلمات محددة، ونوع الملفات، واللغة، والزمن المحدد، والنطاق... وغيرها.

يبحث Google في أكثر من مليار عنوان مورد نظامي (URL: Uniform Resource Locator). ويعطي مقتطفات من نصوص نتائج البحث تتيح معرفة مطابقتها لكلمة (أو عبارة) البحث.

وعلى الرغم من هذه القدرة الهائلة لمحرك Google، فإنه لا يستفيد من علامات شكل الحروف (الحركات) لتقليص عدد نتائج البحث.

وهناك محركات بحث أخرى متعددة اللغات تتمتع بخاصية البحث في المواقع العربية؛ مثل: Yahoo، وaltavista، وalltheweb، وAsk، وmsn...

٢,٥. محرك البحث عربي Araby: يبين الشكل الآتي واجهة البحث المتقدم في هذا المحرك:

عربي

إيجاد نتائج

تحتوي جميع هذه الكلمات

تحتوي هذه الجملة

تحتوي أيا من هذه الكلمات

لا تحتوي على هذه الكلمات

حصر النتائج في هذا الموقع

مكان ظهور الكلمة — أي مكان

ابحث

تشير النشرةُ التعريفية بهذا المحرك الذي طوَّرته مجموعةُ مكتوب إلى أنه يوفر خدمات بحث متخصصةً باللغة العربية، تراعي قواعدَ النحو والصرف للوصول إلى كل ما يُحتاج إليه من المحتوى العربي على الإنترنت. يفهرس عربي جميعَ المواقع العربية على الإنترنت - التي تجاوز عددها ١٠ ملايين صفحة - معتمدًا على مئات المخدِّمات servers وأحدث البرامج التي تمكّن الباحث من الدخول إلى جميع المواقع والصفحات العربية الموجودة على الإنترنت في ثوانٍ معدودة.

وتشير النشرةُ أيضًا إلى أن عربي يتميَّز بقدرته على تعرُّف جميع تراكيب اللغة العربية، وتصحيح الأخطاء اللغوية، واقتراح الكلمات ذات الصلة بمعنى الكلمة أو التركيب. وهو يضمُّ مجموعةً من أقسام البحث المتخصصة: كالأخبار والصور والرياضة والاقتصاد والتقانة والفن والمدونات...

٣،٥. محرك البحث أين AYNA: يبيِّن الشكلُ الآتي واجهةَ البحث المتقدم في هذا المحرِّك:

ايـنَ AYNA

٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٠ / ٢٢ نيسان-أبريل ٢٠٠٩

بحث متقدم

إيجاد نتائج	تحتوي جميع هذه الكلمات	
	تحتوي هذه الجملة بالضبط	
	تحتوي أيًا من هذه الكلمات	
	لا تحتوي على هذه الكلمات	
تصنيف	إظهار نتائج البحث من	كل الإنترنت
تجميع	تجميع النتائج المتشابهة	لا
اللغة	إيجاد صفحات مكتوبة بـ	أي لغة
التاريخ	البحث عن الصفحات التي تم تحميلها خلال	أي وقت
النطاق	فقط إظهار نتائج من هذا الموقع أو النطاق	
النتائج	استرجاع النتائج بصيغة	HTML

يتيح هذا المحرك البحث في صفحات الإنترنت، والفيديو، والأخبار، والقاموس، والصور، والدين، والمدونات، إضافة إلى البحث المحلي. ويضمُ جملةً صالحة من الأدلة من قبيل: الفنون والآداب، والتجارة، والحاسوب، والتربية، والتسلية، والصحة، والأخبار، والمال، والاقتصاد، والمراجع، والعلم، والسياحة والسفر، والمجتمع...

٤،٥. محرك البحث أنكش onkosh: يبيّنُ الشكلُ الآتي واجهة البحث المتقدم في هذا المحرك:



يتيح هذا المحرِّكُ البحثَ في ثلاث لغات: العربية، والإنكليزية، والفرنسية. ويَعتمد على تقنيات لغوية متقدمة حديثة، تَضمن الحصول على أفضل النتائج لكلمات البحث في صفحات الانترنت. ويقدِّمُ خدماته البحثية في: الوب، والصور، والمدونات، والأخبار، والمنتديات، والملفات...

٥,٥. محرك البحث تايا ابحث تجد taya it: يبيِّن الشكلُ الآتي واجهة البحث في هذا المحرِّك:



وب | صور | ويكيبيديا — الصفحات العربية فقط | كل الصفحات

بحث — بحث مقدم

البحث بـ: تصريفات | ذات الكلمة | ترجمة لفظية | مترادفات | مشتقات

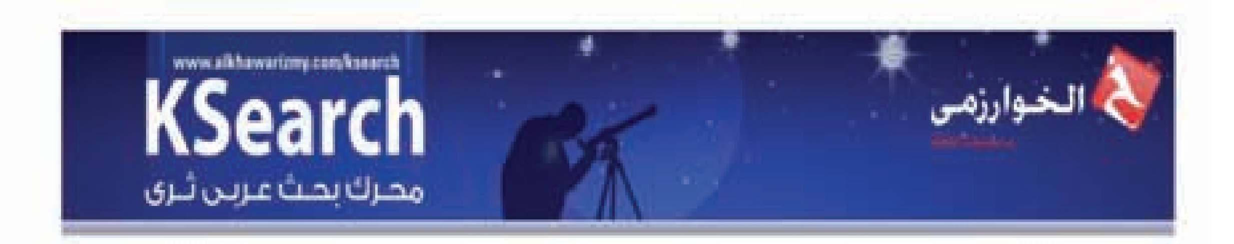
تشير النشرةُ التعريفية لهذا المحرك إلى أنه يمتاز بقدرته على البحث وفقًا للأنماط الآتية: • البحث الصرفي: أي البحث عن جميع تصاريف الكلمة. • البحث الموسع: أي البحث عن جميع مشتقات الكلمة. • المرادفات: أي البحث عن جميع مرادفات الكلمة. • البحث باللغات المختلفة: أي البحث عن كلمات إنكليزية في الملفات العربية. • البحث عن كلمات متقاربة أو متباعدة.

٦,٥. محرك البحث سوا نبحث: يبيِّن الشكلُ الآتي واجهة البحث المتقدم في هذا المحرِّك:



تشير النشرة التعريفية لهذا المحرك إلى أنه أول محرك للبحث باللغة العربية والإنكليزية، وقد بدأ العمل به في عام ٢٠٠٥، وأنه يتميز باستعمال أحدث تقانة لربط المعلومات العربية-الإنكليزية وتخزينها في قاعدة بياناته بغية حصر النتائج وزيادة الدقة والكفاءة في سبيل تسهيل الحصول على المعلومة وجعلها في متناول جميع المتحدثين باللغة العربية.

٧،٥. واجهة البحث المتقدم في محرك البحث الخوارزمي KSearch



KSearch Enterprise Edition

بحث متقدم عن

بكل الكلمات

الخوارزمي

اختيار مواصفات البحث

البحث بالجذر ○ البحث بالمشتقات ○ البحث بالمرادفات

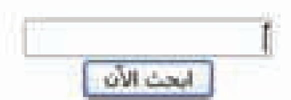
من أهم ما يميِّز هذا المحرك:

- البحث في التصريفات المختلفة للكلمة؛ نحو: "اجتماع"، و"اجتمع"، و"اجتمعوا، و"يجتمعون"...
- التمييز بين معاني الكلمات المختلفة؛ نحو: "هاتف"، بمعنى (التحادث عبر الهاتف)، أو (الصياح).
- البحث باستعمال الأنماط؛ حيث يمكن استعمال الرمز "؟" في الكلمة، للدلالة على إمكان إضافة حرف إليها، أو الرمز "*"، للدلالة على إمكان إضافة أي عدد من الحروف إليها.
- يتمتع بتقنية متقدمة للفهرسة، وإدارة كاملة للفهارس. تبلغ سرعةُ الفهرسة ٢٠،٠٠٠ كلمة في الثانية. وأما حجم الفهرس، فغير محدود بسبب استعمال تقانة ٦٤ بِتًا. يُستعمَل هذا الفهرس لاحقًا في عمليات البحث لتحقيق السرعة الفائقة فيه.

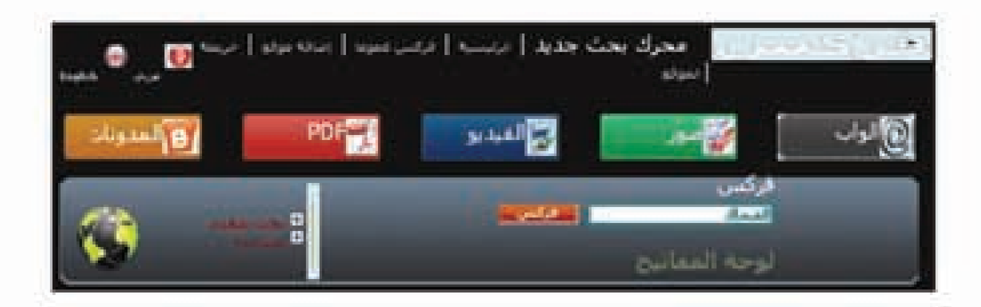
٨،٥. واجهة البحث المتقدم في محرك البحث سامي



سامي .. هو محرك البحث العربي الجديد ، والذي يتميز بالسرعة الفائقة والدقة في البحث
حيث تم تصميمه ليناسب احتياجات المستخدم العربي ويخدمه في سرعة الوصول إلى المعلومات



٩،٥. واجهة محرك البحث فركس



تبيّن هذه الواجهة أن البحث يمكن أن يكون محددًا في صفحات الوب، أو في الصور، أو في أفلام الفيديو، أو في ملفات PDF=Portable Document Format (تنسيق الوثائق المحمولة)، أو في المدونات.

أخذت كلمة "فركس" من اللهجة التونسية، وهي تعني البحث بدقة وانتباه كبيرين.

١٠،٥. واجهة البحث المتقدم في دليل نسيج naseej



يتضمن البحث في نسيج عدداً من الأقسام مثل: الثقافة والفنون والشعر، والحاسب والإنترنت، والتعليم، والمال والأعمال، والصحة، والأخبار...

١١,٥. واجهة البحث المتقدم في يملي

yamLi

ابحث بالعربي

ويب | صور | أفلام | أخبار | ويكيبيديا

بحث

طريقة جديدة للبحث في العربية. ما الجديد!

أنشئَ يملي (الذي اشتُقّ اسمه من كلمة "إملاء") عام ٢٠٠٧، وهو يقدم خدمة إدخال كلمات البحث باستعمال لوحة الحروف الإنكليزية. فلاقت هذه الخدمة رواجاً بين الذين لا يملكون لوحات مفاتيح عربية. ومع ذلك، فإن الباحثين يعتقدون أن إطلاق مصطلح محرك بحث عربي على يملي غيرُ صحيح، لأنه يَعتمد فعلياً على Google في إظهار نتائج بحثه.

وفيما يلي إحدى صفحات نتائج محرك البحث يملي عن كلمة (الضحاك):



١٢,٥. واجهة البحث في نسناس



يُتيح نسناس البحث في الإنترنت، والأخبار، والصور، والفيديو، والصوتيات، والأسواق. وقد ذُكر في صفحته الرئيسية أنه أول محرك بحث عربي (١٩٩٨)، وأول دليل عربي للمواقع العربية منذ عام (١٩٩٨).

١٣,٥. واجهة البحث في ابحث



٦. خوارزمية مقترحة لتطوير محركات البحث العربية

١,٦. مكونات الخوارزمية المقترحة

تَعتمد هذه الخوارزمية على تزويد كلمات فهارس محرك البحث بثلاث معلومات صرفية؛ هي: جذر الكلمة، ونوعها، ووزنها. يُستثنى من هذه الكلمات:

- أسماء الأعلام: نحو: إبراهيم، مريم، حسان، فيليب، أحمد، هند...
- وأسماء الدول، والمدن، والجبال، والبحار، والأنهار...
- وأسماء الحيوانات، والنباتات، والمواد، والمنتجات، والمخترعات...
- والكلمات الدخيلة والمعرَّبة ؛ نحو: أزوت، بورصة، ألبوم، برتقال، بارود، صابون...
- والأدوات: نحو: إذا، لو، الذي، مهما، كي، حيث، لم، لن، في، لنا، له، عليه...

• والضمائر المنفصلة: نحو: أنا، نحن، أنتم، هو، هي، هم، إياه، إياها، إياكم...

• والأعداد: نحو: ثلاث، أربعة، أحد عشر، خمسون، مئة، ألف، مليون...

وقد بلغت النسبةُ المئوية لمجموع هذه الأسماء والأدوات قرابة ٣٥٪ من كلمات النصوص، استنادًا إلى إحصائيات أجريناها على عدد من النصوص. وهذا يعني أن المعلومات الصرفية التي أشرنا إليها تضاف إلى ثلثي كلمات فهرس محرك البحث. على أن هذه المعلومات لا تظهر بطبيعة الحال في النصوص المعروضة، وإنما يستفيد منها محرِّك البحث في عملياته البحثية.

١،١،٦. جذر الكلمة

المعلومة الصرفية الأولى التي نضيفها إلى الكلمة هي أحرف جذرها. يتألف جذرُ الكلمة في الأعم الأغلب من ثلاثة أحرف، وقليلاً ما يتألف من أربعة أحرف، ونادرًا ما يتألف من خمسة أحرف.

أما الفائدة الأساسية التي نجنيها من البحث على مستوى الجذر، فتكمن في الحصول على جميع الصور التي يمكن أن ترد فيها الكلماتُ المشتقة من هذا الجذر. ومعلومٌ أن هذه الصور المتعدِّدة للكلمة تعود إلى عدد من الاعتبارات مثل: وجوه تصريف الكلمة، وحالتها الإعرابية، واتصال السوابق واللواحق بها... ويرتبط عددُ هذه الكلمات المشتقة (ومن ثَمَّ عددُ صورها) بخصوبة الجذر اللغوية؛ فكلما زادت خصوبة الجذر، زاد عددُ صور الكلمات المشتقة منه. وقد يصل عددُ هذه الصور إلى بضعة آلاف للجذر الواحد.

وهذا يعني أن البحثَ على مستوى الجذر يتناول جميعَ الكلمات المتعلِّقة به من أفعال (مجردة ومزيدة، مبنية للمعلوم ومبنية للمجهول، مؤكَّدة وغير مؤكَّدة) في صيغة الماضي والمضارع والأمر، ومصادر (أصلية، وميمية، ومصدر المرة، ومصدر الهيئة)، وأسماء مشتقة (كاسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الزمان والمكان، وأسماء الآلة، ومبالغة اسم الفاعل، والصفات المشبهة) في حالة الإفراد والتثنية والجمع، والرفع والنصب والجر، والتعريف والتنكير والإضافة... فمثلاً، إذا كان البحث على مستوى الجذر (ح س ب)، فسيتناول الكلمات الآتية:

حَسَبَ يَحْسُبُ، حَسِبَ يَحْسَبُ، حَسُبَ يَحْسُبُ، حَسِبَ يَحْسِبُ... (أفعال مجردة)

حَاسَبَ يُحَاسِبُ، احْتَسَبَ يَحْتَسِبُ، تَحَسَّبَ يَتَحَسَّبُ، تَحَاسَبَ يَتَحَاسَبُ... (أفعال مزيدة)

حَسْبٌ، حِسَابٌ، حُسْبَانٌ، حِسْبَةٌ، مُحَاسَبَةٌ، احْتِسَابٌ، تَحَسُّبٌ، تَحَاسُبٌ... (مصادر أصلية)

حَسْبَةٌ، حِسْبَةٌ، مَحْسَبٌ... (مصدر المرة، ومصدر الهيئة، والمصدر الميمي)

حَاسِبٌ، مَحْسُوبٌ، حَسَّابٌ، مُحَاسِبٌ، مُحْتَسِبٌ، مُتَحَسِّبٌ، حَسِيبٌ... (أسماء مشتقة)

ولكلٍ من هذه الكلمات عشراتٌ، بل مئاتُ الصور المختلفة التي يمكن أن ترد في النصوص.

وعلى ذلك، فإننا إذا طلبنا من محرِّك البحث البحثَ على مستوى جذر الكلمة فحسب، حصلنا

على النصوص التي ترد فيها جميعُ الكلمات المشتقة من هذا الجذر. والطريفُ في عملية البحث هذه أن محرِّك البحث سيعثُر على نصوصٍ تحوي كلماتٍ مشتقةً من الجذر المُدخَل لم تكن لتَخطر على البال عند إجراء البحث.

٢،١،٦. نوع الكلمة

المعلومة الصرفية الثانية التي نضيفها إلى الكلمة هي نوع الكلمة: فعل، اسم، مصدر، صفة، جمع، نسبة، تصغير...

يستفيد محرِّكُ البحث من نوع الكلمة في تضييق نطاق عمليات البحث وحصرها. فإذا قُصِرَ البحثُ على الأفعال مثلاً، فإن محرِّك البحث يَقصر عملياته على الأفعال فقط، ويهمل ما سواها من الأسماء والمصادر والصفات والجموع...إلخ

مثال: إذا طلبنا البحث عن الأفعال المشتقة من الجذر (ح س ب)، حصلنا على النصوص التي ترد فيها أفعالُ هذا الجذر: المجردة والمزيدة، المبنية للمعلوم والمبنية للمجهول، المؤكَّدة وغير المؤكَّدة، في صيغة الماضي والمضارع والأمر، من مثل:

حَسَبَ، حَسَبْتَ، حَسَبْتُم، حَسِبَ، حَسِبَتَا، حَسِبْنَ... (أفعال ماضية مجردة)

يَحْسُبُ، تَحْسُبُ، تَحْسُبِينَ، يَحْسُبُونَ، يَحْسُبْنَ... (أفعال مضارعة مجردة)

حاسَبَ، تَحاسَبَ، احْتَسَبَ، تَحَسَّبَ، احْتَسَبُوا... (أفعال ماضية مزيدة)

يُحاسِبُ، يُحاسِبُونَ، تَتَحاسَبُونَ، تَحْتَسِبِينَ، تَتَحَسَّبانِ... (أفعال مضارعة مزيدة)

احْسُبْ، احْسُبِي، احْسُبُوا، احْتَسِبُوا، حاسِبُوا، تَحَسَّبُوا... (أفعال أمر)

حُسِبَ، حُوسِبَ، حُوسِبَتْ، حُوسِبُوا، حُوسِبْنَ... (أفعال ماضية مبنية للمجهول)

يُحْسَبُ، يُحاسَبُ، يُحاسَبُونَ، تُحاسَبِينَ، تُحاسَبْنَ... (أفعال مضارعة مبنية للمجهول)

٣،١،٦. وزن الكلمة

المعلومة الصرفية الثالثة التي نضيفها إلى الكلمة هي وزنها. والغرض من إضافة وزن الكلمة تضييق نطاق البحث أكثر فأكثر. فإذا اقتصر البحثُ على الأفعال مثلاً، ثم حُصِرَ بوزنٍ محدَّد، فإن محرِّك البحث يَقصر عملياته على هذا الوزن المحدَّد، ويهمل ما سواه من الأوزان الأخرى.

مثال: إذا طلبنا البحث عن الوزن (فَعَلَ) من بين أوزان أفعال الجذر (ح س ب)، حصلنا على النصوص التي ورد فيها الفعل(حَسَبَ) دون غيره من الأفعال.

وهكذا نجد أن نطاق البحث يكون واسعاً جداً على مستوى الجذر، ثم يَضيق بتحديد نوع الكلمة، ثم يضيق أكثر فأكثر بتحديد وزن الكلمة.

٢,٦. أهم مزايا الخوارزمية المقترحة

١,٢,٦. تخفيض عدد نتائج البحث

من مزايا خوارزمية البحث بطريقة (الجذر، النوع، الوزن) أنها تُخفِّض عدد نتائج البحث عن طريق استبعاد النتائج غير المطلوبة. ذلك أنه عند البحث عن كلمة تحتمل وجهَين، دورانُ أحدهما أكبرُ بكثير من دوران الآخر، فإن نتائجَ بحث الوجه الأول تَطغى على نتائج بحث الوجه الثاني، ونكون أمام عددٍ هائل من النتائج يتعذّر معه، بل يستحيل أحيانًا، الوصولُ إلى النصوص التي تحتوي على الوجه الآخر لكلمة البحث. وفيما يلي مثالان يوضّحان هذه الحالة:

مثال أول: إذا بحثنا عن كلمة (وَفِيّ)، أعطتْ محركاتُ البحث المعتمدةُ على مطابقة الكلمة ملايينَ النتائج (أي النصوص) التي وردت فيها كلمة (وفي) بوجهَيها: (وفي: حرف عطف + حرف جر) [وهو الوجه الأكثر دورانًا]، و(وفي: من الوفاء) [وهو الوجه الأقل دورانًا]، كما في الجدولين الآتيين اللذين يحتويان على عدد نتائج البحث عن كلمة (وفي) في ستة محركات بحث متعدِّدة اللغات، وستة محركات بحث عربية.

اسم محرك البحث	Google	Yahoo	altavista	alltheweb	Ask	msn
عدد نتائج البحث	٧٥،٠٠٠،٠٠٠	٥٢،٣٠٠،٠٠٠	٥٢،٣٠٠،٠٠٠	٥٢،١٠٠،٠٠٠	٧،٧٧٠،٠٠٠	١،٩٥٠،٠٠٠

اسم محرك البحث	عربي	انكش	أين	تايا	نسناس	يملي
عدد نتائج البحث	٢٤١٨٤٤٢	١٥٨٩٨٧٦	١١٩٤٢٨١٩٠	١٠٦٢٧٣٩	٥٢،١٠٠،٠٠٠	٢٨٠،٠٠٠

يتبيَّن من هذين الجدولين استحالةُ معرفة النصوص التي وردت فيها كلمة (وفي) من بين هذه الملايين من نتائج البحث.

أما البحثُ بطريقة (الجذر، النوع، الوزن)، فيتمُ بالبحث عن الجذر (و ف ي)، والنوع (صفة)، والوزن (فَعيل). ونحصلُ بالنتيجة على النصوص التي تحتوي على كلمة (وَفيّ) حصرًا دون غيرها.

مثال ثانٍ: إذا بحثنا عن كلمة (مَنَّ)، أعطتْ محركاتُ البحث المعتمدةُ على مطابقة الكلمة ملايينَ النصوص التي ورد فيها حرف الجر (من)، وعددًا قليلاً من النصوص التي ورد فيها الفعل (مَنَّ) تضيع في زحمة ما سواها. يبين الجدولان الآتيان عدد نتائج البحث عن كلمة (من) في ستة محركات بحث متعدِّدة اللغات، وستة محركات بحث عربية.

اسم محرك البحث	Google	Yahoo	altavista	alltheweb	Ask	msn
عدد نتائج البحث	٧٥٨٠٠٠،٠٠٠	٢٨٨٣٠٠،٠٠٠	٢٨٨٣٠٠،٠٠٠	٢٦٧،١٠٠،٠٠٠	٥٢،٨٠٠،٠٠٠	٣٢،٠٠٠،٠٠٠

اسم محرك البحث	عربي	اتكش	أين	تايا	نسناس	يملي
عدد نتائج البحث	١٣،٤٨١،٦٧٩	١١،١٣٢،٤٣٠	٨٦٦٨٦٨٣١٠	٦٨٥١٧٢٧	٢٨٨٠٠٠،٠٠٠	٢١٦٠٠٠

يتبيّن من هذين الجدولين أيضًا استحالةُ معرفة النصوص التي وردت فيها كلمة (مَنْ) من بين هذه الملايين من نتائج البحث.

أما البحثُ بطريقة (الجذر، النوع، الوزن)، فيتمّ بالبحث عن الجذر (م ن ن)، والنوع (فعل)، والوزن (فَعَلَ). ونحصل بالنتيجة على النصوص التي تحتوي على كلمة (مَنَّ) حصرًا دون غيرها.

٢،٢،٦. عدم تشعّب نتائج البحث

ومن مزايا خوارزمية البحث بطريقة (الجذر، النوع، الوزن) أيضًا أنها تُقيِّد نتائجَ البحث بالوجه المراد من كلمة البحث. ذلك أنه عند البحث عن كلمة تحتمل وجوهًا متعدِّدة، فإن نتائج البحث تشتمل على مجموع هذه الوجوه دونما ترتيب، أو فصل فيما بينها. ونكون هنا أيضًا أمام عدد هائل من النتائج يتعذّر معه الوصولُ إلى النصوص التي تحتوي على الوجه المطلوب من كلمة البحث. وفيما يلي مثالان يوضّحان هذه الحالة:

مثال أول: إذا بحثنا عن كلمة (فَهم)، أعطتْ محركاتُ البحث المعتمدةُ على مطابقة الكلمة ملايينَ النصوص التي وردت فيها كلمة (فهم) بوجوهها المختلفة: مثل:

فهم = فَهْم (مصدر فهِمَ يَفْهَمُ)

= فَهِمَ (الفعل الماضي فهِمَ يفْهَمُ)

= فُهِمَ (الفعل الماضي فهِمَ في حال بنائه للمجهول)

= فَهَّمَ (الفعل الماضي المزيد فهَّمَ يُفهِّمُ)

= فَهَمَ (الفعل الماضي المزيد فهّمَ في حال بنائه للمجهول)

= فَهَمَ = فَـ + هَمَ (حرف الفاء + ضمير جماعة الغائبين)

= فَهَمَ = فَـ + هَمَ (حرف الفاء + الفعل الماضي هَمَّ)

= فَهَمَ = فَـ + هَمَ (حرف الفاء + مصدر الفعل هَمَّ يَهُمُّ)

ولا تستطيع هذه المحركاتُ التمييزَ بين هذه الوجوه المختلفة للكلمة. يبين الجدولان الآتيان عدد نتائج البحث عن كلمة (فهم) في ستة محركات بحث متعددة اللغات، وستة محركات بحث عربية.

اسم محرك البحث	Google	Yahoo	altavista	alltheweb	Ask	msn
عدد نتائج البحث	٨٧٤٠،٠٠٠	١٠،١٠٠،٠٠٠	١٠،١٠٠،٠٠٠	٨٨٩٠،٠٠٠	١،٥٥٠،٠٠٠	٢٥٦٠٠٠

اسم محرك البحث	عربي	انكش	أين	تايا	نسناس	يملي
عدد نتائج البحث	٤٥٩٠٨٢	٤٢٤٧٦٩	٨٨٨٨٣٠٦٠	٥٣٦٣٠٩	٩٩٨٠،٠٠٠	٢،٦٤٠،٠٠٠

يتبيَّن من هذين الجدولين استحالةُ معرفة النصوص التي وردت فيها كلمة (فَهْم) من بين هذه الملايين من نتائج البحث.

أما البحثُ بطريقة (الجذر، النوع، الوزن)، فيتمُ بالبحث عن الجذر (ف هـ م)، والنوع (مصدر)، والوزن (فَعْل). ونحصلُ بالنتيجة على النصوص التي تحتوي على كلمة (فَهْم) حصرًا دون غيرها.

مثال ثانٍ: إذا بحثنا عن كلمة (مَلك)، أعطتْ محركاتُ البحث المعتمدةُ على مطابقة الكلمة ملايينَ النصوص التي تحتوي على كلمة (ملك) بوجوهها المختلفة؛ مثل:

مَلَكَ، مُلِكَ، مَلَّكَ، مُلِّكَ... (أفعال)

مَلِك، مُلْك، مِلْك، مَلَك، مَلْك... (أسماء ومصادر)

يبين الجدولان الآتيان عدد نتائج البحث عن كلمة (ملك) في ستة محركات بحث متعددة اللغات، وستة محركات بحث عربية.

اسم محرك البحث	Google	Yahoo	altavista	alltheweb	Ask	msn
عدد نتائج البحث	٢٤٧٠٠،٠٠٠	١٩١٠٠،٠٠٠	١٩٢٠٠،٠٠٠	١٦٠٠٠،٠٠٠	٣.٧٠٠،٠٠٠	٥٣٣.٠٠٠

اسم محرك البحث	عربي	انكش	أين	تايا	نسناس	يملي
عدد نتائج البحث	٨٦٣.٦٣١	١٣٤٩٧٧٨	٧٢.٩٢٨١٧٠	١٦٢٢.١٢٤	١٩١٠٠،٠٠٠	٤٧٩٠،٠٠٠

يتبيَّن من هذين الجدولين استحالةُ معرفة النصوص التي وردت فيها كلمة (مَلك) من بين هذه الملايين من نتائج البحث.

أما البحثُ بطريقة (الجذر، النوع، الوزن)، فيتمُ بالبحث عن الجذر (م ل ك)، والنوع (اسم)، والوزن (فَعل). ونحصلُ بالنتيجة على النصوص التي تحتوي على كلمة (مَلك) حصرًا دون غيرها.

٣.٢.٦. ابتداع ضُرُوب أخرى من البحث

ومن مزايا خوارزمية البحث بطريقة (الجذر، النوع، الوزن) أيضًا قدرتُها على البحث عن ضُروب أخرى من البحث، لا تستطيع محركاتُ البحث المعتمدةُ على مطابقة الكلمة القيامَ بمعظمها. تَنتُج هذه الضُروب من البحث عن طريق التحكم في أحد المكوِّنات الثلاثة: الجذر، والنوع، والوزن. وفيما يلي بعض الأمثلة:

مثال أول: إذا أجرينا بحثًا بطريقة (الجذر، النوع، الوزن) عن الجذر (ح س ب)، والنوع (اسم آلة) دون تحديد الوزن، حصلنا على النصوص التي تحتوي على أحد أسماء الآلة التي وردت من هذا الجذر: مثل:

حاسُوب، محْساب، محْسَب، محْسَبَة، حاسِبة، حَسَّابَة...

وبهذه الطريقة لا نحتاج إلى إعادة البحث عددًا من المرات يساوي عدد الأوزان. إضافةً إلى أننا قد لا نعرف أوزان أسماء الآلة القياسية والسماعية جميعها.

مثال ثان: إذا بحثنا عن الجذر (ء ؟ ؟)، والنوع (فعل)، والوزن (فَعِلَ)، حصلنا على النصوص التي تحتوي على أحد الأفعال المهموزة الفاء التي تتصرف من باب (فَعِلَ يفْعَل): مثل:

أبِقَ يأبَق، أبِهَ يأبَه، أذِنَ يأذَن، أرِقَ يأرَق، أرِمَ يأرَم،

أزِفَ يأزَفُ،   أسِفَ يأسَفُ،   أفِكَ يأفكُ،   ألِفَ يألَفُ،   ألِمَ يألَمُ،

أمِنَ يأمَنُ،   أنِسَ يأنَسُ،   أنِفَ يأنَفُ...

مثال ثالث: إذا بحثنا عن الجذر (؟ و ء)، والنوع (فعل) دون تحديد الوزن، حصلنا على النصوص التي تحتوي على أحد الأفعال الجوفاء الواوية المهموزة اللام (المجردة والمزيدة)؛ مثل:

باءَ يَبوءُ،   ساءَ يَسوءُ،   ماءَ يَموءُ،   ناءَ يَنوءُ،   أساءَ يُسيءُ،

بَوّأ يُبَوِّئُ،   ناوَأ يُناوِئُ،   استاءَ يَستاءُ،   تَناوَأ يَتَناوَأ،   تَبَوَّأ يَتَبَوَّأ،

استَضاءَ يَستَضيءُ...

مثال رابع: إذا بحثنا عن الجذر (؟ ؟ ي)، والنوع (اسم)، والوزن (فاعل)، حصلنا على النصوص التي تحتوي على أحد الأسماء المنقوصة على هذا الوزن؛ مثل:

الباغي، التالي، الجابي، الخالي، الراقي، الساقي، الطاغي، العاصي، القاضي، الماحي، الماضي، الناسي، الناهي، الهادي...

مثال خامس: إذا بحثنا عن النوع (اسم)، والوزن (فاعُول) دون تحديد الجذر، حصلنا على النصوص التي تحتوي على أحد الأسماء التي وردت على هذا الوزن؛ مثل:

حاسُوب، ناقُوس، صارُوخ، ناسُوخ، ساطُور، ناطُور، ناقُور، جارُوف، خازُوق...

مثال سادس: إذا بحثنا عن الجذر (د ف ع)، دون تحديد النوع والوزن، حصلنا على النصوص التي تحتوي على أحد الأفعال أو الأسماء أو الصفات أو المصادر... التي وردتْ من هذا الجذر؛ مثل:

اندفاع، انْدفع، تدافع، تَدافع، تَدفّع، دافع، دافعة، دفاع، دفاعي، دفاعيّة، دفع، دُفع، دَفْع، دُفْعة، مَدافع، مُدافع، مُدافعة، مدفع، مدفعيّة، مدفوع، مُندفع...

مثال سابع: إذا بحثنا عن الجذر (و ؟ ي)، والنوع (فعل)، والوزن (افْعلْ)، حصلنا على النصوص التي تحتوي على أحد أفعال الأمر من اللفيف المفروق؛ مثل:

قِ (من وَقى يَقي)، عِ (من وَعى يَعي)، فِ (من وَفى يَفي)، لِ (من وَلي يَلي)، شِ (من وَشى يَشي)...

مثال ثامن: إذا بحثنا عن النوع (جمع)، والوزن (فَعاعيل) دون تحديد الجذر، حصلنا على النصوص التي تحتوي على أحد جموع التكسير التي وردت على هذا الوزن؛ مثل:

دَنانير (جمع دينار)،   سَكاكين (جمع سكّين)،   دَجاجيل (جمع دجّال)،

قَراريط (جمع قيراط)،   أبابيل (جمع لا واحد له)...

مثال تاسع: إذا بحثنا عن الوزن (فَعْلان) دون تحديد الجذر والنوع، حصلنا على النصوص التي تحتوي على أحد الأسماء أو الصفات التي وردتْ على وزن هذا الوزن: مثل:

مَيْدان، رَيْحان، شَعْبان، سَعْدان، مَرْجان، حَوْران، شَيْطان، حَسّان، عَمّان... (أسماء)

عَطْشان، غَضْبان، سَكْران، شَبْعان، عجلان، ملآن، ظمآن، نَدْمان، كَسْلان... (صفات)

وغيرها كثير.

بقي أن نشير إلى نقطتين مهمّتَيْن:

الأولى: أن البحث بطريقة (الجذر، النوع، الوزن) لا يتطلّب إدخال جذر الكلمة، ولا نوعها، ولا وزنها. فبمجرّد أن نُدخل الحرفَ الأولَ من الجذر في مربع البحث، تَظهر (قائمة الجذور) التي تبدأ بهذا الحرف لنختار منها الجذرَ المطلوب. عندئذ تَظهر (قائمة نوع الكلمة) و(قائمةُ وزن الكلمة) لنختار منهما نوعَ الكلمة ووزنَها. والجدير بالذكر أن (قائمة وزن الكلمة) تفاعليةٌ مع (قائمة نوع الكلمة). فإذا كان نوع الكلمة المختار هو (فعل)، عَرَضتْ (قائمة وزن الكلمة) أوزانَ الأفعال فقط، وإذا كان نوع الكلمة المختار هو (صفة)، عَرَضتْ (قائمة وزن الكلمة) أوزانَ الصفات فقط، وإذا كان نوع الكلمة المختار هو (مصدر)، عَرَضتْ (قائمة وزن الكلمة) أوزانَ المصادر فقط، وهكذا...

الثانية: أن البحثَ بطريقة (الجذر، النوع، الوزن) يُعدّ مُكمِّلاً للبحث بطريقة مطابقة الكلمة وتطويرًا له. وبذلك نستفيد من مزايا الطريقتَيْن كلتيهما للحصول على نتائج بحث فعّالة. يوضّح المثالُ الآتي كيفيةَ الاستفادة من طريقتَي البحث المذكورتَيْن:

إذا أردنا البحث عن كلمة (مَلِك) بجميع صورها، فإننا نطلب البحث عن الجذر (م ل ك)، والنوع (اسم)، والوزن (فَعِل)، كما مرّ آنفًا. ونختار عدم مطابقة الكلمة. فنحصلُ على النصوص التي تحتوي على كلمة (مَلِك)، وكذلك على النصوص التي تحتوي على الكلمات التي تشترك معها في أحرفها وحركاتها: مثل:

وَمَلِك، المَلِك، والمَلِك، فالمَلِك، للمَلِك، كالمَلِك... (الكلمة مع سوابقها)

مَلِكُهُ، مَلِكُها، مَلِكُنا، مَلِكُهُم، مَلِكي، مَلِكُهُما... (الكلمة مع لواحقها)

وَمَلِكُهُ، فَمَلِكُها، بِمَلِكِها، كَمَلِكِنا، وَمَلِكُهُما... (الكلمة مع سوابقها ولواحقها)

أما إذا أردنا البحث عن كلمة (مَلِك) بهذه الصورة فقط، فإننا نطلب البحث عن الجذر (م ل ك)، والنوع (اسم)، والوزن (فَعِل). ونختار مطابقة الكلمة. فنحصلُ على النصوص التي تحتوي على كلمة (مَلِك) فقط.

٧. عناوين مواقع بعض محركات البحث

http://www.google.com/

http://www.yahoo.com/

http://www.altavista.com/

http://www.alltheweb.com/

http://www.ask.com/

http://www.msn.com/

http://www.araby.com/

http://www.onkosk.com/

http://www.ayna.com/

http://www.tayait.com/

http://www.nesnas.com/

http://www.yamli.com/

http://www.sawalive.com/

http://www.alkhawarizmy.com/

http://www.samit.com/

http://www.ferkess.com/

http://www.naseej.com/

http://www.ibbhath.com/



قول على قول
في مشكلات اللغة العربية

أ.د. كمال بشر

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول الأول هو رأينا في هذه القضية، وهو يعني النظر في القول الثاني الذي تناثرت أفكار أصحابه وأصواتهم في الفترة الأخيرة من الزمن تنادي بضرورة الإصلاح اللغوي، بدءاً من نظام الكتابة ومروراً بأصوات اللغة وصرفها ونحوها.. الخ.

أصحاب هذا القول الثاني المنادون بالإصلاح مخلصون مدركون -بصورة من الصور- الصعوبات والتعقيدات التي تواجه الجماهير العريضة في استيعاب اللغة والتمكن من مادتها، الأمر الذي زحزحهم وابتعد بهم عن توظيفها وعن عقد الألفة بينها وبينهم.

ومن ثم انصرفوا عنها، بل عزلوها حتى آوت إلى ركن ضيق غير رشيد، فاحتلت مملكتها وسيطرت على مواقعها الخاصة والعامة لسن ناشزات نافرات ملوّثة بأشتات من أنماط الكلام التي من شأنها -إن عاجلاً أو آجلاً- أن تصنع من القوم العرب أقواماً متفرقين فكراً واتجاهاً وثقافات، وإن كانوا ململمين في بقعة جغرافية ذات حدود تنسب إليهم أو ينسبون إليها.

أدرك المصلحون الجدد (أصحاب القول الثاني) هذه المشكلات كلها أو بعضها ففكروا وتدبروا، ورأوا -منفردين غالباً- ما رأوا. ولكن هذا الذي رأوه (على ما سيأتي بيانه) لا يرقى إلى درجة القبول العام من الثقات ذوي الحنكة والدربة في معالجة هذه المشكلات التي تخفى أسرارها وأسبابها على كثير من الناس، خاصتهم وعامتهم على سواء.

ومن هنا ساغ لنا إبداء الرأي فيما حاوله هؤلاء المصلحون في هذه المشكلات بادئين الآن بالقول والحوار حول النظام العربي للكتابة، متبعين ذلك فيما بعد بمناقشتهم والحوار معهم فيما عرضوا له من مشكلات أخرى.

أولاً: النظام العربي للكتابة

نادي بعضهم بضرورة النظر في نظام الكتابة العربية والعمل على إصلاح هذا النظام بالتغيير أو التعديل.

بدأ هذه المحاولة بأسلوب حازم واثق عبد العزيز فهمي باشا في أوائل الأربعينيات من القرن العشرين. جهد الرجل نفسه بالقول والكتابة منادياً بضرورة استبدال نظام الكتابة اللاتينية بنظام الكتابة العربية. ذلك -في رأيه- أن الكتابة العربية فيها نقص وقصور شديدان في تصوير المنطوق العربي، وبخاصة فيما يتعلق برموز الحركات القصار. فهذه الرموز،

وإن كان لهـــا وجـــود مقرر معـــروف، ليست مسجلة في صلـــب الكلمة، الأمر الـــذي يعرضها للإهمال أو الخلط بينها، فتضيع الحقيقـــة الصوتية للمنطوق، فينقلب النطق خطأً أو مضطرباً.

هذا صحيح، ولكن هذا النداء لم يصبه التوفيق، ولم يلق قبولاً في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا، إذ إنـــه يفسد ولا يصلح ويزيد الأمر تعقيداً واضطراباً، لأسباب كثيرة منوعة، وإليك بعضاً منها:

١- استبدال نظام الكتابة في أية لغة بنظام آخر ليس بالأمر السهل علمياً وواقعياً. ذلك أن اللغة يلحقها التغير من وقت إلى آخر شئنا أم لم نشأ. هذا التغير أو التطور يقتضي حتمـــاً وضع نظم كتابية مختلفة على مـــرّ الزمن لتقابل حاجة النطـــق المتغير. وهذا وضع يشق على الناس القيام به وتحقيق صنعه.

٢- استبدال نظام كتابي بنظام آخر يوقع أصحاب اللغة في مشكلات علمية ومادية. من ذلك مثلاً:

ماذا يصنع أهـــل اللغة بتراثهم المكتوب بالنظام المراد تغييره؟ أيُهمل هذا التراث ويقذف به إلى البحر أم يعودون إليـــه ويكتبونه بالنظـــام الجديد؟ أمران كلاهما مر وغير مقبول.

الاحتمـــال الأول مرفوض جملـــة وتفصيلاً، والاحتمال الثاني يحتاج إلى جهود كبيرة، بل مستعص الأخذ به من حيث توفير المال والرجال لإنجازه.

٣- في فـــترة الانتقال من النظـــام الأصلي إلى النظـــام المقترح، يتحتـــم تعليم النـــاس نظامين من الكتابة في وقت واحد، وهو وضع غريب.

٤- استبدال النظام اللاتينـــي بالنظام العربي للكتابـــة خالٍ من بعد النظر وعمق الرؤية. ذلك لأنه يفقد اللغة العربية خاصـــة مهمة من خواصها التي تميزها وتشكل هيئتها.

٥- النظام اللاتيني نفسه نظام مشوب بالقصور ومحشوّ بالتجـــاوزات التي لا ترشحـــه للأخذ به في كتابـــة العربية. إنه -كما هـــو معلوم- خال من رموز كتابية معينة من شأنها مقابلة أصوات عربية، كصوت الهمزة وصوت القاف وصوت العين الخ.

٦- هـــذا بالإضافة -وهو الأهـــم- إلى أن هذا النظـــام اللاتيني به عـــور شديد عنـــد التطبيق في الكتابـــة الفعلية. لاحظ معي كتابـــة بعض الكلمات الإنجليزيـــة بالنظام اللاتينـــي، تشاهد أن الكتابة لا تصور المنطوق في كثير من الحالات في قليل أو كثير. تأمل كتابة هذه الكلمات:

right- Knight (بمعنـــى فارســـ) - programme -centre الخ.

والإنجليز أنفسهم الآخذون بهذا النظام اللاتيني يشعرون بهذا القصـــور، وحاولوا إصلاحه أو تعديله أكثر من مرة. وكانت المحاولة الأقوى والأشهر عندما ناقشـــوا هذه القضية مناقشة متسفيضة في "مجلس العمـــوم" في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين. درسوا وبحثوا وعرضوا الأمر برمته على هذا المجلس لاتخاذ قرار نهائي في الموضوع. ومن اللافت اللنظر أن القرار النهائي جاء حاسماً واضحاً مؤكداً وجوب الإبقاء على النظام المعهود الذي توارثته الأجيال دون تغيير أو تعديل، وعلّلوا ذلـــك بأسباب علمية ومادية وعمليـــة، يتفق مجملها مـــع ما ذكرنا مـــن الأسباب ارقـــام: ١- ٢ -٣ التي سجلناها سابقاً في شأن تغيير نظام الكتابة العربية.

وأضافوا سبباً آخـــر ذا أهمية خاصة بوضعهم السياسي آنذاك. قـــرروا أن التغيير أو التعديل ربما يـــؤدي إلى اضطراب في الرابطـــة السياسية المتمثلة فيما يعرف "بالكومنولث" (commonwealth)، حيث لا يضمن أحد موافقـــة كل الدول المشتركة في هذه الرابطة على هذا التغيير أو التعديل.

وأظن أنه ليس من البعيد أن ينطبق هذا السبب الإنجليزي الأخير على حالنا نحن العرب عند محاولة تغيير نظام الكتابة، فقد يوافق قوم ويعترض آخرون.

ومما يذكر أيضاً في هذا المقام أن الأمريكان حاولوا النظر في هذا النظام اللاتيني، ولكن محاولتهم جاءت مركّزة على حالات معينة محدودة، ممثلة في تلك الصور الكتابية المشوبة بالشذوذ الواضح البعيد عن تصوير النطق تصويراً لائقاً، وبخاصة فيما يتعلق بالحركات، كما في نحو: program بدلاً من progrmme، وcenter، وbehavior بدلاً من behaviour الخ.

وهكذا نرى أن استبدال النظام الكتابي للغة ما بنظام آخر ليس بالأمر الهين، لا يقدم عليه أو يحاوله إلا أقوام اضطروا إلى ذلك اضطراراً لأسباب سياسية أو ثقافية فرضت عليهم فرضاً، وهم مع ذلك في كل الأحوال لا يمثلون نموذجاً مقبولاً يقتدى به.

وندلف الآن بيان أهم نقطة في قضية نظام الألفباء العربية وما يثار حوله من وقت إلى آخر من وسمه بالقصور وما يبدو فيه من هنات تقتضي النظر والإصلاح.

نقول: الاستبدال باختيار نظم أخرى صعب بل مستحيل، كما سبق أن قررنا للأسباب المسجلة آنفاً. أما التعديل بالإضافة أو الحذف فجائز ومقبول نظرياً. وقد جرت محاولات ومقترحات كثيرة في هذا الصدد من أفراد وجماعات وهيئات، في مقدمتها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولكن هذه المحاولات والمقترحات لم يؤخذ بها وظل الخلاف حول قبولها أو رفضها جارياً حتى هذه اللحظة.

ركّز محاولو الإصلاح على ثلاث شوائب بادية في النظام العربي للكتابة، من شأنها حرمان هذا النظام من الدقة الكافية لتصوير النطق تصويراً صحيحاً.

الشائبة الأولى:

تتمثل هذه الشائبة في زيادة بعض الرموز ونقص في بعضها الآخر. ففي الحالة الأولى قد يذكر رمز كتابي دون مقابل له في النطق، كما في زيادة الواو في "أولئك"، والألف في "ضربوا". وفي الحالة الثانية قد تغيب بعض الرموز، في حين يقتضي النطق إثباتها في الكتابة، كما في نحو "هذا" -أولئك -هؤلاء - الرحمن.. إلخ بغياب الألف في هذه الأمثلة كلها.

هذه الشائبة بطرفيها أمرها سهل هين يمكن تداركه أو تفسيره على الوجه التالي:

أمثلة الزيادة محدودة معدودة يمكن حصرها واستيعابها، كما يمكن تفسير بعض أمثلتها، كالألف في نحو "ضربوا"، حيث قرروا -على ما يقال- تسجيلها في الكتابة لبيان أن الواو قبلها ضمير وقع فاعلاً للدلالة على الجمع، وبهذا يظهر الفرق بينها وبين الواو في مثل "مدرسو" الفصل، حيث إن الواو هنا علامة إعراب وليست ضميراً.

أما غياب بعض الرموز في الكتابة التي يوجب النطق إثباتها فهو تقليد قديم جرى عليه الكاتبون منذ البدء، ولم يحاولوا -أو لم يحاول أغلبهم- التخلص من هذا التجاوز اتباعاً للموروث وتحاشياً للتعقيد الذي ينشأ عن التعديل الجزئي في النظام.

واللافت للنظر أن التجاوز في عدم ذكر الرمز المقابل للمنطوق، منحصر أمثلته في رمز الألف. والألف -كما هو معروف- يمثل الفتحة الطويلة، فلم تسجل في الكتابة اكتفاء بالفتحة القصيرة؛ إذ لا فرق بينهما إلا في خاصة القصر والطول.

الشائبة الثانية:

تظهر في اختلاف الرمـز لمقابلة صوت واحد، كما في "غزا" و"رمـى". الصوت الأخير في المثالين صـوت واحد، ورمزه المفروضـ أن يكون هو الألف. ومع ذلك جـاء الوضع هنا مخالفـاً، حيث أشير إلي هـذا الصوت بالألف في المثال الأول وبالياء في المثال الثـاني، الأمر الذي يعني الخلط ويـؤدي إلى البلبلة والاضطراب في الكتابة، وهو ما نشاهده ونلمس آثاره في الجو العربي العام.

هذا التقليد في اختلاف ترميز الصوت الواحد قرره ثقات العربية في القديم وأكّدوا وجوب الأخذ به في حالة واحدة. هي حالة وقوع الألف اللينة في آخر الكلمـات الثلاثية، كما في المثالـين المذكورين. ولهم في هذا القـرار مسوّغ مقبـول في إطار منهجهم في دراسـة العربية وتحليلها، وهو منهج يعنى (ضمن ما يعنى به) بالنظر في جذور الكلمات وأصول مكوناتها. رأوا أن الألف في نحو "غـزا" أصله "الواو" (غَزَوَ) وأنه في نحو "رمى" أصله "الياء" (رَمَيَ) ولبيان هذه الحقيقة الصرفية الفارقة (في عرفهم)، رأوا التمييز بـين الحالتين في الكتابـة؛ فخصصوا رمز الألف لما أصله الواو والياء لما أصله الياء.

وقد سار العرب علـى هذا النهج الكتابي حتى يومنـا هذا، وإن وقعت من بعضهـم أخطاء واضحة في التطبيق، وبخاصة في وقتنا الحاضر المتسم أهلوه بالضعف في لغتهم كتباً ونطقاً.

فكـر بعض الدارسين المخلصين طويلاً في هذا الأمر، فـرأى نفر منهم وجـوب توحيد الرمز (وهو الألـف) طبقاً للنطق الواقعـي، فلم يجد هذا الرأي قبولاً يرشحه للعمل به. ورأى آخرون ضرورة الإبقاء على ما قرره الأقدمـون، وسار عليه الكاتبون طوال التاريـخ، اتباعاً للموروث وحفاظاً على نظام الكتابة مـن التشويه بالتدخل الجزئـي، وضماناً للربط بين الحديث والقديم من الآثار المكتوبة.

ونحن مع الصوت المنـادي بعدم التغيير، إذ إن هـذه المخالفة في رموز الكتابة ليسـت عبثاً وليست ضربـاً من العشوائية، كما يظن غـير العارفين. إنها صنعت وأقرّت، للدلالة على أصول الكلمات وحقيقة مكوناتها، ومعرفة هذه الأصول والوقوف على طبيعة مكوناتها من المباحث المهمة في الدرس الصرفي عند العرب. هذا بالإضافة إلى أن هذه المخالفة في الترميز محـدودة الوقـوع نسبياً، الامر الـذي يمكن تداركه واستيعابه بالخبرة في الكتابـة والمعرفة المناسبة بما يرتبط بها من أصول صرفية. وواضح أن العدول عن هذا النهـج الكتابي المقرر المستقر اتباعه والأخذ به طوال القرون الكثيرة، قد يؤدي إلى الاضطراب وقطع الصلة بين الآثار المكتوبة في الماضي والحاضر.

الشائبة الثالثة:

هـي في حقيقـة الأمر مشكلـة تستأهل النظر الواعي والدرس الدقيـق، وقد تناولها الدارسون في القـديم والحديث بغية الوصول بهـا إلى رأي صالح متقبل يخلد اللغة ويفيد أهلها. تلك هي مشكلة رموز الحركات في نظام الكتابة العربية.

يقرر الدارسون الثقات في القديم والحديث أن الحركات في العربية الفصيحة الصحيحة ثلاث، هي الفتحـة والكسرة والضمة. وهذه الحركات قد تكون قصـيرة أو طويلـة ورموزهـا الكتابية هـي ـَـــــِـــــُ للحركات القصار و "ا ي و" للطوال.

والشكـوى هنـا تتصرف على رمـوز الحركات القصـار، إذ إنهـا ليست في صلـب الكلمة، ومن ثم يمكن إهمالها في الكتابة أو الخلط بينها، الأمر الذي مـن شأنه أن يوقع القارئ المتواضـع الثقافة اللغوية في الخطـأ أو اللبس، وهو ما نعرفه ونلمسه جميعاً. وقـد حاول –ويحاول– الكثـيرون التخلص من هذه

الشائبة، وقدم بعضهم اقتراحات مختلفة لعلاج هذا القصور. ولكـن، كل ما أتوا به من محاولات في هذا الشـأن لم تجد طريقهـا إلى النـور ولم ترشح نفسها للقبول، لأسباب كثيرة منها:

١- الإشارة إلى هذه الحـركات القصار برموز تسجل في صلب الكلمة تقتضي تعديلاً كبيراً في نظام الكتابة، وهو أمر ليس بالأمر الهين، كما قررنا سابقاً عند الكلام على محاولات التعديل أو التغيير في نظام الكتابة في أية لغة.

٢- اصطناع رموز جديدة يوقعنا في مأزق يصعب التخلص منه أو يستحيل. ذلـك أن هذا الاصطناع الجديـد يصيب التراث المكتـوب بالنظام القديم في مقتل. إمـا أن نتركه بحاله فتنقطع الصلة بينه وبين الجديد، فنفقد بذلك ثروة غالية، جهد الآباء وجهد التاريـخ في تسجيلها، وإما أن نعيد كتابة هذا التراث وهو أمر خيالي مستبعد، عملياً ومالياً.

وحقيقة الأمر أن قضية رموز الحركات القصار قضية قديمة حديثة، وستظل مثار جدل ونقاش إلى أن يشـاء الله، عندما يُوفق القـوم إلى تعديل نظام الكتابة بطرفيه المكونين له: رموز الأصوات الصامتة ورموز الأصوات الصائتة (الحركات). وهو أمر قابل للنظر والتفكـير، وإن كان عصيّ المنال أو مستحيله، لأسباب تاريخية وعلمية وواقعية، كما أشرنا إلى شيء من ذلك فيما سبق.

في القـديم كانت رمـوز الكتابـة العربية غير منقوطة ولا مشكولة، فخيف اللبس والخطأ واللحن، وبخاصـة في القرآن الكريم. فهـمّ قوم منهم وطلبوا إلى "أبي الأسود" أن يصنع شيئاً من الرموز للحركات (القصار) في القرآن، فأبى أول الأمر وقال: "لا أصنع في كتـاب الله مـا ليس من كتـاب الله" فاقعدوا له –على ما قيـل– رجلاً في الطريق يقرأ القرآن خطأ. ففزع الرجل وقال: "أحضروا الكتبة" فاجتمع ثلاثة منهم، وقال لهـم "سأقرأ القرآن، فإذا فتحت شفتيّ بالحـرف فضعوا نقطة فوقه عن يمينه، وإذا كسرت شفتيّ بالحـرف فضعوا نقطة تحتـه، وإذا ضممت شفتيّ بالحرف فضعوا نقطة فوقه عن شماله".

وهكـذا تم إصلاح الشـكل بالنقط في المرحلة الأولى، وسمّى "الشكل بالنقط". ومن بعد أبي الأسود جاء نصـر بن عاصم (ومعه آخرون) فقال بالإصلاح الثاني أعجم الحروف بالنقــط للتمييز بينها، حيث كانت غير منقوطة، فالرمز "ب" مثلاً كان خالياً من النقــط، ويصلــح لأن يكون باءً أو تــاءً أو ثاءً. فقرر "نصـر" وضع نقطة للباء مــن تحتها ونقطتين للتاء، وثـلاث نقاط للثاء. واستمـر في عمله هذا إلى آخر الحــروف التي تحتاج إلى نقط بهـدف إزالة اللبس، كما في نقط الرمـز "ح" الذي كان يصلح لأن يكون جيماً أو حاءً فوضع نقطة للجيم وأخرى للخاء وترك الحاء دون نقط، كما يبدو ذلك كله في الصور الثلاث للرموز المعهودة لنــا الآن. وهكذا كان صنيعه في كل الحروف التي ينبغي التمييــز بينها بالنقط، كما في الراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد... إلخ. وسمي هذا الإصلاح الثاني "الإعجام بالنقط".

وكانت نتيجة هذيــن الإصلاحين وجود نوعين مــن النقط، الأمــر الذي يــؤدي إلى اللبس والخلط بينهمــا، إذ ليس من السهل علــى كل أحد أن يفرق بينهما لتعيين وظائفهما.

اقترح بعضه التمييز بين النوعين بكتابة أحدهما بلـون والآخر بلون مختلــف، واستمر العمل بذلك – على ما يقال– لفترة قصيرة حتى جاء عبقري العربية "الخليل بن أحمد".

لم يَرُق له هذا الوضع فانصرف تفكيره إلى صنع شيء مقبول يقضي على اللبس والخلط، فترك نقط الإعجــام على حاله، واستبدل بنقــط الشكل نظاماً جديــداً، ينبئ بوضوح –عنــد العارفين– عن أصالة

فكـــر الرجل وعمقـــه في استيعـــاب أصـــوات اللغة والتمييز بينهـــا، وما ينبغي أن يصنـــع لها من رموز تحكي خواصها النطقية.

أدرك الخليل بعبقريتـــه الفذة أن هناك علاقة صوتية بـــين الحركات القصار وحـــروف المد (ا –و –ي)، وهي علاقة الجزء بالـــكل نطقاً، كما في مثل: "ضـــرب –ضارب وبعت –بيع وقلت –قولوا" فانطلق الرجل إلى بيان هذه العلاقة بترميز الحركات القصار بما يؤكدها كتابه. وقال قولته المشهورة "بما أن هذه الحركات (القصار) نصـــف حروف المد نطقاً وجب أن تكون نصفها كتبـــاً"، فكانت رموز هذه الحركات هي ـَـ ـِـ ـُـ .

وهكـــذا نـــرى أن العلاقة بين رمـــزي الفتحة والضمة وألف المد وواو المدّ في الكتابة علاقة واضحة، وهي علاقة كاشفة عن الجزئية والكلية بين القبيلين نطقاً. وكذلك الحال بين رمز الكسرة وياء المدّ، إذ إن ياء المدّ آنذاك كانت تكتب هكذا (ـے)، ومازال لهذه الصورة وجود في بعض الكتابات القديمة.

وجـــاء من بعده ابـــن جني اللغـــوي الفيلسوف فالتقط فكرة الخليل، وصاغها صياغة أكثر وضوحاً وأعمق بيانـــاً. يقول ابن جني: "اعلـــم أن الحركات أبعاضـــ حروف المدّ، فكمـــا أن هذه الحركات ثلاث فكذلك الحروف ثلاثة. فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعضـــ الواو. وقد كان متقدمو النحاة يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، وكانوا في ذلك على طريق مستقيمة".

فما أروع هذا الابتـــداع للخليل وما أعمق هذا البيان مـــن ابن جني! لقد أراحـــا واستراحا، وقدّما خدمـــة جليلة لنظام الحـــركات في العربية، وما زلنا ننعم به حتى الآن، على الرغم مما يصيح به بعضهم من شـــكاوى وما يتهمون به هـــذا النظام من عيوب وقصـــور، وهم في غفلة عـــن دقته ووفائـــه بحاجة لغتهم.

والرأي –في النهايـــة– أن نظام الكتابة العربية خير نظام لهذه اللغة بالذات، سواء فيما يتعلق بترميز الأصـــوات الصامتـــة consonants أو الأصـــوات الصائتـــة (الحـــركات) vowels. أضف إلى ذلك أن هذا النظـــام العربي جاء متسقـــاً وجارياً على ذلك المبدأ العلمي المشهور الذي ينبغي الأخذ به ومراعاته عند وضع نظم الكتابة لأية لغة على وجه الأرض.

هذا المبدأ تلخصه العبـــارة الموجزة في قولهم: "رمز واحـــد لكل وحدة صوتيـــة: one letter for one phoneme ومعناه وجوب الاقتصار على رمز واحـــد لكل وحدة صوتية، مهمـــا كان موقعها في أية كلمة من كلمات اللغة.

ومن اللافـــت للنظر والجديـــر بالذكر أن هذا المبـــدأ الحديث ظهـــوره قد طبق بدقـــة واضحة في الترميز الكتابـــي للوحدات الصوتية العربية، صامتة كانت أم صائتة (حركة)، وإليك التمثيل للتوضيح.

في الوحدات الصامتة:

كل وحدة صوتية صامتة في لغتنا لها رمز واحد، فالوحدة الصوتية المسماة باء مثلاً لها رمز واحد هو "ب"، وإن تغـــيرت هيئته من سيـــاق إلى آخر، وهكذا الحال في سائر الوحدات الصامتة دون استثناء.

في الوحدات الصائتة (الحركات):

لم يشـــذّ ترميـــز الحـــركات عن هـــذا المبدأ في عمومـــه. فكل حركـــة –قصيرة أم طويلـــة– لها رمز واحـــد معين، إلا في حالة واحـــدة. فلكل من الفتحة والكســـرة والضمة –قصيرة كانـــت هذه الحركات أم طويلة– رمز واحد. رموز القصيرة تتمثل في ـَـ ـِـ ـُـ ، والطويلـــة في الألف والياء والواو. ولم يشد عن هذا النهج إلا حالة واحدة تتمثل في الفتحة الطويلة (ألف المـــدّ) في نهاية الفعل الثلاثي من نحو "غزا –رمى"،

حيث كتبت هذه الفتحة الطويلة بالألف في المثال الأول وبالياء في المثال الثاني، وكان الواجب كتبها بالألف أيضاً، ومع ذلك فهذا الشذوذ الكتابي الوحيد ليس عبثاً –كما يظن بعضهم– وإنما كان للتدليل على قيمة لغوية يهتم بها القدامى في تحليل أصول الكلمات صرفياً. ومن هنا كان قرارهم كتابة "غزا" ونحوها بالألف للدلالة على أن أصلها الواو، وكتابة "رمى" ونحوها بالياء للدلالة على أن أصلها الياء. وهو تفريق مقبول وأمثلته قليلة محصورة لا تفسد القاعدة العامة بحال من الأحوال.

قد يحلو لبعض الغافلين أن يتساءلوا أو يشكّوا في هذا النظام الدقيق، متصايحين: وما الرأي في رموز الحركات القصار؟ نقول: إنها موجودة ومقررة منذ القديم في صورة (َ ِ ُ)؛ وإن كانت لا تسجل في صلب الكلمة. وهذه هي الشائبة الوحيدة، ومن الممكن إدراكها والتخلص منها بالخبرة والمعرفة الدقيقة بنظام الكتابة العربية، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

من كل ما سبق تبيّن لنا أن نظام الكتابة العربية، وإن كان مشوباً بشيء من القصور، ما يزال صالحاً للعمل به، وما يزال يرشّح نفسه خير نظام لهذه اللغة. ومع ذلك، ليس هناك ما يمنع من معاودة النظر فيه شريطة أن يبقى نظاماً عربياً خالصاً، لا تشوبه شوائب الغُربة أو التغريب.

ثانيا: النظام الصوتي

لكل لغة نظامها الصوتي الذي يميزها من غيرها من اللغات. وهو نظام أكثر قابلية للتطور (بمعنى change) من سائر النظم اللغوية الأخرى. ذلك أن تفعيل هذا النظام سبيله النطق الفعلي من أصحاب اللغة. ومعلوم أن هؤلاء الأصحاب –مهما كانت درجة ثقافتهم اللغوية– يختلفون فيما بينهم في نطق هذه الأصوات قليلاً أو كثيراً، ويتجاوزون في أدائها أداء يخرج بها عن نظامها المقرر من أهل الثقة وهم المشتغلون بوضع قواعد النظم اللغوية بالاعتماد على الاستعمال العام الذي يرشح نفسه ممثلاً صحيحاً، مطرد الأداء من أهل البيئة المعينة.

فإذا اختلف الأداء اختلافاً يؤدي إلى الخلط أو الخطأ بالنسبة للقواعد المقررة، نهض المسئولون وأولو الرأي إلى النظر في الأمر، ومحاولة رأب الصدع، بصورة أو بأخرى، قصداً إلى توحيد اللسن أو التقريب بينها، حتى يصيبها التنافر أو التناقض الأمر الذي يؤدي حتماً إلى زعزعة البناء اللغوي أو تحويله إلى عدة أبنية مختلفة القوائم والطرز في صورة لهجات أو رطانات أو تجاوز في مكوّناتها تجاوزاً يشي بالخطأ في رسومها وأشكالها.

ومن الواضح أن النظام الصوتي للغة العربية في عصرنا الذي نعيش فيه قد أصابه الخلل والاضطراب إلى حدّ كبير يلاحظ هذا ويدركه العارفون بقواعد اللغة، من خلال تحقيق هذه القواعد وتفصيلها في النطق الفعل السائد في الوطن العربي شرقه وغربه.

اختفت أصوات أو كادت في الاستعمال الحيّ المنطوق ومن غالبية القوم، مثقفين وغير مثقفين، كأصوات الثاء والذال والظاء، واضطربت أصوات أخرى بتعدد صور نطقها هنا وهناك، كما في صوتي الجيم والقاف. كما فشل كثير من الناطقين العرب في الوفاء بخواص الحركات والإتيان بها على وجهها الصحيح.

ولم يقتصر هذا الخلط والاضطراب على الوحدات الصوتية المكوّنة للتركيب اللغوي (الصوامت والحركات – consonants & vowels)، وإنما امتدّ هذا السلوك إلى تلك الظواهر الصوتية التي تلوّن التركيب أو تكسو البناء لتحديد نمط الكلام وتصنيفه نمطاً ذا خصوصية وفقاً لطبيعة التركيب المعين وسياق الخارجي (المقام). وهذه الظواهر فوق

التركيبية لها أهميتها في الفهم والإفهام. إنها جزء لا يتجزأ من النظام الصوتي، فإذا غابت أو اضطرب أداؤها حُرم التركيب من الوفاء بحق المعنى الدقيق للمنطوق كله. من هذه الظواهر النبر (stress)، وله مواقعه المقررة في الكلمة أو التركيب، ومن أهمها التنغيم (intonation) وما ينتج عنه من ارتفاعات وانخفاضات دالة على نمط التركيب من استفهام وإثبات أو تعجب وشك أو معارضة، أو تعليق جزء من الجملة بجزئها الآخر المتمم لها، أو فصل ووصل أو وقفات.

ومن اللافت للنظر أن هذه التجاوزات النطقية الشائعة على ألسنة العرب في عصرنا الحاضر لم يحاول أحد من المعنيين بالأمر دراستها دراسة علمية دقيقة، نظرياً وتطبيقاً. نعم، هناك جهود فردية أشارت –في قليل أو كثير– إلى بعض هذه التجاوزات، ولكن هذه الإشارات جاءت في سياق النظر في الأصوات العربية وخواصها المقررة الموروثة عن قدامى الدارسين، وإن كان ذلك بأسلوب جديد وتفسير سهل، قصداً إلى تيسير تعرفها والوفاء بحقها في النطق.

كانت البداية في هذا النهج من الدرس على يد الدكتور إبراهيم أنيس الرائد الأول في الدرس اللغوي الحديث بكل مستوياته في العالم العربي وخلف من بعده خلف ساروا على طريقه في مراجعة القديم ومناقشة ما يجري في الحديث من أساليب التعامل مع أصوات العربية.

كان لهذه البداية الطيبة، وما يتبعها من جهود أثرها الفاعل في توجيه الاهتمام إلى أصوات العربية بتخصيص وقت معين لدراستها دراسة علمية في بعض الكليات كدار العلوم وكلية الآداب بجامعة الإسكندرية. وزاد الاهتمام بهذه الدراسة في دار العلوم بالاستعانة بمعمل للأصوات لتدريب الطلاب على الأداء الحي الصحيح للغة سماعاً وإسماعاً. ولكن هذا النهج الطيب لم يدم طويلاً، إذ انصرف المسئولون هناك عن هذا الواجب، وأهملوا تفعيل هذا المعمل بالصورة المرجوّة، وامتد هذا الإهمال بمرور الزمن حتى أصبح هذا المعمل طللا على طلل.

وهكذا للأسف الشديد ظلت أصوات العربية حائرة بين الخلط والخطأ في كل موقع حتى في ديار العربية ذات الاختصاص.

ولنا في هذا المقام أن نقدم أمثلة لهذا الاضطراب الذي شاع في مجمل أصوات العربية، حتى صار ظاهرة عامة في الأوساط المثقفة وغير المثقفة.

ينطبق هذا الذي نقول على الصوامت (consonants) والصوائت (الحركات = vowels). ونكتفي الآن بإيراد بعض الأمثلة من الصوامت التي أصابها هذا التجاوز في النطق، مرجئين النظر في وضع الحركات إلى وقت آخر.

أولاً أصوات ما بين الأسنان

الثاء والذال والظاء: هذه الأصوات الثلاثة تتفق في خاصتين من خواص النطق: هما موضع النطق، وكيفية مرور الهواء عند نطقها. إنها تأتي عن طريق وضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى، بحيث يسمح لشيء من الهواء بالمرور عند الأداء فيحدث احتكاك مسموع، ويظهر الفرق بين الثاء والذال في أن الثاء صوت مهموس والذال صوت مجهور، بمعنى أن الأوتار الصوتية لا تتذبذب في حال نطق الثاء ولكنها تتذبذب في حال نطق الذال، فالذال إذن هو النظير المجهور للثاء.

وينطق صوت الظاء بالطريقة التي يتكون بها صوت الذال، إلا أن اللسان مع الظاء يرتفع مؤخره إلى أقصى الحنك، كما يرجع إلى الخلف قليلاً، فيحدث

التفخيم، فالفرق بين الذال والظاء هو الترقيق في الأول والتفخيم في الثاني. ومعناه أن الظاء هو النظير المفخم للذال.

ويمكن تلخيص ذلك كله في التعريفات الموجزة التالية:

الثاء صوت ما بين الأسنان، احتكاكي مهموس.
الذال صوت ما بين الأسنان، احتكاكي مجهور.
الظاء صوت ما بين الأسنان، احتكاكي مجهور مفخم.

هذا الوصف لنطق هذه الأصوات الثلاثة هو ما اتفق عليه الثقات من أهل الصنعة المتخصصون في مصر في أصوات اللغة العربية الفصيحة الصحيحة، وهو ما يأخذ به المجيدون من قراء القرآن الكريم.

هذا الأصوات الثلاثة حائرة في الأداء النطقي على اللسان العربي الآن، بسبب ما أصابها من الخلط بين المستويات الفصيحة والعاميات والرطانات المحلية. ومن اللافت للنظر أن هذا الخلط ليس مقصوراً على العامة، بل له واقع ملموس أحياناً على ألسنة المثقفين والمتخصصين في العربية في دور التعليم على اختلاف مراحلها، والإذاعيين في الإذاعة والتليفزيون.

والخلط في نطق هذه الأصوات جميعاً له صور كثيرة يمكن الإشارة إلى أوضح أمثلتها وأكثرها انتشاراً:

الثاء والذال

قد يوفق بعضهم إلى نطق هذين الصوتين نطقاً صحيحاً أحياناً، ولكنهم في الوقت نفسه، وفي المقام ذاته، يقعون في التجاوز، فينطقون الثاء سيناً، كما في نحو (سلاسة) بدلاً من (ثلاثة)، أو تاء كما في (تعلب) بدلاً من (ثعلب). وينطقون الذال زاياً كما في (زنب) بدلاً من (ذنب)، أو دالاً كما في (دهب) بدلاً من (ذهب).

الظاء

نادراً ما ينطق هذا الصوت نطقاً صحيحاً في المجتمع العربي كله، والشائع على ألسنة المصريين الآن نطقه زاياً مفخمة أو ضاداً، فيقولون (الضهر) بدلاً من (الظهر).

ولنطقه صور أخرى مضطربة في بعض البلاد العربية.

والخلط في نطق هذه الأصوات الثلاثة له واقع ملموس في العاميات هنا وهناك، وهو أمر لا يعنينا في هذا المقام، إذ إن العاميات بلهجاتها ورطاناتها محشوة بالخلط والتجاوز على المستويات اللغوية كافة، ولها نظامها اللغوي الخاص الذي يحتاج إلى دراسات مستقلة.

أما الخلط والتجاوز في نطق هذه الأصوات في أداء العربية الفصيحة الصحيحة، فهو غير مقبول بأية حال من الأحوال. ذلك أن فيه خروجاً واضحاً عن النظام الصوتي لهذه اللغة، وهو بذلك يعد خطأ صريحاً لا يليق حدوثه ممن يتعاملون بهذه اللغة في سياقاتها العلمية والثقافية في أقل تقدير.

ثانياً الجيم

تنطق الجيم في اللغة العربية ولهجاتها قديماً وحديثاً بخمس صور من النطق. وهذه هي:

(١) الصورة المأخوذ بها الآن من مجيدي قراء القرآن الكريم، ولها وجود ظاهر بين بعض المتخصصين وعامة الجماهير في مصر. ونسميها لمجرد التمييز "الجيم الفصيحة". ورمزها في الكتابة الصوتية(dj)، وهي صوت مركب.

(٢) الجيم القاهرية، ونعني بها تلك الصورة من النطق الشائع في الحواضر المصرية. وسميت بهذا الاسم للتميز بينها وبين الصور الأخرى، ولكثرة

استخدامهــا في القاهرة، بحيث صارت كما لو كانت هي القاعدة المتبعة في نطق القاهريين في مجموعهم، ورمزها في الكتابة الصوتية (g).

(٣) الجيــم الشاميــة، وهي السائــدة في نطق هذه المنطقة الواسعة المعروفة "بالشام". ورمزها في الكتابة الصوتية (j).

(٤) نطقها ياءً، كمــا في بعض لهجات الخليج، وبخاصة في الكويت ورمزها الكتابي (y).

(٥) نطقهــا دالاً، كما نلحظــه أحياناً في نطق بعض أهالي الصعيد، كما في قولهم (ديش) بدلاً من (جيش)، و(دردا) بدلاً من (جرجا).

هذه الصــور الخمس من النطــق الآن موزعة هــذا التوزيع على مناطقها المشار إليها سابقاً، ولكن مع احتمــال الخلط في النطق، بحيــث نلحظ وقوع صورتــين أو أكثر في المنطقة الواحــدة، كما أن هذه الصــور ذاتها كان لها وجــود في القديم، وإن بنسب مختلفة من لهجة إلى أخرى.

وزاد الجاحــظ في (البيــان والتبيــين) صورة سادســة، وهي نطقهــا (زاياً) ونسبهــا إلى الأنباط، ويقــال إن لها وجوداً في بعضــ لهجات "فلسطين" و"تونس" في الوقت الحاضر.

هذا الخلــط الواضح في نطــق (الجيم) وكثرة صوره في العالم العربــي الآن يثير التساؤل الآتي: ما الرأي في هذا الوضع، وما السبيل إلى تصحيحه؟

الإجابة عن هــذا التساؤل أمــر سهل ميسور. نقــرر في البدء أن لكل لغة أو لهجة أو رطانة نظامها الصوتي الخاص بها، ومن هنا يكون الحكم على هذا التجاوز على الوجه التالي:

(١) نطق الجيم يــاءً أو دالاً خاصة من خواص اللهجــات أو الرطانات المحليــة التي يسير أصحابها علــى هذه الصورة أو تلك مــن النطق. وليس لنا في هــذا المقام أن نلزمهــم أو ننصحهــم بالعدول عما يفعلون. ذلك أن هــذه اللهجات والرطانات لها نظم لغوية خاصة بها على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. وهي نظم تختلف كثيراً أو قليلاً عن نظــام العربية الفصيحة الصحيحة. فلو حاولنا النظــر في المستوى الصوتــي كان علينا أن ننظر في سائــر المستويــات الأخرى. وهذا النظــر –وإن كان جائزاً بل واجباً بهدف محاولة توحيد اللسان العربي حفاظاً على اللغة العربية (في أصل معناها) بوصفها أساس القومية العربية والهوية الشخصية– ليس من شأننــا في هذا السياق. ذلك أنــه يقتضي منا العمل في محوريــن: الأول.. الدعــوة إلى التزام بالعربية في صورتهــا المقــررة؛ وتحقيق هذه الدعــوة يحتاج إلى جهــود وأزمان طويلــة، وربما لا يتم هــذا القصد. المحــور الثــاني.. دراسة هذه اللهجــات والرطانات على المستويات كافــة، لمحاولة تعديل مساراتها حتى تلتقي في النهاية باللغة الفصيحة الصحيحة. والرأي عندنا أن هذه المحاولة أشبه بالمستحيل، إذ إن وجود اللهجــات أمر طبيعــي في كل اللغات لارتباطه بتنوع البيئات والثقافات.. الخ.

(٢) الجيــم الشاميــة وقــد استقــر أمرها في المنطقــة المشار إليها سابقاً، وهذا الاستقرار متحقق في كل أنماط كلام أصحابها فصيحاً كان أم عامياً.

(٣) الجيم الفصيحــة الصحيحــة المعتمدة من ثقات الدارسين: وهذه الصــورة هي الواجب الأخذ بها في قراءة القرآن الكريم، وفي كل حديث علمي أو ثقافي مصوغ باللغة العربية في سياقاتها المناسبة، دون خلط بينها وبين غيرها من الصور السابق بيانها.

ويجوز في هذه الحالة الأخيرة استخدام الجيم القاهرية، إذ إن لها قبولاً في القديم والحديث، بل يقال إنها الأصل في نطق الجيم العربية وأصابها التطور.

ثالثاً.. (القاف)

القاف ينطق هذا الصوت بثلاث صور شائعة في معظم البلاد العربية، وقد تقع هذه الصور الثلاث في البلد العربي الواحد، بل ربما على لسان الشخص الواحد، طبقاً لما يجري في البيئة المعينة من اختلاف في الثقافة اللغوية والوضع الاجتماعي ومقامات الكلام، وهناك صورة رابعة لنطق هذا الصوت، ولكنها مقصورة على مناطق عربية معينة وعلى لسان نفر من الناس ذوي الثقافات والأوضاع الاجتماعية المتواضعة.

الصورة الأولى:

تتمثل هذه الصورة في نطق القاف نطقاً صحيحاً وفقاً لما يراه الثقات من الدارسين. وهي ما يجري عليه المجيدون من قراء القرآن الكريم في مصر، وما نعهده من جملة المتخصصين في اللغة العربية وصفوة المثقفين في المقامات العلمية والاجتماعية التي تلزمهم أو توجب عليهم هذا النهج الصحيح. ومع ذلك لا نعدم وقوع الخلط في نطقهم أحياناً.

يتم نطق هذه الصورة الصحيحة برفع أقصى اللسان حتى يلتصق باللهاة، فيقف الهواء و لا يُسمع له بالمرور، وفجأة ينخفض أقصى اللسان فيندفع الهواء ويسمح له بالمرور محدثاً صوتاً انفجارياً، ولا تتذبذب الاوتار الصوتية حال النطق. القاف بهذه الصورة توصف علمياً بأنها صوت لهوى وقفة انفجارية مهموس.

الصورة الثانية:

هذه الصورة هي الأكثر شيوعاً والأعم استخداماً في معظم لهجات العالم العربي، بل يلتزم بها بعضهم هنا وهناك في الفصيح والعامي على حد سواء.

هذه الصورة هي ما نسميها بالجاف (بنطق الجيم كما ينطقها القاهريون وأمثالهم) وهي الصورة التقليدية المعتادة في نطق أهل الصعيد في مصر وبعض بيئات الوجه البحري، ولها وجود ظاهر في كثير من البلاد العربية. كما أشرنا إلى ذلك.

ويبدو أن هذه الصورة كان لها وجود في القديم. وربما يؤيد ذلك ما صنعه سيبويه (وغيره) من وضع القاف مع الكاف في منطقة واحدة، عند ترتيبه للأصوات بحسب مخارج النطق، مع وصفها بالجهر. ولا يمكن ترجمة هذا الصنيع نطقاً إلا كونها (جافا) (بالجيم القاهرية) أو ما يشبه أن تكون كذلك.

ومن المهم أن نشير هنا إلى أنه على الرغم من التماثل والشبه النطقي بين هذه الصورة النطقية للقاف بالجيم القاهرية، فإن بينهما اختلافاً جوهرياً في الوظيفة والقيمة الصوتية في بناء الكلمة، وفي أن كلاً منهما ينتمي إلى مستوى لغوي معين ذي نظام صوتي مختلف. فالجاف في مصر مثلاً تنتمي إلى النظام الصوتي للهجات المدن والحواضر . ودليل ذلك أن من ينطق القاف جافاً لا يستخدم الجيم القاهرية، حتى لا يقع لبس في الكلام، وإنما ينطق الجيم الفصيحة بصورة من الصور. فالقاف بنطقها جافاً توصف بأنها صوت حنكي –قصي وقفة- انفجارية مجهور.

الصورة الثالثة:

تنطق القاف همزة خالصة، كما في نطق القاهريين وأضرابهم من سكان الحواضر في مصر وبعض البلاد العربية. وهذا النطق أصبح شبه تقليد

ثابت عند كثير من الناس، وفي المقامات الاجتماعية التـي تقتضي نطـق القاف الفصيحــة، كما نسمعه أحياناً من بعض المذيعين وغيرهم.

وهناك صورة رابعــة لنطق القاف، وهو نطقها غيناً. وهذا النطق –على أية حال– محدود الاستعمال للغايــة، حيث لا يخبره إلا قلة من الناس في السودان والعراق وعُمان. ويقع ذلك منهم بوجه خاص في تلك الكلمــات الفصيحة التي انضمت إلى الثروة اللفظية في عاميات هذه البلاد.

وقــد اختلف في أسباب هــذا الخلط وكيفيات وقوعه. فقــال قوم إن ذلك كله (وغــيره) يرجع إلى ضعف الثقافة الصوتية لنطق العربية، وآخرون يرون أنــه ضرب من التطور أو التغير صواباً أو خطأ، فهذا منهج آخر في النظر إلى اللغة. ويقال إن هذه الصور الأربع كان لها وجود في القديم. ونحن نميل إلى هذا الــرأي وبخاصــة فيما يتعلق بنطق القــاف جافا أو همزة. أمــا نطقها غيناً فهو خلــط بين هذا النطق ونطقها جافاً (الجيم القاهرية)، إذ إن أصحاب هذ النطــق (بالغــين) لا يتسعملون الجيــم القاهرية في أدائهم المنطوق.

علينــا الآن أن نوضح الفرق بــين هذه الصور الأربع في النطق في إيجاز موجز، على الوجه التالي:

- القاف صوت لهوي، وقفة –انفجارية مهموس (القاف الفصيحة).

- القاف صوت حنكي قصي، وقفة –انفجارية مجهور (الجاف).

- القاف صوت حنجري وقفة –انفجارية (همزة).

- القاف صوت حنكي قصي احتكاكي مجهور (غين).

وهذه الصــور الأربــع تختلف فيمــا بينها في الذيوع والانتشار، وفي المستــوى اللغوي الذي تنسب إليه. فالصورة الأولى وهي القاف الفصيحة، واجب استعمالها في القرآن الكريم والحديث الشريف، وفي كل نص أدبي أو علمي جيد. أم الصورة الأخرى فهي عاميات لها مواقعها ومناسباتها وأهلوها.

رابعاً – الضاد

هــذا الصوت من أكثر الأصــوات العربية حيرة علــى ألسنة العرب. يؤكد هــذه الحيرة وقوع الخلط في نطقه علــى المستويات اللغوية العربية كلها، سواء أكانــت هذه المستويات فصيحــة أم عامية بلهجاتها ورطاناتها المختلفة. ويزيد من هذه الحيرة الخلط في كتابته؛ فقوم يكتبونه بالحرف (ض) وآخرون يكتبونه بالحــرف (ظ)، وقد يكتبه بعضهم بالحرفين معاً في النص المكتوب الواحد.

وقصة نطــق الضاد قصة غامضــة. ذلك أننا لا نعــرف بالدقــة كيف كان ينطق هــذا الصوت في القــديم كل الذي نعرفه عنه في هــذه الفترة هو ما سجله الأقدمون عنه من أوصاف في تراثهم المكتوب. من ذلك ما جاء في كتــاب سيبويه وأعمال ابن جني (وغيرهما) من أوصاف لكيفيات نطقه. وهي أوصاف تبعد بنطقــه بعداً شاسعاً عن نطقــه الآن في مصر وبعض البلاد العربية الأخرى.

يقول سيبويه في كتابه عند الكلام على الأصوات (المطبقة):

(لولا الإطباق لصارت الصاد سيناً والطاء دالاً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام).

ومعنى هذا بوضوح أنه إذا زال الإطباق (التفخيم) من الضاد فلا أثر لها في النظام الصوتي العربي. أو بعبارة أخرى لا يكون لها نظير مرقق، على عكس ما يجري مما نخــبره الآن في مصر وغيرها وما يجري

على ألسنة مجيدي قراءة القرآن في مصر الضاد هو أن لــه نظيراً مرققاً هو الــدال إذا زال عنه الإطباق (التفخيــم). وكثيراً ما نسمع هــذا النظير المرقق في كلام السيدات عن النطق بالضاد.

ويأتــي ابن جني بعد سيبويــه ويضيف أوصافاً أخرى لنطق الضــاد، تزيد الأمر تعقيداً، وتبعده كل البعد عن ضادنا الحالية. يقول ابن جني عند تسجيل أوصــاف نطق الضاد: (إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن أو الجانب الأيسر أو من كليهما). ويؤكد صحة هذا النطق وجودتــه بقوله: (وكان عمر –رضي اللّٰه عنه– مــن أفصح الناس لأنــه كان يستطيع أن يأتي بالضاد من أي شدقيه شاء).

هذا الوصــف للضاد مــن كلام هذين العالمين الرائدين ينتج عنه –فيما لو طبق في النطق الفعلي– صــوت غريب بالغ الصعوبة في الأداء، بل لا نستطيع وصف هــذا الأداء بدقة كافيــة. كل الذي يمكن أن نقولــه في هذا الشأن هو احتمال أن يكون ما يصنعه الكويتيــون والعراقيون في نطقــه الآن تحقيقاً لهذا الوصــف، أو مثلاً من أمثلة أدائه في القديم، إن كان لهذا الأداء القديم وجود بالفعل.

واضح أن نطــق الكويتيــين والعراقيين يذهب بصــوت الضــاد إلى صورة نطقيــة مختلفة اختلافاً جذرياً عــن ضادنا المعهودة عنــد المصريين وبعض البيئات العربية الأخــرى. فضادنا صوت يوصف به وقفة انفجاريــة، وضاد الكويتيين والعراقيين (وربما غيرهم) صوت ينحو نحو الظاء واللام معاً.

ونتســاءل الآن: أي الصورتــين أصــح أو أولى بالإتبــاع؟ الفيصل في هذا الأمر هــو درجة الشيوع ومــا يعقبه من اتفاق بين الأغلبية من أهل اللغة، وما يسوغ نهجهم مــن صنع أهل الثقة نظــراً وتطبيقاً. إذا طبقنــا هذا المبدأ (وهو حتــم في الدرس اللغوي الحديث) كان الأصــح والأولى هو نطق الضاد وقفة انفجارية مفخمة ونظيرها المرقق هو الدال. وهذا ما تجري عليه الآن أغلبية العرب، وهو المأخوذ به عند المجيدين من قراء القرآن الكريم. أما الصور الأخرى فلها أهلوها ولهــا بيئتها وتؤخذ على أنها تنتمي إلى لهجة أو لهجات خاصة.

خامساً –الراء

يــتراوح نطق صوت الراء بين صورتين سائدتين الآن في البلاد العربية. الصورتان هما نطقه مفخماً أو مرققاً دون ضابط ودون الإتيان به في هذه الصورة أو تلــك على وجهها الصحيح، وفقــاً لقواعد نطقه عند الثقات من الدارسين.

عند أهل الاختصاص الآن: الراء المفخمة أكثر وروداً في اللغــة العربيــة الفصيحة. ولهذا لم يكن في مقدورهم تحديــد مواقعها المفخمة بالدقة الكافية. ومن ثم عمدوا إلى تحديد مواضع الترقيق.

قالوا: ترقق الراء في النطق العربي الفصيح في حالتين هما:

– إذا جاءت مكســورة أي متبوعة بكسرة، مثل: رزق –بارد إلخ

– إذا جــاءت ساكنة بعد كسر، كما في نحو فرية –مريــة. ولكن ذلك بشرطــين. الأول ألا تكون متلوة بصــوت استعلاء. (وأصــوات الاستعلاء هي: الخاء والغــين والقاف والصاد والضــاد والظاء). فإن وقع بعدها صوت من هذه الأصوات أصابها التفخيم مثل: مرقاب –مرصاد إلخ. الثاني: أن تكون الكسرة قبلها كسرة أصلية لا عارضة (والكسرة العارضة تتحقق في موقعين: همزة الوصل والهمزة التي يؤتى بها للتخلص من التقاء الساكنين فإن كانت الكسرة السابقة عليها عارضة فخمت الراء. مثال هاتين الحالتين: ارحموا

-اركبوا وإن ارتبتم.

وقد أشار واحد منهم إلى حالات الترقيق بقوله:

ورقق الراء إذا ما كسرت
كذلك بعد الكسر حيث سكنت
ما لم تكن من قبل حرف استعلا
أو كانت الكسرة ليست أصلا

هذا هو ما تقرر عند الدارسين من المتأخرين والمحدثين بالنسبة للتفخيم والترقيق لصوت الراء. ومع ذلك نلاحظ أن الخلط في نطق هذا الصوت أصبح ظاهرة سائدة على ألسنة الكثيرين من أهل العربية، حيث إن كثيراً من هؤلاء يميلون إلى ترقيق صوت الراء وبخاصة النساء.

نعم، لا ننكر أن للترقيق وجوداً في بعض القراءات القرآنية في غير المواضع التي أشرنا إليها سابقاً. ولكن هذا الترقيق خاص بهذه القراءات وفقاً لمعايير معينة في إطار هذه القراءات نفسها وهو أمر يحتاج إلى دراسة مستقلة.

سادساً -اللام

اللام صوت مرقق في النطق العربي الفصيح، ولكنه في لفظ الجلالة (اللّه، اللهم) له حالات من التفخيم والترقيق. قالوا يفخم صوت اللام في لفظ الجلالة إذا سبق بضم أو بفتح: قال اللّه -قالوا اللهم، ولكنه يرقق إذا سبق بكسر، كما في نحو بسم اللّه الرحمن الرحيم. وإلى هذا أشار واحد منهم:

وفخم اللام من اسم اللّه
عن فتح أو ضم كعبدّ[1] اللّه

ومعنى هذا وجوب ترقيق هذا الصوت في غير هذه الحالة الخاصة بلفظ الجلالة. ونحن نرى أن صوت اللام يصيبه شيء من التفخيم أيضاً إذا جاور صوتاً من أصوات التفخيم، بقطع النظر عن حركة هذا الصوت المجاور، كما في نحو (الصلاة -طلب -لص بتفخيم اللام). ذلك لأن نطقه في هذه الحالة مرققاً فيه صعوبة ظاهرة على الناطق، بسبب تأثره بالتفخيم في هذا السياق.

ويؤيدنا في ذلك أن جمعاً من قراء القرآن الكريم ينهجون هذا المنهج في قراءتهم. والتفخيم في هذه الحالة ليس خطأ، لأن المفخم السابق أو اللاحق للام له وجود شئنا أم لم نشأ. وفي النهاية نقول:

إن هذه الحيرة في نطق هذه الأصوات لها وجود واضح في جميع أنحاء الوطن العربي بلا فرق. وقد حاولنا الكشف عن أسباب هذه الحيرة، مع تقديم النصح بالالتزام بالنطق الصحيح لهذه الأصوات، وفقاً لما يراه الثقات من الدارسين، وما يجري عليه مجيدو قراءة القرآن الكريم في مصر. وهذا الالتزام مقصور -بالطبع- على المقامات والمناسبات التي -بدورها- تقتضي استخدام العربية الفصيحة الصحيحة.

ومعنى هذا أن الخلط في نطق هذه الأصوات على المستوى العام في اللهجات والرطانات المنتشرة هنا وهناك أمر لا يمكن التحكم فيه أو إصلاحه إلا بإصلاح المسار اللغوي كله، بحيث يسير القوم جميعاً على درب واحد ومنهج واحد في التعامل اللغوي. ولا يمكن ذلك بالحتم إلا باستخدام لغة موحّدة، هي عربية القوم جميعاً، الموسومة بالعربية الفصيحة. والوصول إلى هذه السبيل أمل يراودنا جميعاً، ولكن تحقيقه يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل، ولا يسمح المقام الحالي لمناقشته بالإيجاز أو التفصيل على حد سواء.

---

(١) جاء بالفتح بدلاً من الكسر بقصد التمثيل لحالة التفخيم.

القسم الثاني

بحوث خاصة
عن واقع اللغة العربية
في بعض الأقطار العربية



وضع اللسان العربي في الجزائر



أ. د. عمار الطالبي

أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجزائر.

يمكن القول بأن اللسان عالم منطوق أو مكتوب معبر عن عالم مشهود أو معقول، عالم من المفردات وتراكيبها لعالم من الأشياء والأفكار والأشخاص والأفعال أيضاً، وما يحدث لهذه العوالم من تغيير يتردد صداه بوضوح في عالم اللغة والثقافة عامة، وإذا أصيبت لغة قوم بمحنة، وسطت عليها لغة أخرى أو لغات أجنبية وخدشت طبيعتها، فإنها تتخلخل في بنيتها وفي ألفاظها، وإذا طال الأمد على هذه المحنة أمكن أن تموت هذه اللغة أو تكاد تلفظ أنفاسها.

لإدراك وضع اللسان العربي في الجزائر اليوم يتعين النظر في تاريخها، وما تعرضت له من حرب ضروس أوهنت وجودها، فاعوجت في متنها وصيغها، تكلم ألفريد رامبو وزير التعليم الفرنسي عن مراحل احتلال الجزائر فقال سنة ١٨٩٧: «سوف يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة، إذ يجب أن تضمن السيطرة للغتنا، وأن ندخل في أذهان المسلمين الفكرة التي نحملها نحن أنفسنا عن فرنسا ودورها في العالم، وأن تحل المفاهيم الأوربية الدقيقة محل الجهل والأفكار المنغلقة»[١].

منعت إدارة الاحتلال استعمال اللسان العربي، وجعلته أجنبياً، وأصدرت تشريعات تعرف بـ: Code de l'indigéna فأغلقت بمقتضاها المدارس والكتاتيب، وصرح أحد مسؤولي سلطة الاحتلال بأنه: "عندما تندثر المدارس القرآنية ولا يبقى منها حتى الغبار، وعندما يعود العرب إلى بداية الإنسان على هذه الأرض فإنه يمكن تلقين هؤلاء بعض الشيء".

وظن الجنرال هانوتو أن الأمة دفنت مع لسانها فقال: "إن مسألة العرب قد دفنت نهائياً. ولم يبق

(١) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١، ص٥٦.

لهم سوى المــوت أو الهجرة أو قبول خدمة أسيادهم الأقوياء"[٢].

وبذلوا جهوداً متواصلة لتكون الفرنسية دارجة وعامــة في أوساط الجزائريــين، وعقدوا العزم على جعلهم فرنسيين.

كمــا جــاء في قــرار ١٨٤٩: "لاستمالتهم إلينا وإدماجهــم فينا وجعلهم فرنسيين وأكد هذا من بعد بقرار آخر سنة ١٩٣٨ يجعــل اللغة العربية أجنبية، وهذا قــرار شوطان[٣] وزير الداخلية الفرنسي ينص على أنه لا يجــوز تعليمها بالمدارس، وإذا أراد بعض التلاميذ اختيارها فلتكن العامية لا الكلاسيكية كما سماها، وألفت كتب مدرسية بالعامية وهي خليط من العربية والأمازيغية والتركيــة والمالطية والفرنسية، كلام هجين، لا يكاد يبين، وقد كتب الصحفي محمد فريــد الــذي زار الجزائر سنــة ١٩٠١ أن الصحف المصريــة منعت من دخــول الجزائر، وأنــه أرسلت إليه شخصيــاً أثناء وجوده بالجزائر بعض الصحف المصرية فحجــزت، ونشر هذا في جريدة اللواء عدد أكتوبر سنة ١٩٠١، وأدى ذلــك إلى ترسيخ استعمال خليــط يجمع لفظاً عربياً وآخــر فرنسياً في تركيب واحــد لا بنية له واضحــة ولا معنى، إنما هو تشويه هجين من الكلام تشوبه العجمة، ويسوده الغموض.

ومما يبــين السياســة الفرنسيــة الاستعمارية الثقافيــة ما كتبــه مدير التعليــم في الجزائر جورج هــاردي[٤] في هذا المجــال: «إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائيــة في مستعمراتنا وجعلهم أكثر ولاء وإخلاصــاً في خدمتهم لمشاريعنا هو أن نقوم بتنشئة أبنــاء الأهالي منذ الطفولــة، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمــرار حتى يتأثــروا بعاداتنا الفكرية وتقاليدنــا، والمقصــود إذن هو أن نفتــح لهم بعض المدارس كي تتكيف فيهــا عقولهم حسب ما نريد[٥] فالغايــة إنما هي تكوين نخبة ذيلية لخدمة المستعمر والولاء له، ومسخ الثقافة، وتحويل الذهنية الجماعية الجزائرية.

كمــا رسمت سياســة تنصيريــة يقودها رجال الكنيسة بدعم من رجال الجيش فصرح الجنرال ليوتي[٦] بأنــه: «يجــب أن نتفادى تعليــم الجزائريين اللسان العربي، لأن هذا اللسان يؤدي إلى الإسلام»[٧].

فجعل الإسلام هو العدو الخطير، يجب إزاحته أيضاً، وسبيل ذلك استبعــاد اللسان العربي، ومعنى هذا تمزيق الوحدة الثقافيــة، بتغييب اللغة العربية التــي ترتبط بالعقيدة وبالعــالم العقلي والثقافي، أي بعــالم الأفكار على حد تعبير مالك بن نبي نبه الناس على هــذه الظاهرة، وبين أن تأثــير اللسان الأجنبي علــى المجــال الفكري يختلــف من بلــد عربي إلى آخر، وذكــر نموذجين، النموذج المصــري، والنموذج الجزائــري، فمصر يظهر هــذا التأثــير في المجال الجامعي أي النخبة، أما الجزائر فإن اللغة الأجنبية وهي الفرنسية لا تقتصر على ميدان العمل الفكري، وإنما تصل إلى الحياة اليومية، فازدواج اللغة ها هنا ازدواج شعبــي. قد يكــون ازدواج اللغة عامل تلاقح ثقــافي يبعــث الحركة في العالم الثقــافي بما يرد من أفــكار من ثقافة أخرى فنستعيد ما يسميه مالك بن نبي الأفــكار المطبوعة قدرتها علــى الكلام بعد أن كانــت فقدت حوارها مع الحيــاة وسيطرتها عليها، وتتجه إلى إبداع ما يسميه بالأفكار الموضوعة، وربما

---

(2) *Ph.Lucas et J.c.Vatin 1975*

(3) *Chautain*

(4) *Gearges Hardy*

(٥) يسلي مقــران، "موقف فرنسا من الثقافــة الجزائرية أثناء الاحتلال" مجلة المبرّر، مؤسسة الأيام للنشر والإشهار والتوزيع، الجزائر (دزت) ص٧٥.

(6) *General Lyauty*

(7) *Mondialisation et enjeux linguistique, ouvrage collectif, C R E A D, 2001, P.70*

قام هذا الازدواج ببعث حركة الجوانب الثقافية التي توقف فيها نبض الحياة الفكرية الفعالة.

أما في الجزائر فقد اتخذ الوضع صبغة فريدة فلم يكن هذا الازدواج محيياً، وإنما كان ما يشبه الديناميت، فبالرغم من أنه لم يدمر كل شيء فإنه أحدث شقوقاً عميقة فريدة من نوعها، فظهرت في المجتمع طائفتان في النخبة المتعلمة قبل الاستقلال وامتدت إلى ما بعده، نخبة تنطق باللسان العربي، وتحاول مع ابن باديس إحياء الصلة بالقيم الإسلامية التي خمدت، وأخرى تنطق بالفرنسية، وتتقنع حسب تعبيره بكل قناع من تقدمية، ووجودية، وماركسية مزيفة، وبربرية لخدمة مصالحها بأي شعار من هذه الشعارات، وباصطناع فئة تناصر فرنسا باسم الأمازيغية ترفع من شأن ماضيها القديم، من الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية أو تحولوا إلى المسيحية، ويخلطون عن قصد بين الأمازيغية والفرنكفونية[٨] فالأولى لم يحالفها التوفيق في عقد صلة جديدة بين الروح الجزائرية والقيم الإسلامية لفقدان الصلة الحقيقية مع نماذج هذه الثقافة الحية التي يسميها مالك بن نبي بالأفكار المطبوعة، ولم تتمكن النخبة الثانية من توثيق الصلة الحية مع الحضارة الغربية لفقدان الفهم الدقيق لروح الحضارة الغربية العملية، فأدى فقدان الأفكار الصحيحة من ناحية، وفقدان الأفكار الفعالة من أخرى، إلى توقف السير، وتعطلت الحركة المبدعة، ولما اختفى الوجود الاستعماري الظاهري انكشفت آثار هذه الشقوق بوضوح، فرأينا عمق هذا التصدع الذي أحدثه ازدواج اللغة في القمة والقاعدة معاً، فلم تصبح في الجزائر نخبتان فحسب وإنما «مجتمعان» متراكبان، أحدهما يمثل الوطن التقليدي التاريخي، والثاني يرغب في أن يصنع وجوده وتاريخه من الصفر ويقطع صلته بكل ما هو تقليدي، ولا تستطيع أن تتعايش أفكار هذا الفريق مع أفكار الفريق الآخر في عالم ثقافي واحد، فهما يتحدثان لغتين مختلفتين، وها هنا تأتي ألوان من الصراع الفكري الذي تغذيه عوامل داخلية وأخرى خارجية، فإن معركة التعريب في الجزائر ليست ببعيدة عن مراصد الصراع الفكري وقادته، ولا يمكن أن يَدَعوا متابعتها بالمراقبة الدقيقة، إذن أصبحت الحياة الثقافية الاجتماعية في الجزائر لغوياً وما ينجر عنها من لون ثقافي ذات شقين متعارضين تعارضاً واضحاً في أوساط النخبة، وفي أوساط القاعدة العريضة من الشرائح الاجتماعية، وفي المدن بصفة خاصة، وأخذت نتائج هذه الظاهرة صبغة فريدة لا نجدها في بلد آخر بمثل ذلك الوضوح في الواقع اليومي بالجزائر، فهؤلاء تسود لديهم ثقافة وأفكار ما بعد الحضارة بكل أبعادها كأنها إسطوانة مطموسة فقدت دوافع الحركة، وأولئك تسود لديهم أفكار موضوعة لا تعبر عن شيء له صلة بالمجتمع، كأنها اسطوانة ليس فيها سوى أنغام ناشزة مشتتة ناشئة عن أفكار جوهرية مطبوعة على اسطوانة عالم ثقافي آخر، فقدت وجودها الحقيقي في الاسطوانة الجديدة المشوشة العاجزة عن توفير وسائل عملية فعالة للحراك الاجتماعي، نجد عند هذه الجماعة عاطفة غامضة تسيطر على الواقع لا يمكن ترجمتها في مخطط له أثر، وعند الأخرى خلط بين الحركة الوجودية مثلاً التي تعبر عن أعقاب حضارة والمجهود الفكري الذي يؤدي إلى تكوّن مبدأ الاتجاه إلى الحضارة، تجد الذاتي والأدبي بجانب ما يشبه الموضوعي وليس بموضوعي، وما يشبه العلمي وليس بعلمي، وإنما هو مخدّر يفرض تقاليد وخرافات يظن أصحابها أنها الحقيقة، كما تجد من يدعي الثورة الذي لا يثور على القيم الباطلة، وإنما على أصدق القيم، تجد فكرة فقدت إشراقها بجانب فكرة فقدت فعاليتها، وأضحت جرثومة توهن الواقع الثقافي

(٨) محمد حربي، العدد ٥٨٠ جانفي، فبراير ١٩٥٥، *“La Guerre des Frères”, Algérie, P.30, Les Temps Modernes*

وتعطلــه، هذا سكون وركــود، وذاك فوضى صارخة وحركة مزيفة.

ومن الظواهر أننا إذا عبرنا عن أفكارنا أو تراثنا بلغــة أجنبية فإننا نقع أحياناً في أخطاء تكون بمثابة خــذلان ثقافتنا وضــرب مالك بن نبــي مثلاً لذلك بكتاب ألفه صاحبه في الجزائر عنوانه: «فن العمارة بالجزائر» أشار فيــه إلى أن المهندس المعماري» كان يدعى لبناء القصــور والكنائس والقلاع» فأغفل مع الأســف المسجد الذي هو من أهم خصائص العمارة الإسلامية، فإن هذا الموضوع حتى إذا درس في فرنسا أو في ألمانيــا في غيرهما فإنه لا يمكــن إهمال هذا الجانب، وبهــذا فإن ازدواج اللغة يمكن أن تنتج عنه عواقب تتعارضــ أشد المعارضة مع الثقافة الخاصة بمجتمــع ما[٩] وبهــذا تكاد اللغة تكــون هي الأفكار ذاتها.

وفي سنة ١٩٦٢ انتزعت الجزائر استقلالها بعد جهــاد مرير، ولكن هذه السياســة الفرنسية اللغوية الثقافيــة استمرت بوسائل أخــرى عديدة منها أنها أنشأت «الأكاديمية البربرية» لتمزيق مجتمعنا تمزيقاً لا يقتصــر على استعمال اللسان فحسب، وإنما يمتد إلى العرق، فقد ورد في وثيقة صدرت سنة ١٩٧٣ أن: «تاريــخ شمال إفريقيا كما يدرَّســ اليوم كله تزييف وتحريــف، ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة نكراء اسمها العروبة»[١٠] وذلك لنسف سياسة تمكين اللســان العربــي ليتخذ مكانته في التعليــم والإدارة والحياة اليومية وغيرها، فلجأت السياسة الفرنسية إلى استعمــال العرق، وإحياء لســان آخر لا في ذاته، وإنما لينــازع العربية، ويصدها عــن سبيلها لتبقى الفرنسية مسيطرة في نهاية الأمر.

لم يكــن الأمازيغي قبــل الصدمــة الثقافية أو الإبادة اللغويــة بالأحرى يتصــور هويته الجزائرية خــارج الهوية العربيــة الإسلاميــة، وكان ينظر إلى العربية نظرة تقديس، وأصبح بعضهم اليوم يعاديها ويعادي الإسلام ذاته وإن كان هذا محدوداً، كما أشار إلى ذلــك ابن خدّه رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة في مذكراته[١١].

والعنصر الرئيسي لهذه النزعة الأمازيغية تمثله بعضــ العناصر من النخبة التي تخرّجت في المدرسة الفرنسية، وهم جماعة متعصبة لفرنسا[١٢] لغة وثقافة كما أشار إلى ذلك محمد حربي[١٣] أيضاً، ومن هؤلاء من ينكر ذاته ويقع في عشق الرجل الاستعماري ويتماهى به، كما يمثله المحامــي بلقاسم إيعزيزن الذي عمّد، وأعطى له اسم أوغسطين، تمثيلاً صارخاً في التبعية والاندماج، ومعاداة العرب، ويدعي أن الأمازيغي ليس سامياً، وأنه أقــرب إلى الشعوب اللاتينية، ومن آثار الأبحاث السيوسولوجيــة الكولونيالية والاتنوغرافيا أنها غرســت هذه الأسطــورة الأمازيغية في السياق الانقسامــي للمجتمعات المغاربيــة، وأكد هذا المؤرخ الفرنســي أجرون وبين أن الأنتربولوجيا الاستعمارية تصطنع العرقية، برفع شأن العرق الأمازيغي وبالحط من العرق العربي[١٤] بطريــق علمي مزيف، يقوم به ماكــرون ينسبون أنفســهم إلى العلم بقصد الاحتواء

(٩) مالــك بن بنــي، مشكلة الأفكار في العــالم الإسلامي، ترجمة محمد عبــد العظيم علي، الجزائر، ١٣٩١هـ/٢٠٠٥م، ص١٠١-١٠٦.

(١٠) أحمــد بــن نعمان، التعريــب بين المبــدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٨١، ص٣٩٠

(11) Benyoucef Ben Khadda, les origins du premier November, 1954, Edition DAHLEB, P.170

(١٢) مصطفى ماضي، النخبة والمسألة اللغوية في الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٨، ص٥٣.

(13) C.R.Ageron

(14) C.R.Ageron, les Algériens musulmans et la France, et P. Lucas. J. Atin, L'Algérie des anthropologies, Paris, La Couverte, P.45

الثقـافي، والسياسي، والاقتصـادي، ويشبه هذا من وجه ما دعاة الفرعونية في مصر في وقت ما، ويذهب الكولونيـل ديما[١٥] والنقيب فابـر[١٦] إلى أن الشعب القبائلي (الأمازيغي) ورث بعض الأصول الجرمانية، وبذلك فهو أقرب إلى المسيحية، وأن إيمانه بالإسلام ضعيف، وأنه يمكن اصطناع فرنسيين جدد من هؤلاء البربر[١٧].

واتخذت الوسائل الكفيلـة بالاستيطان اللغوي، مع استيطان الأرضـ بدمج السكان في ثقافة فرنسا، وأحدث هذا من التأثير ما لم يحدث في المغرب وتونس، وبذلك ما تزال الثقافة في بلادنا تحمل في طياتها ألغاما آخذة في التفجير شيئاً فشيئاً، وفي سنة ١٩٦٢ استقلت الجزائر ولكن هذه السياسة الفرنسية استمرت بوسائل جديدة، منهـا أن فرنسا أنشأت «الأكاديمية البربرية» تستعمل الحروف اللاتينية في كتابة الأمازيغية، وتؤكد الصراع العرقي الذي تحدثـه لتمزيق مجتمعنا لغوياً وعرقياً لتبقى السيادة للفرنسية.

ولـما نشأت شريحـة من المجتمـع في الجزائر تخرجـت في مدارسها بعد الاستقلال تنطق باللسان العربي أصبحت بمثابة يتامى لغوياً فلا هم شرقيون ولا هـم غربيون، سـدت الأبواب أمامهـم، وأخذت مفاتيحهـا طائفة من الذين يتحكمون وما يزالون في مقاليد معظـم الإدارات الحكومية، أمية في اللسان العربي، فغشّى على قلوبها كره وخوف على مصالحها، وتعصـب جعلها تجرؤ على احتقـار العربية إن سراً وإن علانيـة، ويسمون الناطقـين بالعربية بالرجعية والتخلف، والعاهات الذهنية، وأصبح هؤلاء المعربون حملـة الشهادات العربية مبعدين عن الوظائف التي يمسـك بزمامها أصحـاب الفرنكفونيـة، في أعلى هيئات الدولة والمؤسسات التربوية، وغيرها، وتفطن لهذا الرئيس بومدين رحمـه الله، وعبر عن الجهاز المدرسـي بأنه «قنبلة مؤقتة» عنـد إضراب الطلاب المعرّبـين في الجامعة سنـة ١٩٧٥، وفي سنة ١٩٨٨ انفجرت هذه القنبلة وظهر هذا الفريق المهيمن على حقيقته وكشف هـذا عن التيـار المعارض للتعريب والتيار الأمازيغي، والتيـار الإسلامي أيضاً، وادعى المعارضون أن المدرسة الأساسية مدرسة أصولية ولابد من عودة الفرنسيـة إلى التعليم، وانقسمت المرجعية على نفسهـا، فوجدت نظرتان مختلفتـان إلى العالم الثقـافي، وكانت عاقبة ذلك تعارضاً شديداً، ففشلت السياسـة اللغويـة، وأحدث ذلك شرخـاً في الهوية، وتركزت الأزمـة والأخذ والرد في قلب هذه المشكلة، وكشـف اللوبي التغريبـي عن مواجهتـه الصارخة لنشر العربية، وضرورة استعمالها في مختلف مظاهر الحيـاة، وفي هذه الظروف نشأت جمعية الدفاع عن اللغـة العربية (١٩٨٩) وجعلـت المدرسة الجزائرية ميدان حرب سياسية، ونشبـت أيضاً حرب ضروس بين نخبتين، عندما تأسست اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية ١٣ماي ٢٠٠٠، دعت هذه اللجنة إلى أولوية الفرنسية لا الانجليزية لغة ثانية بدعوى أنها أقرب إلى المجتمع الجزائـري، وأصبحت الصحافة مجالاً للصراع، وصمت فيهـا المدرسة الأساسية أنها خزان للإرهابيين، وصرح أحد أعضاء المجلس الأعلى للدولة لصحيفـة فرنسية بأن المنظومة التربوية هي المسؤولة عما سمّاه تصاعـد الأصولية في الجزائر، ونصّت المنظومة التربوية الجديدة على أن الفرنسية تدرس في المدرسة الابتدائية ابتداء من السنة الثانية، وأجلت الإنجليزية إلى السنة السابعة، وكان رد الفعل إنشاء «التنسيقية الوطنية لدعم المدرسة الجزائرية»

(15) *Dumas*

(16) *Jules Faber*

(17) *Christiane, Chaulet, Achour, Abédaire en devenir ideologie coloniate et langue Française en Algérie, ENAD, Alger, 1985.*

التـــي قدمت عريضـــة تدعو فيها لإجــراء استفتاء شعبـــي وأن لا تمر هذه المنظومة بلا استفتاء، وصدر كتاب للسيد علي بن محمــد الوزير الأسبق معارضاً لهـذه المنظومة عنوانه: «المصير والهوية في المنظومة التربوية، الصراع بين الأصالة والانسلاخ في المدرسة الجزائرية»[١٨] وحدثت مواجهات بين هذه الجماعة والذين أثرت فيهم الثقافة الأجنبية ولغتها، يتذرعون بالمصلحــة، وبأن العربية ليست قــادرة على مواكبة التطور العلمـــي، وأغرب من ذلك فــإن جماعة من الجزائريين احتجوا أمام البرلمان الأوربي على الدولة الجزائرية بسبب صدور قانون تعميم استعمال اللغة العربية سنة ١٩٨٠، وقع هذا الاحتجاج في فترة المجلس الأعلى للدولة الانتقــالي، وسعى البرلمان الأوربي في هذا الشــأن، وعبّر عن انشغاله بهــذا الموقف الذي وقفته الدولة الجزائرية[١٩].

إن اللغــة ليست مجرد آلــة حيادية، إنها قضية ثقافيــة ومنظومــة قيم، وذهنية وسلــوك[٢٠] ولذلك نجد من بين العناصر التي تخرجت باللغة الفرنسية صنفــين متباينين، فمالــك حداد الكاتــب باللسان الفرنسي يعبر عــن مأساته لجهلــه باللسان العربي يقــول: «إني في منفــى» أما كاتب ياســين فيزعم أن اللسان الفرنسي غنيمة حرب نتخذها للتقدم العلمي والثقــافي ونعنى بها. إن الفرنسيــة بقيت في بلادنا إلى الآن لمــدة ١٧٩سنة بمــا في ذلك عهد الاستقلال وهـــي مستعملة في الإدارة والاقتصاد والصناعة وفي التعليم العالي، فما هي مكانة الجزائر اليوم في هذه المجالات هل تقدمنا خطوة مهمة؟[٢١]

(١٨) دار الأمة، الجزائر، ٢٠٠١، انظر مصطفى ماضي، النخبة، المرجع السابق، ص٩١.

(١٩) مجلــة اللغــة العربية التـــي يصدرها المجلــس الأعلى للغة العربية، العدد الثاني، ص١٦٩.

(٢٠) أبــو عبد الله علام الله وزير الشؤون الدينية، مجلة العربية، العربية الراهن والمأمول، الجزائر ٢٠٠٩، ص٦٨٨

(٢١) هذا تساؤل السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، المرجع نفسه، ص٦٩٠.

تعاني الجزائر اليوم في اللسان العربي تناقضاً صارخــاً بين الدعــوة النظرية والتشريــع، من جهة والتطبيق مــن جهة أخرى فالعربية رسمية دستورياً، وصدرت في سبيل تعميمهــا تشريعات كثيرة إلزامية يعاقب مخالفوها وإذا رجعت إلى الواقع وجدت سبلاً تعمــل لتبقى الجزائر رهينة ثقافــة أخرى، وسجينة لغة أجنبية واحدة هي الفرنسية[٢٢].

وأمــا البعــد الثالــث لهويتنــا الثقافية وهي الأمازيغية فقد خرج بعضهم عن حقيقتها الطبيعية واكتسبــت عنده أبعاد أخرى انحرفت بها، وأصبحت عنصر تفرقة وتشتيت وعامل اغتراب وانسلاخ[٢٣].

صرح سفــير فرنســا في الجزائــر سنة ٢٠٠٠ غداة صدور تقرير اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية بأن: «بلاده مرتاحة للتعديلات التي عرفتها المنظومــة التربويــة في الجزائر وخاصــة ما يتعلق بإعــادة الاعتبار للغة الفرنسية التي أصبحت تدرس ابتــداءً من السنة الثانية في المدارس الابتدائية. وهو الأمر الــذي ستدعمه فرنسا وتعمــل على تشجيعه ماديــاً ومعنوياً وستسعى لدعم مكانة اللغة الفرنسية في الجزائــر وذلك بحكم العلاقــات التاريخية التي تجمع البلدين»[٢٤].

يسعى الفرنسيون لنشر لغتهم، ولكن يستعملون وسيطــاً آخــر لإضعاف العربيــة وبقــاء الفرنسية ويدبــرون لإحياء الأمازيغيــة في الجزائر في الوقت الــذي يقاومــون بضراوة علــى حد تعبــير أستاذنا أيمــن مصطفى حجازي، تعليم لغــات الأقليات مثل كورسيكا في فرنسا، والباسك وكتلان في اسبانيا، فكل دولة في الاتحاد الأوربـــي تعتز بلغتها فلا تدرس في المدارس ولا تذيع في أجهزة الإعلام إلا بها، ولا يعرض

(٢٢) المرجع نفسه، ص٦٩٠.

(٢٣) المرجع نفسه، ص ٦٩١.

(٢٤) المرجع نفسه، ص٦٨٩.

فيلم أمريكي في ألمانيا مثلاً إلا في صورة مدبلجة، وكذلك الأمر في كوريا[٢٥]، إن هدف من يدعون إلى الفرنسية هو إبعاد الأمازيغية عن العنصرين الآخرين: العربية والإسلام، وهذه دعوة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالفرانكفونية[٢٦] لضرب وحدة المجتمع واجتثاث أصوله من جذورها، ذلك أن الأمازيغية لها حوالي عشرة فروع تفرعت عنها الأمازيغية الأصلية فأيها يمكن أن يسود ويبعث إلى الحياة؟ إن الأمازيغ القدماء في عهد الرومان لم يستعملوا الأمازيغية لغة كتابة، فهذا أوغسطين وهذا أبوليوس وهما قد استعملا اللغة اللاتينية ولم يتخذ ماسّينيسا اللغة الأمازيغية لغة رسمية وهو الذي قاوم الرومان من أجل الاستقلال.

هذا الاضطراب في النخبة أدى إلى انحسار العربية وزحزحتها عن مواقعها الإستراتيجية في مختلف المجالات وزاد حضور الفرنسية توسعا وتمكنا. إن دولة باكستان استعملت الأردية والإنجليزية وأصبحت دولة نووية وأثرت الأردية في اللغات الهندية، وهذه كوريا وما بلغته من شأن في التقدم التقني، وفنلندة والدانمرك كلها استعملت لغاتها.

أما الجزائر فإن الجانب النظري والمبدأ لا غبار عليهما شعبياً ورسمياً، فهذا الرئيس بومدين رحمه الله يصرح في خطبة افتتاح الندوة الوطنية الأولى للتعريب ١٤ –١٧ ماي ١٩٧٥: «يجب أن يكون واضحاً بادئ ذي بدء أننا لا نجتمع اليوم لمناقشة مبدأ التعريب فذلك أمر مفروغ منه، ولا نقاش مطلقاً حول المبدأ وببساطة لأن الفرنسي يتكلم الفرنسية والصيني يتكلم بلغته الوطنية والروسي يتكلم بلغته الوطنية حتى الصهيوني الذي يحتل جزءاً من أراضينا العربية تمكن من أن يعيد إلى الحياة لغة ميتة أكل عليها الدهر وشرب، من الطبيعي إذن أن نستعمل نحن اللغة العربية، ومن غير الطبيعي جداً ألا نستعمل لغتنا الوطنية، وإذا كان هناك من كانوا بالأمس ضحية أوضاع تاريخية شاذة فلا عذر اليوم لأي أحد، لأن القضية أصبحت قضية كرامة، واللغة العربية هي جزء لا يتجزأ من الشخصية الوطنية التي لن تكتمل إلا باسترجاع أحد مقوماتها الرئيسية وهي اللغة العربية، إن هنالك نقطة أخرى يجب أن تكون واضحة وهي أنه لا مجال للمقارنة أو المفاضلة بين اللغة العربية وأية لغة أخرى فرنسية كانت أو انجليزية لأن الفرنسية كانت وستبقى مثلما بقيت في ظل الاستعمار لغة أجنبية، لا لغة الجماهير الشعبية، وأن ما لم يتمكن المستعمر من تحقيقه بالأمس بالسلاح لن يتحقق بأي حال من الأحوال على أيدي أبناء الشهداء»[٢٧].

واتجهت سياسة فرنسا في أوائل احتلالها للجزائر أيضاً إلى مصدر اللسان العربي، وأصوله في القرآن الكريم فأرادت استئصاله من هذه البلاد، ويتلخص هذا الاتجاه في قول الكاردينال لافيجري: «علينا أن نخلّص هذا الشعب، ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نعنى على الأقل بالأطفال لتنشئهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل، أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر»[٢٨].

وأكد هذا سكرتير الجنرال بيجو بأن: «آخر أيام الإسلام قد قربت، وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح، وإذا أمكننا أن نشك

(٢٥) المرجع نفسه، ص٧٩١، وهو كبير باحثي مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
(٢٦) المرجع نفسه، ص٦٩٢.

(٢٧) التعريب في الجزائر، المؤتمر الثاني للتعريب في الجزائر لـ١٩٧٤، وزارة التعليم الابتدائي والثانوي، ص٩.
(٢٨) صالح خرفي، مدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، مجلة الثقافة، العدد ٢١، السنة الرابعة، جوان/جويلية، الجزائر ١٩٧٤.

في أن هــذه الأرضــ تملكها فرنسا، فــلا يمكننا أن نشك، علــى أي حال بأنها قــد ضاعت من الإسلام إلى الأبــد، أما العرب فلن يكونــوا رعايا لفرنسا إلا إذا أصبحــوا مسيحيين جميعــاً»[٢٩]، فحوّل كثير من المساجد إلى كنائس والمعاهــد العلمية والمدارس إلى ثكنات، ودكاكين، أو مرابض للخيل، واستحوذوا على أوقاف المساجد والمعاهد كمــا جاء في تقرير الدوق دومال[٣٠] إلى حكومتــه[٣١] ، فتعاونت جهات متعددة علــى إنجاز هذه الإبادة اللغويــة: الجيش والسياسة التعليمية والإدارة والكنيسة.

ومعنى هــذا أن المشــكل اللغــوي في الجزائر ينفرد بخصوصيات سوسيولوجية تختلف بفعل هذه العوامل عــن المشرق وعمن يجاورنــا من التونسيين والمغاربــة بالرغم من الصــلات التاريخية والثقافية الراسخــة بيننا، ولذلك تشهد الجزائر صراعاً عنيفاً بين الفرانكفونيــة والتعريب في مستوى النخب، وفي مجال بعض الشرائح الاجتماعيــة، فاللغة الفرنسية تمنح للناطق بها التمتــع بامتيازات طبقية، فاحتدم التمييــز اللغوي والثقافي في مجــال السياسة اللغوية التي تؤدي إلى ربط العمــل باللغة فيعتقد الناس أن الفرنسية هي اللغــة الراقية التي تتيح فرص العمل والرقــي الاجتماعــي والاقتصادي لمــن يتقنها، وأن اللغــة الوطنية عائــق يحول دون هــذه الميزة المهمة فتهيمن الفرنسية على السوق اللغوي، وتكون عنصراً ضاغطاً يعمــق هيمنة النخبة الناطقــة بها ويرسخ التبعية واللامساواة الاجتماعية والثقافية واللغوية، ويجــد الصراع الإيديولوجي العنيــف في هذا المناخ للسياســة مجالاً خصبــاً يحتد فيه ظاهــراً أحياناً وخفية أحياناً أخرى، ويــبرز في هذا الصراع التعلق باللغة الأم واعتزاز بعض الفئات بهذه اللغة والنضال من أجل أخذهــا بعين الاعتبار في التعليم وغيره من أوجه الثقافة والإعلام ويشعرون بالإقصاء والتهميش وهو ما يحدث للناطقين بالأمازيغية في الجزائر وفي المغرب أيضاً.

وتعتقد جماعة أخرى مفرنسة أن الفرنسية هي لغــة الحداثة، وأنها وسيلة سحرية في نقل البلاد من التخلــف إلى التقدم، إذ يــرون أن الناطقين بها هم المسيطرون علــى المناصب الرفيعــة فيقبل الشباب على تعليمها رغبــة في الترقي الاجتماعي والرواتب العالية والامتيازات المادية، ويأتي اتجاه آخر فينظر إلى الفرنسيــة بنظر المقت فهي لغة المستعمر المدمر حتــى إن بعض التلاميذ امتنع عــن دراستها في أول الاستقلال كما كان الصينيون ينظرن إلى الإنجليزية على أنها لغــة شريرة ولغة النظــام الرأسمالي عدو الماركسيــة ثم صاروا ينظــرون إليها على أنها وسيلة النفاذ على التحديث[٣٢].

أضحت الفرنسيــة أداة لسيطرة النخبة المتقنة لها وعنصراً طبقياً ذا قيمة اقتصادية تتولى الأعمال المهمة في المجتمع على حساب اللغة العربية وتناضل من أجل مصالحها والسيطرة على السلطة والقرار، وأثــر ذلك في وضــع السياسات اللغويــة واتخاذها وسيلــة للتحكــم في المجتمع بوضــع منظومة تربوية تحقق هذه الأهداف وتحافــظ عليها وماتزال أزمة الإقصــاء والتهميش تنال الذيــن يستعملون اللسان

---

(٢٩) المرجع نفسه، صــ٢٩، انظر مصطفى شريك، اللغة العربية والاستراتيجيــة الاستعمارية، مجلة اللغة العربية التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ٢٠٠٥، ص٣٦١.

(30) Dauk Daumal

(٣١) التركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١، ص١٠٣.

(32) James W. Tollefson, Planning language…Planning Inequality, Pearson Educational Limited

العربي ويحملون الإجازات بهذا اللسان فلا يقبلون في سوق العمل في حين أنه مفتوح للغة الفرنسية العمل والإدارة والتسيير.

وما تزال سياسة الانتقاء اللغوي في هذا المجال قائمة، لا شك في أن اللغة لها سلطتها الرمزية القوية في المجتمع الجزائري، ولكن ما تزال محوراً ملغماً حاملاً لأخطار من كل نوع لحرب مأساوية تمزق النخبة الجزائرية، وتزيد الحياة الاجتماعية ارتباكاً، ويؤخر الأمل في بناء مجتمع جديد، وفي إيجاد مرجعية ثقافية متفق عليها، لتكتسب حياتنا الجماعية والفردية معنى، وظهر هذا الصراع(٣٣) بين النخب عندما تشكلت اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية ١٣مـاي ٢٠٠٠ كما أشرنا من قبل، واحتدت المناقشات بين التيارات الإيديولوجية الثلاثة المتنافسة العلمانيين ويشمل ذلك الاشتراكيين والليبراليين، والإسلاميين، والتوفيقيين فازدادت مشكلة السياسة اللغوية والتربوية تعقيداً وحدّة، وحدثت قطيعة فاصلة بين نخبتين، نخبة تدعي الأصالة، وأخرى تدعي الحداثة، بين لغة الترقية الاجتماعية ولغة المهمشين، بين طلاب الريف وطلاب المدن، هؤلاء ناطقون بالعربية وهؤلاء بالفرنسية، فكان الطلاب ذوو اللسان الفرنسي يتجهون إلى العلوم الطبية والعلوم الطبيعية الأخرى وإلى العمل الصناعي والإداري والتقني، ويتجه الطلاب ذوو اللسان العربي إلى العلوم الاجتماعية، والإنسانية، والحقوق، وأصبحت لغتهم لغة المرفوضين من سوق العمل بعد التخرج.

وظهر صراع حاد أيضاً في الندوة الوطنية للتعريب سنة ١٩٧٥ كما أشرنا فصرح فيها الرئيس بومدين بوجوب ربط التعريب بالتصنيع، والعربية لابد أن تصبح في المستقبل لغة الحديد والصلب والبيتروكمياء واشتد النقاش بين دعاة التعريب الفوري الشامل ودعاة التعريب التدريجي العلمي التقدمي كما يزعمون ويمثلهم اللوبي الفرانكفوني(٣٤)، وألحت الندوة في قرارتها وتوصياتها على البعد الاجتماعي لمسألة التعريب وعلى دراسة مشروع مجمع اللغة العربية والتخطيط والتنسيق وتوحيد المصطلحات المستعملة في مختلف المؤسسات والعناية بالترجمة وتعليم الكبار واستعمال الوسائل السمعية البصرية في التعليم.

وجاءت مرحلة مهمة سنة ١٩٧٦ بقرار حاسم لإنشاء المدرسة الأساسية وصدر الأمر بأن تدرس جميع المواد بالعربية فتكون لغة التعليم لجميع المستويات والتخصصات وأصدرت الحكومة قراراً سنة ١٩٦٨ قبل ذلك يفرض على كل العمال والموظفين تعلم مستوى معين من العربية وتعريب إدارة الوظائف العامة وربط الترقية داخل المؤسسات بمعرفة اللغة العربية، وفي سنة ١٩٨٥ صدر منشور وزاري لوزير الصناعات الثقيلة ينص على تعميم استعمال اللغة العربية في كل المؤسسات والهيئات التابعة لها، ورأى بعض المعارضين أن تعريب المؤسسات الصناعية ليس سوى إيديولوجية سياسية أو عملية ديماغوجية لا صلة لها بعالم الصناعة، وبقي ذلك على الهامش بل أصبحت هذه المؤسسات تختبر المتقدم للعمل في مدى إتقانه للفرنسية ومن لا يعرف العربية فهو معد من صنف الأميين في نظرهم.

ثم صدر قانون تعميم استعمال اللغة العربية ١٦ يناير ١٩٩١ . أما تعريب مدارس التعليم العام فقد تم تعريب السنة الابتدائية في العام الدراسي (١٩٦٤ -١٩٦٥).

(٣٣) يمكن مراجعة كتاب عثمان سعدي: التعريب في الجزائر، كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكونية، دار الأمة، الجزائر ١٩٩٣.

(٣٤) مصطفى ماضي، النخبة والمسألة في الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزائر ٢٠٠٨، ص٢٥.

وعربــت السنة الثانية جزئيــاً سنة ٩٦٧ – ١٩٦٨، والثالثة جزئياً سنة (١٩٦٨ – ١٩٦٩) تدرس المــواد الاجتماعيــة باللسان العربــي، والعلوم، والرياضيات بالفرنسية.

وعربــت الثالثة والرابعة تمامــاً، وأصبحت الفرنسيـــة مادة فقط، وذلك في الفترة (١٩٧١ – ١٩٧٤) واستمر التعريــب في الابتدائي والثانوي جزئياً، ثم كاملاً إلى سنة ١٩٨٠، فشرع في تنفيذ المدرســة الأساسية، وعمت القطر الجزائري كله سنــة ١٩٨٩ إلى أن شمــل التعريــب في الثانوي والعــالي جميع العلوم الاجتماعيــة، والإنسانية، والحقوق، وبقيت العلوم تدرس بالفرنسية في كل الجامعــات ما عدا المدارســ العليا الثلاث التي تدرســ فيها كل العلوم بالعربيــة لإعداد أساتذة التعليــم الثانوي لتدريس هــذه المواد، وتخرجت أول دفعة في إجازة العلوم الاجتماعية في حزيران سنة ١٩٨٥[٣٥].

هذا فيمــا يتعلــق بالجوانــب الاجتماعية والثقافيــة والسياسية، وإذا رجعنــا إلى التعليم في ذاتــه مداخله ومخارجه، وإلى الكتب المدرسية والمدرسين، وطرق التدريســ والتقويم ومعاييره، والبحوث التربويــة الميدانية، فإننا نكشف عيوباً وخللاً لا تستقيم معها تربية ولا تعليم، ولا ألسنة، فأساســ المسألة اللغويــة وتعليمها إنما يكمن في اكتساب اللغة واستعمالها نطقاً وكتابة، والمؤلفات النحوية ماتــزال تنوء بأثقال الطــرق التقليدية التــي لا قبــل للأطفال بهــا، كأن النحو لا يعدو أن يكون آليــة حركات في أواخــر الكلم، أما أن تكون الأحكام النحوية سبيلاً لإدراك جمال اللغة وتذوق أساليبها والتفكير في معانيها ومقاصدها، وصياغة تراكيبها، وسلامة متنها فذاك كله بعيد المنــال لم تهيأ له أسبابــه، فالمناهج مثقلة منفرة، والاختبارات شكلية لا يضر التلميذ أن يخطئ في التعبــير أو الكتابة، أو يعجــز عن الفهم، وعاقبة أمره أنــه لا يتمكن من اكتســاب الملكة اللغوية، وتعليم الإعراب كما يقول ابن خلدون بمثابة من يتعلم كيفية العمل لا العمل نفسه، يحيط بالقواعد حفظاً حتى إذا مــا كلف كتابة في مودة أو تعزية أو شكوى جانب الصــواب، وهتك ستر القواعد، وأبان عن عجزه وسوء تعلمه، وفساد لغته، يتخرج الطالــب من الثانــوي إلى العالي وهــو خال من محصول يؤهله بما فيه الكفاية للدرس الجامعي لفقدانــه الممارسة الصحيحة في استعمال اللغة، والتعبير بها تعبيراً تتبين فيه الصلة بين القوانين النحوية، وصيغ الــكلام السليمة، فأستاذ الأدب يتساهل مع طلابه في أخطائهم الفادحة ظاناً أن هــذا من شأن أستاذ النحو وحده، كما أن مدرس اللغة لا يعنى بالجانب الأدبي، وجمال الأسلوب، وتعليم الذوق، وربمــا استعمل العامية، ولا تبنى طرقنا التعليمية على المعطيات العلمية في ميدان علم النفس والتربيــة، ووسائل الإفهام المعاصرة، وعلــم النفس اللغوي والاجتماعــي، واللسانيات توظيفــاً وأداء، بل تلوث اللغة بالهجين من القول والركيك مــن الأساليب، وربما تخرج الطالب في الجامعة وهــو لا يحسن أن يحــرر خطاباً على وجهه السليم، أو يصبح مدرساً بالجامعة، فيكون كارثة على الطلاب وعلى المعرفة.

وإذا بحثت عن الأسبــاب فإن المحيط جزء منهــا مؤثر بمــا فيه من ازدواجيــة وخلط، وما إلى ذلك من تعدد اللغات في الوسط الاجتماعي والإعلامي، ويشكل ذلك عائقاً يمنع من التحكم في اللغــة العربيــة، والأمر المحــير في بلادنا أن

(٣٥) التفاصيــل المتعلقــة بتطوير هذه العمليــات التدريجية في بحث تركي رابح عمامرة "مكانة اللغة العربية في التعليم العام والعالي والجامعي عام ١٩٦٢، إلى نهاية عام ١٩٨٩، مجلة اللغة العربية، ص ٣٣٧ –٣٥٤.

ســوء التحكم في اللغة يــؤدي بالكثير إلى اختيار الفرنسية وسيلة للاتصال، ولا تجد هذا بوضوح عنــد المشارقة، فأنــت إذا سمعــت أحمد زويل يخاطب الناســ في وسائل الإعلام فإن لا يرطن بالإنجليزيــة، وإذا سمعت طبيبــاً جزائرياً تجده في الغالب يخلط كلامه باصطلاحات ورطانة لا يفهمها عامة الناس.

وتعريب المدرسة الأساسية كان من أولويات السلطة السياسية ومقاصدها الأولى، ولما عربت تسلــط عليها النقــد والتجريح مــن كل مكان، يرجعون ســوء الأداء إلى عمليــة التعريب، ومن المعلــوم أن المدرسة الأساسية مستوردة في شكلها علــى نمط المدرسة الألمانيــة المتطورة بما توافر لها من شــروط الكمال، ولكن فقــدت شروطها الماديــة والمعنوية والبشرية عندنــا، وسادها نوع من الضعــف في الجانب البشري والتربوي، فهي لا يشتمــل كل قسم فيهــا إلا على ١٦ تلميذاً في أصلها، وأصبحت عندنا يحوي القسم الواحد ٤٠ تلميذاً أحياناً أو أكثر.

يغفل هؤلاء النقاد عن هذا، ويتهمون التعريب بأنه هو سبب البلاء، وقامت الدعوة الصارخة إلى تيسير النحو واستعمال اللغة الوظيفية، والألفاظ المعاصرة، ومــا أنجزه مجمع اللغة العربية بمصر مثل كتاب الألفــاظ والأساليب بأجزائه الثلاثة، وكتــاب أصول اللغة، واعتمــاد مجموع القرارات العلميــة في خمسين عامــاً (١٩٣٤-١٩٨٤) كما يــرى بعض المربين أن المشكلــة ليست في النحو، وإنمــا في طريــق التبليغ والتدريــس العقيم بلا مراعــاة للممارسة خلال نصــوص جيدة، تعلم الــذوق وتكســب الأسلــوب، فبالممارسة تكتسب العــادات اللغويــة القويمة كتابة وتعبيــراً، ويتم هــذا بتحسين مستوى المدرســين، وإعادة النظر في الرصيد اللغــوي في الكتاب المدرسي، وإعادة النظر في المناهــج، وتخفيفها، والعناية بالتعبير، وتنمية الذوق.

وإذا تأملت منظمتنا التربوية، وسبل تطبيقها ألفيتهــا لا تُعِد الإنسان الجزائــري القادر على التعبير عن نفسه، وعلى التواصل فضلاً عن التعمق الفكــري والإبداع، وتجد الطالــب في اختبارات الثانوية العامة يميــل إلى اختيار النصوص، ولا يختار المقال أو الموضوع الأدبي العام، ومعنى هذا فقدان التقــويم المحكم، والطريقــة الشكلية في دراســة الأدب لا يعنى فيها إلا بالمفردات والمعنى الإجمالي، ويهمل الجانب الجمالي وقيمه، لذلك دعا بعض المربين واللغويين عندنا إلى الاستفادة من تعليمية اللغات[٣٦] والعناية بالأصوات في المستوى الأول من الدراسة بإبــراز الجوانب الصوتية في القراءة ليتدرب الجهــاز العضوي الفيزيولوجي على إخراج الحروف من مخارجها، وهذا يتطلب أن يتقن المدرس الأصــوات، وأن ينقلها للتلميذ، ويتمكن مع ذلك من تحليل الظواهر التركيبية من اللسان، وهذا ما يحقق وظيفة اللغة في التواصل والإبــلاغ، وإدراك دلالات التعابــير وأغراضهــا ولذلك فإن العناية بالقراءة أمر في غاية الأهمية لأن ذلك يمهد لإدراك دلالة التراكيب في الصيغ الإفرادية والتركيبية والسياقية.

إن المدرسة بأوضاعها الحالية لا تمكن المتعلم من الأداء الجيــد، ولا التأثير في المحيط، بل هو فريسة للمحيــط لا يكاد ينجو من تأثيره السيئ، فالمسألة لا تتحملها المدرسة وحدها، فالمجتمع له مسؤولية لا مراء فيها، ومن أكثر العيوب انتشاراً في المدارســ العنايــة بالحفــظ لا بالتوظيــف، وبالشــكل لا بالمضمون، ولا يميــز المدرسون بين اللغة وعلــم تعليم اللغــة، فالاستعمــال اللغوي

(36) La Didactique des Languages

يتضمن لغة ومهارة في استعمالها، معرفة نظرية وممارســة، لذلك يتعين تعليــم اللغة والنحو من خلال النصوص والشواهد، ولا تؤخذ المعلومات منفصلة مجزأة، لأن اللغة نظام معرفي ذو أنظمة فرعية متكاملة، فلا تكفي مجرد المعرفة بل لابد من الممارســة التي تكسب وحدها المهارة، فتكون اللغــة أداة لبناء الفكر، ورقــة الوجدان، والذوق الجمــالي، وتنمية القيــم في النفوســ، والواقع العملي في المدارســ يشير إلى البعد بين الجانب النظري في التوجيهات التربوية في وثائق التعليم من جانب، والطرائق التي تمارس فعلياً، وهذا ما جعل النتائج تتسم بالضعف الواضح، ولغة المدرس بعيدة عن النموذج الذي يقتدى به، إذ إنه لا يفرق بــين النحو الأكاديمي والنحو المدرسي الوظيفي، وأن أحكام النحو وقوانينه مجردة، يُعنَى التدريس بحشو الأذهان بالقواعد الجامدة لا يتجاوز ذلك، ولا يقوم التقويم إلا على الاستظهار، ولذلك صرح وزير سابق للتربية بأن: «منظومتنا التربوية تشهد نوعاً من التقهقــر، وأن واقع التعليم تعليم اللغة العربية وآدابهــا، ونصوصها، وفكرها، وثقافتها في المدرسة الجزائريــة، وفي الجامعة واقع سيء للغاية، واقع محزن وهذه هي الحقيقة أننا ندرس لغتنــا العربية وأدبها بطــرق وأساليب عقيمة لا تؤدي إلى نتيجة، وهذا ليس قدراً مفروضاً علينا، وينبغي أن يتغير»(٣٧).

ولمــا فتــح بــاب المدارس الخاصــة فتحت الأبواب على مصراعيها للغات الأجنبية، وخاصة الفرنسية، فأخذ بعضهــا لا يعلم إلا بالفرنسية، وتعــددت وكــثرت في البــلاد إلى أن اضطــرت وزارة التربيــة أن تلزمها تعليــم العربية وتطبيق برامجها.

(٣٧) إتقان العربية في التعليم أعمال الندوة الوطنية المنعقدة يومي ٠٤ ٠٦ محرم ١٤٢١هــ ٩-١٠ابريل ٢٠٠٠، الجزائر، ص١٠٥ - ١٠٦.

أمــا التعليــم العالي فهو قلعــة محصنة لا تنفــذ إليها العربية بحال إلى يومنا هذا، ومعظم المشرفين على التعليم العالي من أساتذة وإداريين لم يتخلصوا من هيمنــة اللغة الفرنسية، وسجنوا فيها إلى الأبد فيما يبدو، ويقف التعليم العالي في وجه العربية، وبهذا تصبح نصوص اللغة المالطية أصفى من نصوصــ العربية الجزائرية كما قال الأستاذ عبد المجيد مزيــان وزير الثقافة سابقاً -رحمه الله.

ولا تغيب هذه الظاهرة كما قلنا على مراصد الصراع اللغوي، والثقافي، والفكري خارج أوطاننا، لذلــك نجد عدة دراسات أجنبية فرنسية خاصة تتناول التعريب في الجزائر، منها مثلاً.

1- Ben Salah «Arabisation et développement psychosociologique du phénomène d'arabisation à travers la formation sociale algérienne, thèse du 3è cycle, Paris, 1983.

2- Christiane Chaulet Achour abécédaire en devenir, idéologie coloniale et langue française en Algérie, ENAP, Alger, 1985.

3- El-Rassi l'arabisation et les conflits culturels dans l'Algérie indépendante, these du 3è cycle, L'Ecole des Hautes Etudes en sciences socials, Paris, 1979.

4- Gilbert Grandguillaume, language, pouvoir et société au Magréb, Ed. EL-Farabi, Maroc, 1995.

- arabisation politique et linguistique au Maghrèb, Paris - 1983.

- «L'arabisation au Maghrèb et au Machrek» dans les relations entre le Maghrèb et le Machrek.

5- Haddab M. Les intellectuals et le status des langues en Algérie, these d>état, soutenue en 1993 à Paris 7.

6- Harbi Mihamed, Nationalisme algérien et identité berbère «un people méditerranéen» 1995, 1997.

8- Madi Mustapha (co- auteur) Elites et questions identitaires en Algérie (réflexion N°1) Casbah edition, Alger, 1997.

9- Madi Mustapha, ouvrage collectif, l'élite arabisante et l'arabisation de la stratégie linguistique à la marginalization par la langue, elites et société (Algérie et Égypte) coordination et presentation par Omar Lagane.

10- Mazouni Abdelah culute et enseignemetn en Algérie, Maspero, Paris, 19969.

11- Mondialisation et enjeux linguistique, quelles langues pour le marché du travail en Alérie? CREAD ouvrage collectif sous la direction de M.Benguerma et A. Kadri, Alger, 2001.

موجز لتاريخ قرارات التعريب في الجزائر وضعته السيدة خولة الإبراهيمي:

١٩٦٢- إذاعة باللغة الوطنية.

١٩٦٥- بداية تعريب المدارس.

١٩٦٨- ظهور نصوص تشريعية لتعريب الوظيف العمومي.

١٩٧١- أعلنه بومدين عاماً للتعريب ووضعت لذلك نصوص تغطي كل مجالات النشاط.

١٩٧٣- تأسيس اللجنة الوطنية للتعريب.

١٩٧٥- أول مؤتمر للتعريب.

١٩٧٦- انطلاق المدرسة الأساسية.

١٩٧٩- إضراب الطلبة المعربين بسبب صعوبة تشغيلهم.

١٩٨٠- تشريع تعميم استعمال اللغة الوطنية، وتشكيل المجلس الوطني الأعلى للغة الوطنية.

١٩٨٤- تعريب شامل العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجامعات الجزائرية.

١٩٨٩- تعريب شامل للمدرسة الجزائرية في كل المستويات.

١٩٩١- الموافقة في الاجتماع الأخير للحزب الواحد على قانون تعميم استعمال اللغة الوطنية الذي جمّده المجلس الأعلى للدولة في سنة ١٩٩٢ ثم اتفق على هذا القانون ومدّ إلى ٥جويلية ١٩٩٨ والواقع أنه لم يطبق.

٢٠٠٠- إنشاء اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية.

- السلطة هي التي تقرر من أعلى في نظر من يدافع عن الفرنسية دون دراسة للواقع، فاللغة الفرنسية هي اللغة الأساسية للعمل إذا استثنينا العدل والحالة المدنية، وأما الإدارة في مختلف الوزارات بما في ذلك وزارة التربية والتعليم العالي والتكوين المهني فقد استمرت تستعمل الفرنسية على نطاق واسع، وإذا ترجمت بعض النصوص فترجمتها سيئة.

اللغة العربية في الجمهورية العربية السورية واقعاً وطموحاً



أ. د. محمود السيد

رئيس لجنة التمكين للغة العربية في سورية
ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

نحاول فيما يلي أن نتعرف وضع اللغة العربية في الجمهورية العربية السورية قبل الاستقلال وبعده، ثم نقف وقفة مستأنية على خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية التي وضعتها لجنة التمكين للغة العربية بناء على القرار الجمهوري رقم ٤ لعام ٢٠٠٧.

أولاً اللغة العربية في سورية قبل الاستقلال

كانت السلطات العثمانية إبان احتلالها لبلاد الشام قد انتهجت سياسة الإقصاء والاستبعاد للغة العربية، وفرض اللغة التركية مكانها. وبلغت هذه السياسة ذروتها على أيدي جماعة الاتحاد والترقي الذين راحوا يعززون هذه السياسة، حتى إن اللغة العربية نفسها كانت تدرّس بالتركية، وكان النحو العربي يدرّس بها وكتبه وكتب الصرف تؤلف بالتركية أيضاً.

ولا يخفى على أيٍّ منا أن الغرض من هذه السياسة إنما هو إبعاد العرب عن لغتهم، والحؤول بينهم وبين قراءة ما خلَّفه لهم الآباء والأجداد مصوغاً بالعربية حتى لا يكون عامل اعتزاز لهم، ومن ثمّ تفقد الأجيال الجديدة هويتها عندما تتخلى عن لغتها رمز انتمائها القومي، وعنوان شخصيتها العربية.

وكان ثمة تصريح علني لسياسة التتريك على صفحات الجرائد، فها هو ذا أحمد شريف محرر جريدة "طنين" التركية يقول فيها: "ما يزال العرب يلهجون بلغتهم، فمن واجبات الحكومة في هذه الحال أن تنسيهم لغتهم، وتجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم، فإذا أهملت الحكومة هذا الواجب كانت كمن تسعى إلى حتفها بظلفها، لأن العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فإنهم سيعملون آجلاً أو عاجلاً على استرجاع مجدهم الضائع، وتشييد دولة عربية جديدة على أنقاض دولة الأتراك"[(١)].

ولقد أدت هذه السياسة الرعناء إلى الاحتجاج والشكوى مما آلت إليه الأمور، فرفع الشاعر سليمان التاجي الفاروقي رسالة إلى السلطان العثماني محمد رشاد يوضح له فيها الإجراءات التي تتبعها السلطات

(١) ناصر الدين الأسد، مستقبل اللغة العربية في عالم متغير، بحوث مجمع اللغة العربية في القاهرة في عيده الماسي ٢٠٠٧ ص٧.

لإقصاء العربية، وخطر تعليمها في المدارس، ومما جاء في هذه الرسالة:

هذي المدارس محظور تعلمها فيها
فمن أين نبغي كيف تكتسب؟
بضع وعشرون مليوناً لهم لغة
تموت ما بينهم يا شدَّ ما غلبوا!

وبعد أن تحررت سورية من الاحتلال العثماني، وارتفع العلم العربي في سمائها، عادت للغة العربية مكانتها، وبدأ التدريس باللغة العربية في المعهد الطبي العربي عام ١٩١٩. وفي هذا العام نفسه جرى تعريب الدواوين والمعاملات والمراسلات التي كانت تسود فيها التركية، كما أنشئت كلية الحقوق، وبدأ التدريس فيها بالعربية أيضاً، وغدت كليتا الطب والحقوق نواة للجامعة السورية، ثم اتسعت الدوائر، وافتتحت كليات أخرى، واعتمدت العربية في التدريس وفي جميع مناحي الحياة.

بيدَ أن الفرحة لم تكتمل، فقد وقعت سورية مجدداً تحت الانتداب الفرنسي مدة خمس وعشرين سنة، وحاول الفرنسيون أيضاً إبعاد اللغة العربية وتهميشها، وفرض اللغة الفرنسية مكانها في العملية التعليمية، وكان المفتشون الفرنسيون يجولون في المدارس السورية، ويراقبون لغة المعلمين، فمن كان يستعمل العربية في شرح دروسه يتعرض لأقصى العقوبات، وكانوا يحظرون على التلاميذ التحدث بالعربية في داخل الصفوف وفي باحات المدارس في أثناء اللعب أيضاً.

إلا أن هذه المحاولات كلها باءت بالإخفاق، فقد تسلّح رجالات التعريب بالإرادة القوية والانتماء الأصيل لأمتهم ولغة قرآنها الكريم، فدفعهم ذلك إلى البحث في المعجمات القديمة عن المصطلحات، وإلى الاستئناس بالمصطلحات التي وضعها أساتذة الطب في القصر العيني في القاهرة حيث كانت العربية لغة التدريس في القصر العيني قرابة سبعين عاماً منذ أيام محمد علي باشا، وقبل الاحتلال الإنجليزي لمصر الذي حوّل لغة تعليم الطب من العربية إلى الإنجليزية. كما استأنس الأساتذة السوريون في كلية الطب بالكتب التي ألفها في أواخر القرن التاسع عشر ثلاثة أساتذة أجانب من أساتذة الكلية الإنجيلية السورية في بيروت حيث كانوا يدرسون الطب بالعربية في هذه الكلية التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية، وغيّرت لغة التدريس فيها من العربية إلى الإنجليزية أيضاً[٢].

ثانياً- اللغة العربية بعد الاستقلال

نص الدستور السوري بعد أن نالت سورية استقلالها على أن اللغة الرسمية للبلاد إنما هي العربية، وجسدت سورية هذا النص واقعاً حياً في مختلف مجالات الحياة انطلاقاً من إيمانها بأن ارتباط المرء بلغته لا يمكن أن يعدله ارتباطه بأي لغة أخرى، ذلك لأن اللغة العربية هي اللغة القومية، وهي التي وحدت بين العرب في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم (ص) آية لنبوته، وتأييداً لدعوته، ودستوراً لأمته، وما تزال هي الرابطة الموحّد والموحّدة، وهي أمارة على شخصية الأمة، ويعد الانقطاع عنها انقطاعاً عن الجذور التاريخية وهروباً من الهوية الوطنية، لأن التنكر للغة الأم يؤدي إلى اجتثاث الشخصية من مسارها التاريخي ومن ثقافة المجتمع، فتغدو دون هوية، ذلك أن لغة شعب ما هي إلا روحه، كما أن روح الشعب هي لغته، وما كانت اللغة لأي مجتمع إلا وطنه الروحي.

ومن هنا حرصت سورية على سيرورة اللغة

(٢) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (أبو ظبي) –اللغة العربية والتعليم رواية مستقبلية للتطوير– بحث التجربة السورية للتعليم باللغة الأم للدكتور محمود السيد –ط١ ٢٠٠٨ ص٣٧٩.

العربيــة وانتشارهــا في جميع شــؤون الحياة، ولقد تجلى هذا الحرص في:

١- التعليـم باللغـة العربيـة في جميـع مراحل التعليـم العـام والجامعـي: لقـد أثبتـت البحـوث والدراسات أن الناشئ الذي يتعلم بلغته الأم يستوعب المعلومـات والحقائق بصورة أفضـل مما لو تعلمها بلغــة أخرى ذلك لأن ثمة رابطة لا تنفصم بين الفكر واللغة. وما دامت اللغة العربية الرسمية هي المعتمدة دستوريــاً كان اعتمادها في التعليــم بجميع مراحله يحقـق ديمقراطية التعليـم لأن ديمقراطية التعليم ما لم يكـن التعليم باللغة الأم شعــار لا مضمون له، والتعليــم باللغة الأم وحدة للشعــور والفكر والثقافة والاتجاه. ولقد أثنى السيــد "بونور" مدير المعارف العام في المفوضية العليا إبان الانتداب الفرنسي على إصرار أساتذة الجامعة السورية على التدريس باللغة العربية في الجامعة السورية المفتتحة قائلاً: "إن من يدافع عن لغته يدافع عن أصله وعن حقه وعن كيانه ولحمه ودمــه، ولقد تفهم الأساتــذة السوريون هذا الأمر جيداً".

٢- تأليـف الكتب والمراجـع العلمية والمعجمات بالعربيـة: عمل أعضاء الهيئة التدريسية على تأليف الكتــب العلمية أو تعريبها حتى شمل الكتاب العربي مختلف مقررات الجامعــة في كل كلياتها، وأقسامها ومقــررات المعاهد المتوسطــة، إضافة إلى التعليم ما قبــل الجامعي، وهــذا ما أعطى التجربــة السورية طابعها العملــي. فليس هناك الآن علــم من العلوم التــي تدرس في الجامعــة إلا وله كتاب عربي بحت، في خاتمته مســارد بالمصطلحات التــي استخدمت فيــه، وهي مسارد تؤلـف في جملتها مادة المعجمات العلمية.

ولم يقتصــر الأمــر علــى الكتــاب الجامعــي، وإنما تعداه إلى المراجــع العلمية الكبرى والمعجمات والموسوعات والكتب الحديثة التي تولت أمرها وزارة التعليــم العالي في النطاق العلمي، ووزارة الثقافة في نطاق الدراسات الإنسانية.

وعــادت إلى العربيــة مكانتها تأليفــاً وترجمة وتدريساً ومصطلحــاً بفضل جهود رجالات التعريب مــن أساتذة الجامعات، وجهود مجامع اللغة العربية، وعــاد إلى التأليف باللغــة العربية كثير مما افتقدته في عصــور الانحدار من عمق في المعاني، ووضوح في الأفكار، وسلامة في اللغة، ونصاعة في البيان، وظهرت في اللغــة العربية إلى جانب كتب اللغة والأدب، كتب علمية جيدة استطاع مؤلفوها أن يجمعوا بين الغرض العلمي وسلامة اللغة وجودة العرض وحسن الأداء.

وتتم عمليــة تحديث الكتب بصــورة مستمرة، إذ إن نسبــة حداثــة الكتب المؤلفة قــد وصلت إلى ٣١,٢١٪ في العــام الدراسي الجامعي ٢٠٠٤ بعد أن كانت ٣,٧٦٪ عام ١٩٨٠.

وممــا ساعــد أعضــاء الهيئــة التدريسية في الجامعات السورية على التأليف والترجمة والتعريب وجود معجمات عامة ومتخصصة كان قد وضعها بعض النابهين في فروع علمية متعددة شملت المصطلحات الطبية والكهربائية والنفطية والحراجية والفلسفية والجغرافية والنفسية... الخ.

٣- تعزيـز تعليـم اللغـة العربيـة في التعليـم الجامعـي: لما كان المدرس محــور العملية التعليمية، وبقــدر جودة إعــداده تكون جــودة المخرجات، كان حســن اختيــار المعيدين أمراً علــى درجة كبيرة من الأهمية، إذ يخضع إلى مقابلات واختبارات للوقوف علــى تمكن المعيــد من لغتــه العربيــة. وفي الوقت نفســه لا ينقل المدرسون الجــدد المتمرنون في جميع الاختصاصات من مرتبة إلى أخرى قبل أن يخضعوا لامتحــان في العربية ويثبتوا نجاحهــم فيه، كما أن

من شروط التعيين في الجامعات والمعاهد المتوسطة وفي جميع الاختصاصات شرط النجاح في امتحان شفاهي وكتابي في اللغة العربية. ولم تكتف الجامعات بهذه الإجراءات لتعزيز الارتقاء باللغة العربية، وإنما جعلت سلامة اللغة العربية شرطاً ينص عليه في تقويم الإنتاج العلمي للترقية في سلم هيئة التدريس، كما أن على كل معيد عائد من الإيفاد أن يعمل على ترجمة أطروحته إلى العربية ولا يمكن تأصيله إلا بعد قيامه بالترجمة.

وإذا كانت الإجراءات السابقة تتعلق بلغة أعضاء الهيئة التدريسية فإن ثمة مرسوماً جمهورياً صدر عام ١٩٨٣ يتعلق بلغة الطلبة، إذ ينص المرسوم على تدريس اللغة العربية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة في الكليات والمعاهد العليا في الجمهورية العربية السورية فيما عدا قسمي اللغة العربية والسنة الأخيرة في كلية الطب البشري. ويدرّس هذا المقرر على مدار السنة في النظامين الدراسيين الفصلي والسنوي، وألفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين.

وفي مرحلة التعليم ما قبل الجامعي يعد النجاح في اللغة العربية شرطاً للحصول على الشهادة الثانوية حتى لو كان الطالب ناجحاً في جميع المواد فإنه يعد راسباً إن لم يحز درجة النجاح في اللغة العربية.

٤- تعزيز تعليم اللغة الأجنبية إلى جانب العربية: عُنيت سورية بتعليم اللغات الأجنبية إلى جانب عنايتها بتعليم العربية، إذ إن عنايتها بالعربية لم تكن بحائلة دون العناية بتعليم اللغات الأجنبية، فقررت وزارة التربية بدءاً من عام ٢٠٠١ تدريس لغتين أجنبيتين في مرحلة التعليم الأساسي والثانوي بعد أن كانت سابقاً تدرس لغة واحدة، على أن يبدأ تدريس اللغة الإنجليزية من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، وتدريس اللغة الفرنسية من الصف السابع، بحيث يتخرج الطالب في نهاية المرحلة الثانوية وهو يعرف اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

ولم يكن الاهتمام باللغة الأجنبية في مراحل التعليم العام فقط، وإنما كان ثمة اهتمام بها في المرحلة الجامعية في الدراسات العليا، بحيث لا يتمكن الطالب من تسجيل رسالته لنيل درجة الماجستير إلا بعد التحاقه بدورات في معهد اللغات الذي أنشأته الجامعة لتعليم اللغات الأجنبية وذلك في ضوء مستوى الدارس وإثبات نجاحه فيها، ولا يتمكن من تسجيل رسالة الدكتوراه إلا بعد نجاحه في امتحان اللغة الأجنبية، وينطبق ذلك على المعيدين الموفدين في بعثات خارجية.

٥- إصدار القوانين والبلاغات والقرارات للمحافظة على العربية في البيئة: لم يقتصر الأمر على العناية باللغة العربية في العملية التعليمية، وإنما صدرت القوانين للمحافظة على العربية في البيئة الخارجية أي في خارج نطاق التعليم، فقد صدر المرسوم التشريعي ذو الرقم ١٣٩ تاريخ ١٩٥٢/١١/٦ يعزز استخدام اللغة العربية في البيئة وذلك بمنع إطلاق الأسماء الأعجمية على المحال العامة والخاصة، كما صدر بتاريخ ١٩٧٠/٥/٧ بلاغ من رئاسة مجلس الوزراء للحد من طغيان الأسماء الأجنبية على المحال العامة والخاصة. وفي عام ١٩٨٠ صدر كتاب من رئاسة مجلس الوزراء إلى الجهات المعنية يتضمن الموافقة على توصية اللجنة الثقافية حول تعريب أسماء المحلات القائمة في البلاد، كما صدر قرار من وزير السياحة في العام نفسه ينص على أن تختار المكاتب والمنشآت السياحية على اختلاف أرجائها وفئاتها في التصنيف أو التأهيل أسماء عربية فقط، ويحظر عليها استخدام أسماء أجنبية، واستثنى القرار المنشآت السياحية الاجنبية ذات المستوى والتصنيف الدوليين والخاضعة لأنظمة

الوزارة والمرتبطة معها بموجب العقود المبرمة معها.

ثالثاً- خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية

جاء في الخطاب الذي ألقاه السيد الرئيس بشار الأسد أمام مجلس الشعب بمناسبة أدائه اليمين لولاية دستورية جديدة في السابع عشر من تموز "يوليو" ٢٠٠٧: "يجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا كي تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا كائناً حياً ينمو ويتطور ويزدهر، ويكون في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات، ولتصبح أداة من أدوات التحديث، ودرعاً متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا"

ويبين في خطابه أننا أعطينا في سورية اللغة العربية كل الاهتمام، وتبوأت موقعاً رفيعاً في حياتنا الثقافية منذ وقت مبكر. ومطلوب منا اليوم استكمال جهودنا للنهوض بها لاسيما في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجودنا القومي لمحاولات طمس هويته ومكوناته، والذي يشكل التمسك باللغة العربية عنواناً للتمسك بهذا الوجود ذاته.

ويرى أنه عندما تضعف اللغة العربية من السهل أن يضعف أي ارتباط آخر لنا سواء بالنسبة للوطن، بالنسبة للقومية، أو بالنسبة للدين، وهذه الأمور ترتبط باللغة".

وجاء في كلمة أخرى للسيد رئيس الجمهورية بمناسبة افتتاحية دمشق عاصمة للثقافة العربية بتاريخ الرابع والعشرين من كانون الثاني "يناير" عام ٢٠٠٨: "ولن يستقيم الحديث عن ثقافتنا العربية دون أن تكون لغتنا العربية الأساس المتين لهذا البيت، لذلك علينا أن نعلي من شأنها، فهي لغة القرآن الكريم الذي يتوجه نحوه مئات الملايين، لغة مكتوب بها نصف تاريخ العالم، وتاريخ علمه وأدبه، لغتنا لغة الشعر العظيم والفكر والفلسفة والعلم. ومن الأهمية بمكان أن نتعلم اللغات الحية لنتعرف على منجزات التقدم الإنساني دون أن يعني هذا إهمال لغتنا القومية، أو يكون مدعاة للشعور بالدونية تجاه الآخرين. علينا أن نكون فخورين بها، ولا يتحقق فخرنا إلا إذا أغنيناها بالإبداع في كل صنوف المعرفة، فهو يعزز من حيويتها، ومن عالميتها، ويجعلها فاعلة في مسار الوعي الإنساني، فلا هوية دون لغة، ولا وطن من دون هوية".

وأصدر الرئيس القرار الجمهوري ذا الرقم ٤ لعام ٢٠٠٧ والذي ينص على تشكيل لجنة كان لي شرف رئاستها تستهدف التمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، ومتابعة خطوات التنفيذ بالتعاون مع الجهات المعنية.

ولقد قامت اللجنة المشكلة بوضع خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية وتتابع تنفيذها بالتعاون مع الجهات المعنية، وترفع تقاريرها إلى السيدة نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية.

وتشتمل هذه الخطة على أربعة أقسام، تناول أولها المسوِّغات التي دعت إلى وضعها، وتناول القسم الثاني الواقع اللغوي والعوامل المؤثرة فيه، ووقف القسم الثالث على سبل المواجهة، وركز القسم الرابع والأخير على القضايا الملحة التي تتطلب المعالجة السريعة.

وانطلقت اللجنة في وضع خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية من رؤيتها أن اللغة مؤسسة اجتماعية إنسانية، وأن على أبناء المجتمع كافة واجب الاضطلاع بأدوارهم تجاه لغتهم الأم اعتزازاً ومحافظة وارتقاء، وفي ضوء ذلك حددت اللجنة

الواجبات التي لابد لكل جهة أن تقوم بها، إذ ما الذي ينبغي لوزارة التربية ووزارة التعليم العالي، والإعلام، والثقافة والأوقاف.... الخ أن تقوم به بغية المحافظة على العربية والارتقاء بها، ولم تغفل الخطة الاتحادات والنقابات والجمعيات من القيام بواجباتها أيضاً.

ولعلّ من الفائدة أن نطلع على الإجراءات التي ينبغي لوزارتي التربية والتعليم العالي القيام بها بغية المحافظة على اللغة والارتقاء بها:

وزارة التربية: وتعمل على تنفيذ ما يأتي:

أ. إجراء دورات تدريبية لمربيات الأطفال على استخدام العربية المبسطة في رياض الأطفال، والسعي التدريجي لأن تكون الرياض جزءاً من السلم التعليمي وتوفير مستلزمات هذا المسعى من برامج وأنشطة وأدلّة وكُراسات... الخ.

ب. إجراء دورات تدريبية للمعلمين كافة لتدريبهم على استخدام أساسيات لغتهم بصورة سليمة وتوظيف دورات التدريب المستمر في جانب منها لهذا المسعى.

ج. التزام جميع المعلمين وفي مراحل التعليم كافة باستخدام اللغة العربية في العملية التعليمية، وألا يخضعوا للترقية في وظائفهم إلا إذا أثبتوا إتقانهم أساسيات لغتهم.

د. تنويع طرائق التدريس والمرونة في استخدامها بحسب الأجواء بما يفسح المجال فيها لاستثارة المهارات العقلية العليا من فهم وتطبيق وتركيب وتحليل ونقد وتقويم... الخ.

هـ. تدريب معلمي اللغة على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها، والعناية بالتعلم الذاتي والمطالعة الحرة.

و. تشجيع المتعلمين كافة على استخدام العربية السليمة في مناشطهم اللغوية، والتشدد في عدم قبول إجاباتهم بالعامية.

ز. تخصيص جوائز للناشئة المتميزين في استخدام لغتهم الأم في مناشطهم اللغوية.

ح. إعادة النظر في مضمون المناهج ولغتها لتكون لغة للحياة النابضة الزاخرة.

ط. التركيز على النحو الوظيفي وعلى التعبير الوظيفي في المناهج اللغوية.

ي. التركيز على القوالب والبُنى اللغوية في عملية تعليم اللغة في المراحل الأولى قبل الدخول في المصطلحات النحوية، وتجنُّب استعمال المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم.

ك. الإكثار من حفظ النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار والخطب البليغة في مراحل التعليم كافة وخاصة المراحل الأولى، وعلى قَدْر حفظ النصوص في المراحل الأولى يستقيم اللسان، وينعكس على صحة القلم في التعبير الكتابي وعلى اللسان في التعبير الشفهي.

ل. ضبط جميع الكتب المؤلفة بالشكل في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وضبط ما يُخْشى منه اللبس في المراحل التالية.

م. التدريب المستمر على الكشف في المعاجم.

ن. إنتاج كتب الكترونية مبسّطة بالعربية.

س. تصميم دروس العربية بالحاسوب والشابكة "الإنترنت".

ع. تطوير أساليب الامتحانات في جميع المراحل

التعليمية وعدم الاقتصار في التقويم على الامتحانات الكتابيــة، مع ضرورة بنــاء أدوات موضوعية لتقويم الأداء اللغــوي، على أن تتضمــن في بعض جوانبها الضبط بالشكل.

ف. إجــراء بحــوث علمية لمعالجــة المشكلات اللغوية في العملية التعليمية التعلمية.

ص. العناية بالمكتبات المدرسية وتزويدها بدوائر المعارف والمعاجم وأمّهات الكتب والكتب الإلكترونية والسلاسل المتنوعة، علــى أن تكون اللغة المستخدمة فيهــا سليمة لغوياً، وعلــى أن تكلف أُطر متخصصة بالمكتبات العناية بها.

ق. إغنــاء البيئــة التعليميــة التعلمية بمصادر التعلــم المختلفة من كتب وصحــف ومجلات ووثائق وصور ومجسمات وتسجيلات ورسوم وأشكال وشرائح وخطوط بيانية وحواسيب... الخ.

ر. تفعيل المناشط اللغوية اللاصفيّة من صحافة مدرسية ومجلات وإذاعــة مدرسيّة وكتابة إعلانات ولافتــات، وإجراء مناظــرات ومسابقــات لاختيار الأداءات المتميزة وتخصيص جوائز لها.

ش. تفعيــل المسرح المدرسي والإكثار من عرض المسرحيــات الناطقــة بالعربية الفصيحــة المبسّطة وإشراك الناشئة في تمثيل أدوارها.

ت. زيــادة الاهتمام بــذوي الحاجات الخاصة وتأمين البرامج اللغويــة والوسائل التعليمية الملائمة لهم تحقيقاً لدمجهم في المجتمع بصورة فعالة.

ث. الإشــراف الفعــال على المدارســ الخاصة والارتقاء بواقع اللغة العربية فيها.

خ. التركيــز علــى وضع مناهج خاصــة لتعليم المغتربين وأبنائهم وغير الناطقين باللغة العربية بغية إكسابهم مهاراتها.

ذ. التركيز على اللغة العربية السليمة والشائقة في البرامج التعليمية التلفزية.

ض. التنسيق مــع وزارة الإعلام لإنتاج برنامج تلفزيــوني مُتقَن لتعليم العربيــة لأبنائها وللمغتربين ولغيــر الناطقين بهــا في ضوء الاتجاهــات التربوية المعاصرة.

وزارة التعليم العالي: وتُعنى بتنفيذ ما يلي:

أ. اختيــار الطلبة الراغبيــن في الانتساب إلى الكليات الجامعيــة كافة على أساس إتقان أساسيات اللغة العربية.

ب. التزام جميع أعضــاء الهيئة التدريسية في الجامعات والمعاهد استخدام اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية.

ج. إعادة النظر في مناهج تدريس اللغة العربية في كلية الآداب لتكون وظيفيّة.

د. إعادة النظر في مناهــج تعليم اللغة العربية لغير المختصين في ضوء اختصاص الطالب في كليته استثارة للدافعية وتأميناً للمنحى الوظيفي.

هـ. إعــادة النظر في برامج إعداد معلمي اللغة اختياراً وتأهيلاً وتدريباً.

و. تعميم تدريس اللغــة العربية مطلباً جامعياً في كل الكليــات الجامعية وفي الجامعــات الرسمية والخاصة.

ز. وضــع خريطة بحثيــة بالتنسيــق مع وزارة التربية لمشــكلات تعليم اللغة العربيــة وتعلمها بغية معالجة هذه المشكلات بالأساليب العلمية.

ح. الأخــذ بالحُسبان أن يكــون من بين شروط ترقيــة أعضاء الهيئة التدريسيــة إتقانهم أساسيات اللغة.

ط. اعتماد المصطلحات التي أقرّها مجمع اللغة العربية بدمشق في التدريس وفي الترجمة.

ي. تفعيــل حلقــات البحث لتــؤدي الأهداف

المرسومة لها من حيث تعويدُ الطالب على البحث والتلخيص والعرض والمناقشة باللغة العربية السَّليمة في كليات الآداب والعلوم الإنسانية وسائر الكليات الجامعية.

ك. التركيز على اللسانيات التطبيقية، في كليات الآداب والعلوم الإنسانية وتوظيفها في خدمة اللغة العربية الفصيحة.

ل. إعادة الامتحانات الشفهية إلى أساليب تقويم الدارسين وعدم الاكتفاء بالامتحانات التحريرية في الصفوف الأخيرة من الدراسة الجامعية.

م. الإكثار من ضروب النشاط اللغوي بالعربية الفصيحة في المناشط اللاصفيّة في الإذاعة والصحافة الجامعية والمجلات والمسرحيات والمناظرات والمساجلات... الخ.

ن. تخصيص جوائز للمتفوقين من الطلاب في أدائهم اللغوي وفي جميع المجالات اللغوية.

س. تطوير قسم الصحافة في جامعة دمشق ليغدو كلية للإعلام بأقسامها المختلفة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية غايتها إعداد الأُطر الإعلامية.

ع. تفعيل الترجمة الآلية وإعداد الأطر المتخصصة في ميدانها.

ومن الأمور الإيجابية التي تمت نتيجة لمتابعة تنفيذ خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية إحداث لجان للتمكين في الوزارات المعنية "التربية -التعليم العالي -الثقافة -الإعلام -الأوقاف... الخ" وإحداث لجان للتمكين في المحافظات، وتضم كل لجنة في المحافظة المسؤولين عن المديريات المعنية "السياحة، الثقافة، التربية، اتحاد الكتاب، الأوقاف... الخ"، كما ألقيت محاضرات في مجال التوعية اللغوية في المراكز الثقافية والجامعات والنقابات، وعقدت دورات تدريبية للعاملين في بعض الوزارات والمحافظات لتدريبهم على استعمال اللغة السليمة وأصول التراسل، وعقدت ندوات إذاعية ولقاءات إذاعية ومقابلات حول خطة العمل الوطنية، ونشرت زوايا صحفية ومقالات حول التوعية اللغوية، وأسهمت بعض الجمعيات الأهلية والنوادي الاجتماعية في عملية التوعية اللغوية، وتمّ وضع تسميات عربية مقابل التسميات الأجنبية على واجهات بعض المحال التجارية والخدمية والإعلانات، وشكلت لجان في مراكز المدن لمسح الشوارع والوقوف على التسميات الأجنبية بغية وضع البديل العربي لها، وأصدرت وزارة التربية تعميمات تدعو المدرسين إلى التزام العربية الفصيحة في أثناء شرح دروسهم، والعناية بالمناشط اللغوية اللاصفيّة والإكثار من الأناشيد والأغاني المؤداة بالفصيحة، وتزويد المكتبات المدرسية بالكتب وإجراء مسابقات بين الصفوف في المدرسة الواحدة، ومن ثم بين المدارس في المنطقة الواحدة وبينها وبين المحافظات الأخرى، وتخصيص جوائز للفائزين.

كما خصصت وزارة الأوقاف خطبة الجمعة للحديث عن اللغة ودورها في حياة الفرد والأمة وتبيان مزايا اللغة العربية، وأصدرت وزارة التعليم العالي تعميماً ينص على وجوب التزام أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات والمعاهد العربية الفصيحة في أثناء محاضراتهم ومناقشاتهم والحكم على رسائل الماجستير والدكتوراه، وتمت طباعة كتب تناولت مزايا اللغة العربية وسبل مواجهة التحديات التي تتعرض لها، وقامت وزارة الإعلام باستبعاد الكلمات العامية من الإعلانات في الشوارع، وحظرت إعطاء أي موافقة لصاحب إعلان لا يلتزم الفصيحة.

وأصدرت رئاسة مجلس الوزراء تعميماً على وزارات الدولة والمؤسسات التابعة لها والشركات... الخ يرمي إلى التدقيق اللغوي للكتب الصادرة عنها حرصاً على السلامة اللغوية، وتكليف حاملي الإجازة في اللغة العربية القيام بهذه العملية.

وقامــت لجنة التمكين للغــة العربية في الوقت نفسه بوضع مشروع "النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمــع المعرفة"، وهو المشروع الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربية المنعقــد في دمشــق بتاريخ ٣٠مارســ ٢٠٠٨ وتمت الموافقة عليه بالقرار ذي الرقم ٥٣٤.

ويهدف المشروع إلى الحفاظ على الهوية العربية متمثلــة في لغتنا الأم العربيــة الفصيحة، والاهتمام باللغة العربية علــى أنها وعاءٌ للمعرفة وسبيل الأمة للتوجه نحو مجتمع المعرفة، ودعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدول العربية استناداً إلى دور اللغة الأم في هذه المجالات.

وقــد تضمن القرار المشار إليه سابقاً عدة بنود منها:

١. وضع سياسة لغوية قومية، وسياسات وطنية متناسقــة معها، وخطــط لتنفيذها من خلال برامج قومية ووطنية.

٢. وضع برامج قوميــة ووطنية لمعالجة قضايا اللغــة العربية ذات الأولويــة في التوجه نحو مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة في المجالات التالية:

أ. تحديث مناهج تعليم اللغة العربية واستخدام تقانة المعلومات والاتصالات، وزيادة عدد مؤسساتها، واعتماد مبدأ التعلم مــدى الحياة في ذلك، والعناية بمدرسيها وأساتذتها.

ب. تعريــب العلــوم والتقانــات وتوطينها لدى القوى العاملة العربيــة في جميع القطاعات، تعليماً وتأليفــاً وترجمة، مــع الاهتمام باللغــات الأجنبية اهتمامــاً كبيراً، وفصل مسألة إتقان اللغات الأجنبية عــن مسألة التعليم بها، إذ لم ير التاريخ تقدم أمة من الأمم بغير لغتها.

ج. تعزيــز استعمال اللغة العربيــة في الإعلام والإعلان، والارتقاء بهذا الاستخدام، ووضع سياسات وإجراءات تنفيذية لذلك.

٣. وضع برامج لتعزيز البحث والتطوير وزيادة عدد المؤسسات العاملة في مجال بحوث اللغة العربية كــي تجاري متطلبــات التوجه نحــو مجتمع المعرفة واقتصــاد المعرفــة، وتنسيق البرامج علــى المستوى القومــي، وتنفيذها في الجامعــات ومعاهد البحوث العربية، وإنشاء هيئة تنسيقية عليا من وزارات التعليم العالي والبحث العلمي والمؤسسات التابعة لها، وتعالج هــذه البحوث القضايــا اللغويــة ذات البعد التقني وخاصــة: مسائــل المصطلحات والذخــيرة اللغوية، والمعاجم وتعليم اللغة، وتقييس استعمال اللغة العربية في تقنية المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها في اللغة العربية، والترجمة الآليــة، ومسألة اعتماد التشكيل في الكتابة، وتعرف الحرف العربي، والترجمة الآلية، ومسألة اعتماد التشكيل في الكتابة، وتعرف الحرف العربي، ومعالجة الكلام العربي تعرّفاً وتوليداً وإدارة المعرفة باللغة العربية... الخ.

٤. إصدار تشريعات وطنية لحماية اللغة العربية وترقية استخدامها، وتطوير استعمالاتها في الإعلام والإعلان بــكل أشكالــه، وفي المواقــع العربية على الشابكة "الإنترنت" وزيادة المحتوى العربي.

٥. وضع برامج للتوعية بأهمية اللغة العربية في التوجه نحو مجتمع المعرفــة واقتصاد المعرفة كونها وعاء المعرفة الوحيد للغالبيــة العظمى من المجتمع العربي.

٦. تأكيــد استعمــال اللغة العربيــة رسمياً في المحافــل الإقليميــة والدولية والنشاطــات العلمية والثقافية كالمؤتمرات والندوات.

اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى

أ. د. يوسف القرضاوي

الأستاذ في كلية الشريعة بجامعة قطر

لغة القرآن الكريم

يعتز المواطنون في قطر باللغة العربية اعتزازاً بالغاً، شأن كل عربي، يعتبر اللغة جزءاً أساسياً من هويته، ولاسيما إذا كانت هذه اللغة هي التي اختارها الله تعالى لينزّل بها أفضل كتبه، على أفضل رسله، فقد تضمَّنت هذه اللغة كلمات الله الأخيرة الهادية للبشرية، التي جاء بها القرآن العزيز، الذي أُحكمت آياته ثم فصِّلت من لدن حكيم خبير، وقد أعلن القرآن في عدد من الآيات أنه قرآن عربي، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)، ﴿كِتَابٌ فُصِلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣)، ﴿وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾ (الرعد: ٣٧)، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ × عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ × بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٣ -١٩٥)، ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الرمز: ٢٨)، إلى عدد من الآيات التي أكَّدت عروبة القرآن.

اللغة العربية إذن لغة القرآن العظيم، وهي لغة الرسول الكريم، ولغة آله وأصحابه الميامين، وهي لغة الثقافة والعلوم الإسلامية، ولغة العبادة والصلاة الإسلامية، ولذا نرى المسلمين في أنحاء العالم يتقرَّبون إلى الله بتعلُّمها وتعليمها، على قلَّة إمكاناتهم، ويفتحون المدارس والمعاهد، التي تدرس العلوم الشرعية واللغوية بالعربية، وقد قال الإمام الشافعي بوجوب تعلمها على كل مسلم، وهي اللغة الرسمية في دولة قطر بحكم الدستور، وقبل الدستور هي لغة الشعب القطري، التي بها يعتزُّ ويفخر.

مزايا ذاتية في اللغة العربية:

كما يعتزُّ القطريون باللغة العربية -شأنهم شأن عامة العرب- لأمر آخر، أنهم يعتقدون أن في هذه اللغة خصائص ومقوِّمات ذاتية تجعلها تتفوَّق على غيرها، ولا ريب أن لهذه النزعة -التي يسمِّيها بعضهم (رومانسية)- ما يسوِّغها.

ففي اللغة العربية ثروة في المفردات لا توجد في لغة أخرى -فيما أعلم- تمتاز بالتعمُّق والتدقيق

في تسمية الأشيــاء، ومراحلها ومراتبها، مثل إعطاء كلِّ صـــوت لشيء اسماً يخصُّه إما على وزن (فُعَال): مثــل البكاء للإنسان، والصداح للبلبل، والمُواء للقط، والثُّغاء للغنم، والرُّغَاء للإبل، والخُوَار للبقر، والنُّبَاح للكلــب، والعُــوَاء للذئب، وإمــا علـــى وزن (فعيل) كالحفيف للشجر، والخريــر للمياه، والزئير للأسد، والعويل للنساء، والصهيــل للخيل، والنهيق للحمير، والنعيق للغراب، والنقيــق للضفادع، والنعيب للبوم، والهديل للحمام، والهديــر للموج، والصليل للسيف، والصرير للقلم، والفحيح للأفعى، وهكذا.

ومثال ذلــك: أن يسمَّى وليــد كلِّ حيوان باسم خاص: مثل وليــد الإنسان: الطفــل، ووليد الأسد: الشبل، ووليد الإبــل: الفصيل، ووليد البقر: العجل، ووليد الحصان: المهر، ووليد الحمار: الجحش، ووليد الديك: الكتكوت، ووليد الحمام الفرخ.

ومثل أن تجــد للإنســان في كلِّ مراحل حياته اسمــاً يخصُّ كلَّ مرحلة، فهو نطفة، ثــم علقة، ثم مضغة مخلَّقــة وغير مُخلَّقة، وهـــي في هذه المراحل كلِّهــا جنين، ثم إذا ولدته أمه أصبح وليداً، فرضيعاً، ففطيماً، فصبياً أو غلاماً، فمراهقاً، فشابّاً، فيافعاً، فكهلاً، فشيخاً.

وكذلك نجد الإبل لأهميتها عند العرب، في كلِّ ســنٍّ لها اسم معروف، كالحــوار أو الفصيل، ثم ابن المخاض، ثم ابن اللبون، ثم الحِقَّة، ثم الجَذَعة.

وفي الأمور المعنوية نجد الحديث عن العواطف الإنسانية، فهنــاك المودة، ثم تتحوّل إلى حبٍّ فعشق، فصبابة، فهيام، فوَلَه.

ثم إن في اللغة العربية خصائص ومزايا تجعلها قـــادرة علـــى التطوُّر الذاتـــي، ومواجهـــة كلِّ جديد بإمكاناتها الداخلية.

فمن مزايا العربية: الاشتقاق، فالكلمة الواحدة تشتق منها –بعد المصــدر– الفعل الماضي والمضارع والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبَّهة، وصيغة المبالغة، وأفعــل التفضيل، وصيغة التعجُّب، وتعدية الفعل بالهمزة، أو بالتضعيف، وإدخال السين والتاء للطلب، أو للاستحالـــة، واشتقاق اسم المرَّة أو اسم الهيئة منه، أو المصدر الميمي، أو اسم المكان، أو اسم الزمان، أو اسم الآلة، أو غيرها.

مثل كلمـــة أكل، حيث تشتقُّ منهـــا: أكل، يأكل، كُلْ، فهـــو آكل، وأكول وأكَّال، ومأكول، وأكيل، ومأكلة، ومأكل، وآكل، يُؤكل، وآكله، يؤاكله، واستأكل، أي طلب الأكل، وتآكل، يتآكل، وتأكَّل يتأكَّل وأُكلة، والأكُل.

والأكل منـــه حقيقـــي، مثـــل أكل الطعام، ومنه مجـــازي مثل أكل مال اليتيم، مثل قولهم: الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

ومما يميز اللغـــة العربية: قدرتها على النحت، فتصاغ بعضـــ الجمل في كلمة مفردة، مثل البسملة: أي قـــول: بسم الله الرحمن الرحيم. ومثل الحمدلة. أي الحمـــد لله. والحوقلة قـــول: لا حول ولا قوة إلا بالله. والجعفلة: أي جعلنـــي الله فداك. والطلبقة: أي تكرار قول: أطال الله بقاءك والحيعلة: أي قولك: حي على الصلاة، حـــي على الفلاح. إلى آخره، وهو كثـــير. وكان بعض زملائنا يقيســـ على ذلك فيقول: نريد أن (نسندشـــ)، أي نأكل الساندوتش. أو نبرتق، أي نأكل البرتقال.

ومن مزايا العربية: وجود التصغير فيها، بدل أن تصف الشيء بأنه صغير، فتكتفي بزيادة ياء في وسطه، بصيغة معينة، فتقول عن الأسد الصغير: أُسيد، وعن الحمار الصغير حُميّر أو حمير، وقد يصغَّر الاسم أو الوصف لا يقصد تصغيره، بل تدليله، ويسمونه تصغير (التمليح) مثل: يا حُميراء، للمرأة الحمراء، وسُليمى في (سلمى).

ومن مزايا العربية: الترخيم في النداء، بحذف الحرف الأخير من الكلمة مثل: يا صاح بدلاً من يا صاحبي، ومثل أفاطم، أي: أفاطمة.

وضع اللغة العربية في قطر بين العناية والشكوى:

ومن نظر إلى اللغة العربية في دولة قطر، وفي شعب قطر، يجد مظهرين مختلفين:

الأول: مظهر العناية والرعاية، التي تولّيها الدولة ومؤسّساتها للغة العربية والحفاظ عليها، والاهتمام بتعليمها ونشرها، وإصدار القوانين والقرارات التي تُعنى بتحسينها وتطويرها، سواء في دائرة التعليم العام، أم في التعليم الجامعي، أم في المحيط الاجتماعي.

الثاني: مظهر الشكوى من مزاحمة اللغات الأجنبية لها -الإنجليزية خاصة- في التعليم ما قبل الجامعي، ثم التعليم الجامعي، وخصوصاً في السنوات الأخيرة، ثم من مزاحمة العامية القطرية والعاميات العربية في التعليم، ومزاحمة اللغات واللهجات الآسيوية في محيط الحياة الاجتماعية، وخصوصاً في المنازل.

وسنخصُّ كلاً من المظهرين المختلفين بحديث.

مظاهر العناية باللغة العربية في قطر

أما مظاهر العناية باللغة العربية، فتعتمد فيه على التقرير الذي قدَّمه إلينا رئيس قسم اللغة العربية في جامعة قطر مبيِّناً ما تحظى به اللغة العربية من عناية دولة قطر[1] ورعايتها في ميادين شتَّى، نذكر منها المجالات الآتية:

أولاً: في التعليم قبل الجامعي:

بادرت دولة قطر إلى تطوير التعليم العام من أجل إعداد جيل يتمتَّع بكفاءات ومهارات تمكِّنه من الوفاء بمتطلَّبات عصره ومجتمعه، وتمثَّلت هذه المبادرة في وضع معايير لمواد اللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والعلوم، والرياضيات.

وتُعَد المعايير للغة العربية المبادرة العربية الوحيدة التي تتميَّز بالشمول والتطوُّر.

ثانياً: في التعليم الجامعي

١- وضعت جامعة قطر مقرَّرين في اللغة العربية، ضمن المتطلبات الجامعية الإجبارية على جميع طلابها وطالباتها، من أجل تمكينهم من مهارات اللغة العربية، استماعاً وتحدُّثاً وقراءة وكتابة.

٢- فتحت جامعة قطر باب القَبول في قسم اللغة العربية وآدابها، بما يتَّفق مع شروط القَبول في الجامعة، وبشرط اجتياز امتحان القبول بصورتيه التحريرية والشفوية، الذي يجريه القسم مرَّتين في العام الجامعي، ويحدِّد عدد المقبولين بالقدرة الاستيعابية للقسم.

---

(١) هو زميلنا الدكتور علي الكبيسي.

٣- أنشــأت جامعة قطــر منذ بدايــة التعليم العالي في قطر ١٩٧٣م، وحــدة لتعليم اللغة العربية لغــير الناطقين بها، وتقدِّم لمن يقــع عليهم الاختيار مِنَحاً تعليمية، تتضمَّن تذاكر السفر، وتأمين السكن، والإعاشة مع مصروف جيب شهري مناسب.

وتقدم الوحدة ثلاثة مستويات: مبتدئ ومتوسط ومتقدِّم. وقــد درس فيها عدد كبير من جميع أنحاء العالم، ومازال الإقبال على الوحدة كبيراً جداً، وتختار الوحدة أفضل المتقدِّمين، وفق معايير تضعها الكلية والجامعة.

ونظراً لكثرة أعداد الطالبين والراغبين في تعلُّم العربية من غير أهلهــا، تفكِّر جامعة قطر حاليّاً في أخذ العدد المعتــاد على نفقة الجامعة، وتفتح الباب لأعداد أخرى أكبر، على أن يتحملوا نفقات دراستهم في حدهــا الأدنــى؛ تلبية لرغبات الجـــم الغفير من الطالبين والطالبات.

٤- دولة قطر عضو في مشروع الذخيرة العربية، الذي ضـــمَّ مؤخــراً إلى أنشطة الجامعــة العربية، وأصبـــح واحداً مــن مشروعاتها المعتمــدة، وتمثِّلها فيه جامعة قطــر، بواحد من أعضاء هيئة التدريس المتخصِّصــين في اللغة العربية. ويهدف هذا المشروع إلى جمع كلِّ النتاج العربي القديم والحديث ووضعه على الشبكــة (الإنترنت)، ليستفيد منه جميع القرَّاء في كلِّ المجالات.

ثالثاً: في المحيط الاجتماعي:

بناء علــى تكليف من المنظمــة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أعــدَّت دراسة حول واقع التعريب في دولــة قطــر (١٩٩٧م)، وتوصَّلت هــذه الدراسة إلى أن اللغة العربيــة تستعمل بدرجة كبيرة جداً، في تسمية مرافق الدولة، والقضــاء، وإرشادات المرور، وصياغة القوانين، والأنظمــة الإدارية في المؤسسات الرسمية. وتستعمل بدرجة كبيرة في إصدار الصحف، والمجلات، والكتب، والرتب العسكرية، وتقديم برامج الإذاعة، وبرامج التلفزة، والمراسلات بين المؤسسات الرسميــة. وتستعمــل بدرجــة متوسطــة في إعداد اللوائــح، والوثائــق في البنوك المحليــة، وفي تسمية المحال التجارية والمخازن.

ويعد المحيط الاجتماعي بمجمله معرَّباً بدرجة متوسطة.

وأكَّــدت الدراسة أن العربيــة متى خرجت من المجال الرسمي، وجــدت مزاحمة من الإنجليزية أو العامية، ولعل السبب في ذلك أن كلتا اللغتين صارت لغة تعامل في المجتمع القطري، فالإنجليزية لغة تعامل مــع العمالة الأجنبية الوافــدة لكثرتها وتنوُّع لغاتها، والعامية لغــة تعامل القطريــين في حياتهم العامة. ومعنــى هذا أن استعمال الإنجليزية أو العامية يكون لغرض وظيفي من أجل تيسير الاتصال والتفاهم مع هاتين الفئتين، وهذا أمر طبيعي حين يكون في حدود غرضــه، أما إذا جاوز هذا الحــدَّ فيعد خطراً على العربية لابد من مقاومته.

وأشارت الدراسة إلى قرار مجلس الوزراء الذي أكَّد فيه وجــوب الالتزام بتنفيذ قــراره الصادر في اجتماعه العادي (١٩٨٧/٩م) الذي ينصُّ على:

«تكليــف جميع الــوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى بوجــوب الالتزام باستعمال اللغة العربية في مكاتباتهــا، وأي بيانات تصدر عنهــا داخل الدولة،

باعتبار أن اللغــة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، وفي الحالات التي تقتضي فيهــا الضرورة استعمال لغة أجنبية يتعــيَّن استعمال اللغة العربية كلغة أولى، واللغة الأجنبية كلغة ثانية، وباعتبارها ترجمة للأصل المحرَّر أساساً باللغة العربية».

وقد أكَّــد مجلس الوزراء الموقر هذا القرار مرَّة أخرى في نهاية العام الماضي (نوفمبر ٢٠٠٨م)

ومن أهم توصيات الدراسة:

١- أن تبــادر جميع المؤسســات الحكومية إلى إقامــة دورات تدريبية، لتمكين العاملين بها من رفع كفاءتهم اللغويــة، ويمكن التنسيق في هذا المجال مع وزارة التعليم العالي.

٢- وضع بعض الحوافز الوظيفية، التي تشجع علــى إتقان مهارات اللغة العربية، كأن تكون إجادتها شرطاً في التوظيف والترقية.

٣- إعادة النظر في طريقة تعليم العربية لأبنائها في كلِّ المراحــل التعليمية للخروج بها من التلقين إلى اكتســاب المهارات وتنميتها، بتهيئة كل الظروف التي تساعد المتعلِّم على ممارســة اللغة في موقف عملية ذات صلة بحياته ومستقبله الوظيفي.

٤- ضــرورة العناية بتعليم اللغة العربية للعمالة غير العربية الوافدة، وتشجعها على ذلك.

وأوضحت الدراسة أولويات التعريب في:

١- دعم الدولة لأنه يساعد على تقبُّله والالتزام به.

٢- القضــاء علــى مظاهر العاميــة في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، والعناية بتقديم برامــج الأطفال باللغة العربية الميســَّرة القريبة من مستواهم العقلي والمعرفي.

٣- تعريــب واجهات المحال التجارية، لأن كتابة الأسماء الأجنبية عليهــا مظهر من مظاهر التبعيَّة، وعلامة على ضعف الانتمــاء العربي وغياب الوعي اللغوي، ولابد من مضاعفة الجهود للتخلُّص من هذه الظاهرة حفاظاً على لغتنا ودعماً لاستقلالنا.

٤- تعريــب المؤسســات الماليــة والاقتصادية، بتحديد المواضع التي يجب أن تحلّ فيها اللغة العربية محل اللغة الأجنبية. انتهى.

وأضيــف إلى هــذا التقرير: ما تقــوم به (قناة الجزيرة) في قطر، من تأكيد وتثبيت للعربية الفصحى في جميع نشراتها وبرامجهــا الدورية وغير الدورية، حتــى قناة الجزيرة للأطفــال تلتزم بتقديم برامجها لهم بلغة عربية سهلة ميسَّرة، بدل اللجوء إلى العامية، التي يستسهلها الكثيرون.

مظاهــر شكــوى الغيوريــن علــى اللغــة العربية

وعلى الرغم من عناية الدولة تشكو اللغة العربية في قطر – على الرغم من عناية الدولة بها– من عدّة أمور تعتبر آفات مهــدِّدة لنموها وازدهارها، وتجعل الغيوريــين عليهــا والمهتمّين بها من رجــال التربية، ورجال الثقافة، ورجــال السياسة، ورجال الإصلاح، غير مستريحين إلى وضعها.

في مجال التعليم:

ونقصد بالتعليم هنا: التعليم بمرحلتيه: التعليم العام بمراحلــه الابتدائيــة والإعداديــة والثانوية، والتعليم العالي أو الجامعي.

التعليم العام:

ففــي مراحل التعليم العــام: نعاني في قطر ما يعانيه التعليم العــام في البلاد العربية بصفة عامة، وما يشكو منه الجميع، وهو صعوبة فهم قواعد اللغة العربيــة، المتمثِّلة في النحو والصــرف، وانتشار هذه الفكرة بين الطلاب انتشــاراً مَرَضيّاً، يجعل الطالب يستصعب هذه المادة، من قبل أن يدرُسها.

ثم إنها تدرســ عادة دراسة جافَّة مفصولة عن التطبيــق والممارسة، فنرى الطالب يدرس أن المفعول به منصــوب، وهو في أثناء الدرســ لا يميِّز المفعول به مــن الفاعل، فلا غرو أن ينصــب الفاعل ويرفع المفعول. ولا ينظر الطالب إلى اللغة وضبطها بوصفها أمراً مهمّــاً، أو ضروريّــاً، ولكنــه -للأسف- ينظر إليها باعتبارها أمــراً هامشياً أو تحسينياً كما يقول الأصوليون في تقسيــم المصالح إلى ضروري وحاجي وتحسيني. ومعظم الناس يفرُّون من ضبط الكلمات وإعرابها، لجهلهم بقواعد الضبط، وإعراب الكلمات عاملين بقاعــدة: سكِّن تسلم! فــكلُّ أواخر الكلمات مضبوطة بالسكون!

ويزيد الطــين بِلَّــة: أن معظم مدرســي اللغة العربيــة يشرحونها للطلاب باللغة العاميَّة، وفي بلاد الخليج كثيراً ما يكون المعلِّمون من بلاد مختلفة، وكلٌّ يتكلَّم بلهجتــه، وما أعظم الفرق بين اللهجة العامية المغربيــة، واللهجة العامية المصريــة، أو الشامية، أو العراقيــة! كما أن ما يشكى منه في السنوات الأخيرة هــو زيــادة الضعف العــام في تكوين معلِّمــي اللغة العربية، فكثير منهم لا يكاد ينطق جملة سليمة، وإن كنا لا ننكر وجود معلِّمين متقنين لمادتهم، متفنِّنين في طريقتهم، متميِّزين في سلوكهم، يحبِّبون اللغة العربية إلى طلاَّبهــم، فيحبُّها التلاميذ، ويعتزُّون بها إلى حدِّ التقديس، فهم يؤمنون أنها لغة القرآن العظيم، ولغة الرسول الكريم صلــى اللّه عليه وسلم، ولغة الثقافة الإسلامية، ولكن هذا النوع قليل.

وإذا كان معلِّــم اللغة العربيــة يُلقي درسه على طلابه بعاميَّة بلاده، فلا تعجب إذا كان معلمو المواد الأخرى، مثل المواد الاجتماعية (الجغرافيا والتاريخ)، أو المواد العلمية، من الفيزياء والكيمياء والأحياء، أو الرياضيات: يدرِّسونها بالعامية أيضاً.

وبهذا نجــد الجو المدرسي العــام غير مساعد على حسن تعلُّم العربيــة واستيعابها، وممارستها في الحيــاة، وحسن قراءة لها إذا قــرأ، وحسن فهم لها إذا سمــع، وحسن كتابة لها إذا سمــع، وحسن كتابة لهــا إذا كتب، بحيث نجــد الطالب يخطئ في أبسط قواعد الإملاء، مثل متى تكتب الهمزة مفردة، أو على يــاء، أو على واو، إلى أخره. ناهيك بالألف المقصورة وقواعدها.

زحف المدارس المستقلة في قطر:

أُدخلت في سنة ٢٠٠٢م على نظام التعليم في قطر تجربة جديدة، مستــوردة من امريكا، طُبِّقت في بعض ولايات أمريكا، وليس في كلِّ ولاياتها. ولكنها دخلت -أو أُدخلت- على التعليم في قطر، تحوطها دعاية ضخمة، وإعلانات مدوِّية، شأنها شأن كل السلع الأمريكية.

هذه التجربة، هي ما سمِّي بـ(المدارس المستقلة)، التي تزاحم مدارســ وزارة التربية والتعليم. بل هي تأخذ تلاميذهــا كما تأخذ مبانيها وميزانياتها، وكلُّ مــا تحتاج إليه من الــوزارة، أو مــن الدولة، ولكنها تعطي لمن تمنحهم التراخيص حرية واسعة في الإدارة واختيار المناهج والمقرَّرات والمدرسين والتلاميذ.

ولهذه المدارس فلسفة واستراتيجية غير معلومة

بوضـــوح، إلا للذيـــن خطَّطو لها، وأوصـــوا بها، وهم مؤسسة (راند) المعروفة، والمكلَّفة بإعداد هذا النظام الجديـــد، لوراثة نظام تعليمي استمرَّ أكثر من خمسة عقود، أفـــرز فيها أسساً ومفاهيـــم، وقِيَماً وتقاليد، نُسفـــت بقرار سريـــع، ليحلَّ محلَّها بديـــل جديد، لا يعرف الناس فلسفته بجلاء وتفصيل يشفي الصدور، وتطمئنُّ به القلوب.

التعليم الجامعي:

وإذا انتقلنا إلى التعليم العالي أو الجامعي، نجد مشكلة التعليـــم باللهجات العامية لا تزال تصاحبنا، وإن كانـــت أخفَّ منها في التعليم العام، نظراً لارتفاع مستوى الأستاذ، واتساع أفقه وثقافته.

ولكن منذ سنوات، أمست اللغة العربية تشكو هنا مـــن مزاحمة اللغة الإنجليزية لها، بـــل مطاردتها لها، وهذه آفة طارئة في قطر، ولم تكن موجودة من قبل.

فقـــد نشأت جامعة قطر وهـي تعلِّم العلوم كلَّها: الفيزياء، والكيمياء، والأحيـــاء، والجيولوجيا وعلوم البحار، والرياضيات، وغيرها باللغة العربية، وكذلك علوم الإدارة والاقتصـــاد وعلوم الحاسب الآلي، كلُّها تدرس باللغة العربية، وتخرَّجـــت أجيال عدَّة خلال عدَّة عقود، كان فيهـــم متفوّقون. ومتفوِّقات، ومنهم من ابتعثته الجامعة إلى بريطانيا وأمريكا، وغيرهما، فأثبت جدارته.

ولكن الجامعـــة في الفترة الأخـــيرة عدلت عن اتجاهها القديم، وولَّت وجهها شطر الإنجليزية، وهو أمـــر رحَّب به قوم، وأنكره آخـــرون، وأنا منهم. حتى العلـــوم الإنسانية والاجتماعيـــة تدرِّس بالإنجليزية، حتى كليّة الشريعة يشترط لدخولها النجاح في اختبار (Toefl - طوفل).

لقد كانـــت كلية الهندسة هـــي الكلية الوحيدة -في جامعـــة قطـــر- التـــي تدرس مقرَّراتهـــا باللغة الإنجليزيـــة، ما عدا المتطلّبات الجامعية من الثقافة الإسلامية، واللغة العربية، وما عدا المواد الاختيارية، وكنـــا نحن المتمسِّكين بالعروبـــة والإسلام، نتمنَّى لو عدلت كليـــة الهندسة عـــن هذا الالتـــزام، ودرَّست موادهـــا بالعربية، كمـــا تفعل الكليـــات العلمية في جامعة دمشق، وكمـــا تلتزم بذلك كلُّ جامعات العالم، التي تدرِّس الطبَّ والهندسة والصيدلة وسائر العلوم الطبيعيـــة والرياضية بلغاتها القومية. حتى إسرائيل التـــي لا تزيد عن أربعة ملايـــين نسمة، تدرِّس ذلك كلَّه باللغة العبرية، التي كانت قد ماتت واندثرت من قرون وقرون، ثم أحيتها من موات.

فإذا بنا نفاجـــأ بقرارات تُلغي مـــا كان قائماً، وتفرضـــ الإنجليزية لغة تدرَّس بهـــا كلّ العلوم، وفي كلّ الكليات، ما عدا مقررات معينة في كلية الشريعة وقسم اللغة العربية.

وقـــد أُقيمت ندوة من قريـــب في الدوحة حول (اللغـــة والهُويَّة)، دعت إليهـــا وزارة الثقافة والفنون والتراث، وعلى رأس هـــذه الوزارة وزير هو من أبناء اللغـــة العربية، فهو خريج كلية اللغـــة العربية، ومن المعنيـــين بنشرهـــا وتأصيلهـــا والدفاع عنهـــا، وهو: الدكتور حمد عبد العزيز الكواري.

وكانت محاور هذه الندوة تدور حول:

١. وحدة اللغة والهوية... قضية أمة.
٢. لغة الغالب والمغلوب... تفاعل أم تغييب؟
٣. اللغة العربية وعصر المعلومات.
٤. اللغة العربية وطغيان الإنجليزية... تثاقف أم إزاحة؟
٥. دور مجامع اللغة العربية في التطوير والمواكبة واستحداث المفاهيم.

٦. إشكاليــات التعليــم بالإنجليزيــة في دول التعاون.

٧. أثر الإعلام على مكونات الهوية.

وقد تحدث في المحــور السادس عن إشكاليات التعليــم بالإنجليزية في (المدارس المستقلة) في قطر. ومزاحمــة الإنجليزيــة للعربيــة في تدريــس العلوم والرياضيــات والحاســب الآلي، وغيرها، تحدَّث في هذا المحور الأستاذ الدكتور عبد الله جمعة الكبيسي مدير الجامعــة الأسبق، وأستاذ أصول التربية، الذي انتقد قرار هيئة التعليم بهذا الصدد، وأعلن مخالفته لــه، وقد نوَّه بأن الحضــارة العربية غنية بمخزونها الثقــافي واللغوي والتاريخي، وهذه المكونات الحيوية للأمة شكَّلت هذا العمق والثراء.

وأن هذا التوجه الذي أوصت به مؤسسة (راند) الأمريكيــة المعروفة، لا يتســم في النهاية مع توجهنا القومــي والإسلامــي، ولا مع فلسفتنــا في الحياة، ونظرتنا إلى الوجود والإنســان. وأشار إلى مجموعة مــن الآثار السلبيــة الثقافية والتربويــة والوجدانية والسلوكية، للتدريس باللغة الأجنبية، ستتجلى آثارها بمرور الزمن، وتأصيل هذا النظام بفلسفته ومكوناته وأساليبه.

ونتســاءل: ما هــي المــبرِّرات الجوهرية التي دفعــت هيئــة التعليم إلى هــذا القــرار؟ وذكر عدّة مــبرّرات لمخالفته لهذا الاتجاه، وقد حدّدها في ستة أسبــاب. ويحســن بي أن أنقل هنا هــذه الفقرة من بحثه الذي تناول فيه سبــع قضايا هامة، أهمها في نظري: القضية الرابعة، وهي التي تتعلق بلغة التعليم وآثارها.

قال الدكتــور الكبيسي: (لاحظنــا أن المدارس المستقلــة) قد وُجِّهــت من قبل هيئــة التعليم بشكل مبالغ فيــه باعتماد اللغة الإنجليزيــة لتدريس مواد العلوم والرياضيَّات والحاسب الآلي.

هذا التوجُّــه أثار علامات استفهام كثيرة منها: أن النظــام التعليمي الجديد قد تخلَّى عن التدريس باللغة الرسمية التي نصَّ عليها الدستور، وقد ترتَّب علــى هــذا أن أصبحت اللغة العربيــة –وهي تمثل الوعاء الفكــري للمواطنين– لغة ثانيــة للتعلُّم، مما سيضعف الاعتزاز بها لدى الناشئة، وبالتالي يضعف إحســاس الانتمــاء لديهم لثقافة وطنهــم وتقاليده، ولتاريخ أمتهم العربية، وأمجادها وثقافتها وقضاياها القوميــة والإسلامية. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعــدّاه إلى مسألة خطيرة لابد مــن إثارتها، ألا وهي مطالبــة المدارس (من قبــل هيئة التعليــم) بتعيين أربعــة مدرسين في كلِّ مدرسة مــن المتحدِّثين باللغة الإنجليزيــة كلغــة أصليه لتدريس اللغــة الإنجليزية والعلــوم والرياضيات والحاســب الآلي، ومعنى هذه المطالبــة إزاحة عدد كبير مــن المدرسين والمدرِّسات من القطريين ومن غيرهم من العرب، لإحلال أجانب بــدلاً منهم من البريطانيين والأمريكيين وغيرهم من الجنسيات، التي تتحــدَّث شعوبها باللغة الإنجليزية كلغــة أصلية، هــذا الإجراء ستترتَّــب عليه عواقب خطيرة أخرى، تتمثّل في ظهور هيمنة ثقافية وصراع ثقافي في مدارسنا، يشطر وجدان التلاميذ، لأن تدريس المواد، بما فيهــا المواد العلمية، مشحــون بالعناصر الثقافية والسلوكية، والتربويُّــون يدركون مدى تأثير المدرســين في تشكيل سلوك التلاميذ وإعادة صياغة نمط قناعاتهم الفكرية والثقافية، التي تشكِّل نظرتهم لعادات مجتمعهم ومكوناته الثقافية.

هل فكــر أصحاب القــرار في النتائج الثقافية

الخطـيرة، التـي سيتعرَّض لها التلاميـذ والطلبة؟ وهــل فكَّر أصحاب القرار أيضاً في مصير القطريين والقطريات من المختصين في تدريس تلك المقرَّرات؟

وفي هذا السياق طرحنا سؤالاً: ما هي المبرِّرات الجوهرية للتدريـس باللغة الإنجليزيـة؟ لم نجد له إجابــة شافية، اللهــم إلا ما يردِّده بعضـ المنفِّذين لهذا النظــام، من أن اللغة الإنجليزيــة لغة العصر، وإتقــان التلاميذ لها يساعدهم على التعلُّم فيما بعد في الجامعــات الأجنبية، كما يتيــح لهم في المستقبل فرصــاً أكــبر للحصــول علــى عمــل في الشركات والمؤسسات الأخرى. إذا كان هذا التبرير هو السائد، فإننــا نتَّفق مع جزء منــه، وهو ضــرورة تعلُّم اللغة الإنجليزية بطريقة سليمــة عالية الكفاية، ولكننا لا نتَّفق على الإطلاق مع الاتجاه الحالي لتدريس العلوم والرياضيات والحاسب الآلي باللغة الإنجليزية، لعدة أسباب، منها:

١- أن اللغــة العربية لغة عريقــة في تاريخها، غنية بمفرداتها ومعانيها ومشتقَّاتها وبلاغتها، وهي من اللغات الخمســ المعتمدة في هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الرئيسية.

٢- أن جميع دول العــالم تحرص على أن تكون لغتها القوميــة هي اللغة السائــدة في مجال التعليم والتعلُّم في جميع مراحل التعليم العام.

٣- أن جميــع دول العالم لا تتخلَّى عن التدريس بلغتهــا القومية إلا تحت ظروف الاستعمار القاهرة، فكيــف ببلدنا -وهــو دولــة مستقلَّــة ذات سيادة، وجزء من العــالم العربي، ولغتــه الرسمية هي اللغة العربيــة، كما نصَّ عليها الدستور -يقع في مثل هذا التناقض؟!

٤- أن مدخــلات التعليم الجيــد معروفة مثل المعلــم الكفــي، ومحتــوى المناهج المتطــوِّرة، وطرق التعليم الحديثة، والإدارة المدرسية الفعَّالة، والفصول الدراسية التي لا يتعدَّى التلاميذ فيها (٢٥) تلميذاً، والبيئة المدرسية التي تسود فيها العلاقات الإنسانية، التــي تساعد علــى نمو روح التفاعــل الإيجابي بين المجتمــع المدرســي داخــل المدرسة، ممــا يُعلي من دافعية الإنجاز عند المعلمين والمتعلِّمين، هذه المداخل التربويــة تجمع عليهــا أدبيات التربيــة، ولا يتوقَّف النجاح فيها علــى التدريس بلغة أجنبية تخالف لغة الأمم والشعــوب القومية، التي تعمــل على إصلاح أنظمتهــا التعليمية، لأن الحقائق العلمية تؤكِّد أنه لا يوجد ارتباط بــين التدريس باللغة الإنجليزية، وبين عملية إصلاح التعليم والتقدُّم العلمي.

٥- تدريس العلــوم والرياضيات والحاسب الآلي باللغــة الإنجليزية ستكون له عواقب سلبية على قدرة التلاميذ على استيعاب وفهــم الحقائق العلمية لمواد العلــوم، والعمليات الرياضية، وبرامج الحاسب الآلي، لأن فهم تلك الحقائــق يمرُّ بمرحلتين: الأولى: تعتمد علــى تمكُّن الدارس من فهم اللغــة الإنجليزية بشكل يمكنه من الإدراك السليم للحقائق العلمية. والأخرى: قــدرة التلميذ على فهم وإدراك متطلَّبات مادة العلوم والرياضيات والحاسب الآلي، فإذا كان ضعيفاً في الأولى فإنه سيكون ضعيفاً في الأخرى بالضرورة. وإذا أخذنا في الاعتبــار أن اللغة الإنجليزية لغــة أجنبية يتعلَّمها التلاميــذ في المدارس، ولا يتعاملــون بها في حياتهم اليومية، فإن المحذور الذي ذكرنا يظلُّ قائماً.

٦- أن التعليــم باللغــة العربيــة لجميع المواد، فضلاً عن كون اللغــة العربية من الثوابت الأساسية للمجتمع، سيسهم بشكل فعّال في سرعة فهم متطلّبات المواد الدراسية وإدراكها؛ لأن اللغة العربي تزداد ثراء بتفاعلها مع تعلُّم المواد الأخرى.

انتشار المدارس الأجنبية:

ومما يهدِّد اللغــة العربية في عقر دارنا: وجود المدارس الأجنبيــة، بل انتشارها واجتــذاب أفضل التلاميذ إليها، من أبناء الطبقة العليا والوسطى.

وهـــذه المدارس أشـــدُّ خطراً، وأبعـــد أثراً، من (المدارس المستقلة) التي تحدَّثنا عنها، فهذه المستقلة تظلُّ تابعة للدولة، وللمجلس الأعلى للتعليم، أو لهيئة التعليــم، والمفترض في هؤلاء ألا يفرطــوا في اللغة العربية، التي هي اللغــة الرسمية، والتي هي موطن الاعتزاز لكل قطري.

ولكن المدارســ الأجنبية -بحكم تكوينها- تتبع جهة أخــرى لا صلة لها بالوطــن، ولا بالمجتمع، ولا بدينه، ولا هُويَّته، ولا ثقافته وحضارته وتاريخه.

ولهذا يعيش الطلاب فيها، بعقول أخرى، وقلوب أخرى، وضمائــر أخرى، لا يكادون يحسُّون بالانتماء الحقيقي لأوطانهم، أو يعتزُّون بأمَّتهم، أو تاريخهم، أو هويتهم، فهم في الحقيقة لا يدرسون هذا التاريخ، بل يدرسون تاريخ أمة أخرى، وحضارة أخرى. يدرسون تاريخ بريطانيا، وحضارة الشعب البريطاني.

ومما يُؤسَف له: أن ترى الطالب أو الطالبة ممن ينتمون إلى هذه المدارس، يعيش غريباً في وطنه، لأنه لا يستطيع أن يقرأ صحائفه اليومية، ولا يستطيع أن يفهم البرامــج التي تقدَّم من تلفزيونه، ولا يمكنه أن يتجاوب مع خطبة جمعــة، أو محاضرة يحضرها أو تنقل إليه، إذا كانت باللغة العربية، ولا يمكن أن يفتح المصحف ويتلو بعض سوره.

إن هذا ولا شك خطر كبير على أولادنا وفلذات أكبادنا، الذي نفقدهــم بإرادتنا وهم يعيشون بيننا، ولكن يعيشون بأجسامهم لا بعقولهم وقلوبهم.

صحيح أن بعض الأسر تحاول أن تتدارك بعض الآفــات، بمدرسين خصوصيــين لأولادهم يعلّمونهم بعضــ دروس الدين وتــلاوة القــرآن، ويقوونهم في العربية، ونحو ذلــك، ولكن هذا كلّه لون من الترقيع الجزئــي، لا يغني ولا يدفع الخطــر الكلي، وإن كان يخفِّــف من بعض الآثار السلبيــة، على حسب إرادة التلميذ ومدى ميله إلى التعلم والاستفادة، حتى يلحق بقومه، ولا يظلُّ منفصلاً كلَّ الانفصال عنهم.

اللغة والحياة العامة:

وأمــا استخدام اللغة في الحياة، فنجد أن اللغة هنــا في قطر والخليج مبتلاة بما ابتُليت به في سائر البلاد العربية، وهو مزاحمة العامية، ومزاحمة اللغة الأجنبية، وهي هنا الإنكليزية.

ولكــن العاميــة في قطــر والخليــج تزيد على العاميــة في مصر وغيرها من البلاد العربية بظاهرة مــا يسمُّونه (الشعر النبطي)، وهــو شعر له انتشاره الواسع، وله هواته ومستمعــوه، وله بحوره وقوافيه، وهــو أشبه بالزجــل في البلاد الأخــرى، ولكن هذا الشعــر له خصائصه ومجالســه وجمهوره، أكثر مما للشعر العادي والفصيح.

وقد أذاع تليفزيــون أبو ظبي في الفترة الأخيرة برنامجاً، أطلق عليه (شاعر المليون)، وكان عليه إقبال منقطع النظير، وكاد يُحْدِث فتنة بين القبائل في بلاد الخليــج؛ لأن كل قبيلة تنتصر لشاعرها، وتفخر على غيرهــا، وتحطُّ مــن القبائل الأخــرى، وكلُّه بالشعر النبطي، حتى أصدر مفتي المملكة العربية السعودية فتوى بتحريم المسابقــات الشعرية في هذا الموضوع، سدّاً للذريعة.

والعامية القطريــة هنا لها قواعدها في النطق والأداء والتصريف، فخطاب الأنثى في الخليج يتميّز عن خطاب الذكر، فإذا قلــت لرجل أبوك، أو أمك،

أو ابنــك، أو بنتك، فــكاف الخطاب هناك كاف غير خالصة، بل مشوبة بين الطاء والشين.

والقاف هنا تنطق على عدّة أوجه، أحياناً تنطق قافاً كما هي في مواضع قليلة.

وأحيانــاً تنطق (جيماً) معطّشــة، مثل (قاسم) تنطــق (جاسم) بالجيم العربيــة المعطشة، حتى ظنّ بعضهم أنها جيــم أصلية وناقشتهم في هذا، وأيدني بعضهــم -بأن أصلها قاف- بأنهــم يكنُّون من اسمه محمــد: أبــو جاســم، على كنيــة رســول الله (أبو القاسم).

وأحيانــاً تنطق بالجيم القاهرية، غير المعطَّشة، مثل أجول ما جال الأجدمون: الرفيج جبل الطريج. أي: أقول ما قال الأقدمون: الرفيق قبل الطريق.

وأحياناً تنطــق غيناً، فيُقال لمــن اسمه: (عبد القادر): (عبد الغادر)، ولـ(ليلة القدر): (ليلة الغدر). ومــن اللطائــف: أن عامة الناس حــين يتلون سورة النجم، يقرؤونه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ (النجم: ٤٨)، ينطقونها: وأنه هو أقنى وأغنى.

وأحياناً يشتبــه عليك المراد لعدم القرينة، مثل قولهم: فلان غريــب بالنسبة لي. ولا تدري: هل هو غريــب من الغربة، أو من الغربة، على ظاهر اللفظ. أو المقصود أنه (قريب) منه.

ومــن ذلك: قلب الجيــم ياء، فالدجــاج ينطق (دياي)، والرجَّال: (ريَّــال)، والسجاجيد: (سياييد)، وهكذا.

ومن اللطائــف أن تلميذة سُجِّلــت في المدرسة باسم: نائلة، وأخذت شهاداتها الابتدائية والإعدادية والثانوية باسم نائلة، ثم استخرجت جواز سفر، فكان اسمهــا فيه (نجلاء)! وذلــك أن البنت حينما ذهبت وهي طفلة إلى المدرسة وسألوها عن اسمها، أو سألوا والدها، أو أخاها، قيل: اسمها نَيْلَة. أي نجلاء، قلبت الجيم يــاء، ولكن سكرتيرة المدرســة لم تكن قطرية، فسجّلتها، كمــا سمعتها، فكتبت بالعربيــة: نايلة أو نائلــة. ولما ذهبت أو ذهب أبوهــا لاستخراج الجواز لها، وسئل عن اسمها. فقــال: نَيْلَة ورجل الجوازات قطري، فكتب: نجلاء، فأصبح اسمها في الجواز غير اسمها في الشهادات!!

وحتــى العاميــة القطرية، أصبحــت تزاحمها عاميات أخرى مســتوردة من الخارج وخصوصاً من البلاد الأسيويــة، نظراً لكثرة العمالــة الأسيوية في قطــر، وقد ازدادت في السنــوات الأخيرة، مع النمو المتزايد السريع في النهضة العمرانية.

وهذه اللهجات الآسيوية لم تعُد تهدِّد العربية في السوق ومجالات العمل فقط، بل حتى داخل البيوت، فتجــد في البيت الواحــد أكثر من شخصــص أجنبي يعملــون في المنــزل، ما بين سائق وناطــور وجنايني وطبَّــاخ وخادمة ومربِّية. وكثــيراً ما يكونون من عدّة جنسيات، ويتكلَّمون عــدّة لغات، وهؤلاء -خصوصاً الخادمات والمربيّات- هم الذين يختلطون بالأطفال في سنِّ التأثُّــر والتلقِّي، ويكلِّمونهــم بلغاتهم، فينشأ الطفــل بعيداً عن لغة أمه العربيــة، التي قلَّما تَفَرُّغ لــه، وكذلك أبــوه المشغول بعمله وتجارتــه أو مهنته وأصدقائه.

وفي هذا خطــر عظيم على الأجيــال الناشئة طالما نبه عليه الغيورون.

والأعجب من ذلك: أن هذه اللهجات الوافدة لم يعُــد يقتصر تأثيرها على الأطفال في سن الصبا، بل أصبح يؤثر في الكبار أنفسهم، فنسمع بعضهم يقول: أريــد خمسة نفر. لا أنفار أو: أنّــا (يسوَّى) كذا. لا، أنــا أسوِّي. أنت (يشتري) كــذا. كلُّه بضمير الغائب،

يقلّد رب البيت أو ربّـة البيت، أو ربُّ العمل الخادم الآسيوي الذي يعمل عنده!

ومثل هذه العبارات كثيرة، وللأسف أصبح الناس يستعملون هذه الأساليب الأعجمية ولا يستنكرونها.

دوري في نصرة اللغة العربية في قطر:

منذ قدمتُ إلى قطر سنـة ١٩٦١، لأتولَّى إدارة المعهـد الديني الثانوي، وأنا معني بأمر اللغة عنايتي بأمر الدين.

فقد تعلَّمنا من شيوخنـا ومن تراثنا: أن العلوم اللغوية جزء من العلـوم الشرعية، ولكنهم يسمونها: العلـوم الآلية. أي هي آلة لفهم القـرآن والسنة، أي لفهم العقيدة والشريعة، أو أصول الدين وفروعه.

ولقد كانـت عناية الأزهر ومعاهـده -عندما كنـا طلاباً- باللغة العربية لا تقلُّ عن عنايته بالعلوم الشرعية، من الفقه والتوحيـد والتفسير والحديث. حتـى إننا في المعاهد الأزهريـة درسنا النحو كاملاً ست مرّات في كتب أساسيـة، هي: شرح الأجرُّومية، ثم شرح الأزهرية، ثم شرح قطر الندى، ثم شرح شذور الذهب، ثم شرح ابن عقيل على الألفية، ثم شرح ابن هشـام عليها في أوضح المسالـك. ثم درسنا البلاغة مرتين، ودرسنا الأدب في عصوره المختلفة من عصر الجاهليـة إلى العصر الحديث شعراً ونثراً، ولا يوجد عـالم متمكِّن في الشرع وعلومـه، إلا وهو متمكِّن في اللغة وعلومها. ولقد أجمع الأصوليون والفقهاء على أن الرسوخ في علم العربية: شرط أساسي لبلوغ مرتبة الاجتهاد.

ومباحث الأصوليـين اللغوية مباحث عميقة لا تخفى علـى دارس، ولا يستغنى عنها باحث في اللغة ودلالاتها.

ولهذا لا عجب أن أهتمّ باللغة من أول يوم وصلتُ فيه قطر، فبدأت بتيسير تعلُّم النحو البلاغة، فقرّرت كتب الأستاذ على الجارم وزميله في (النحو الواضح، وكذلك البلاغة الواضحة)، وكتاب (شذا العرف في فن الصرف)، لعنايتها بالأمثلة والتطبيقات، والاستشهاد بأبيـات من الشعـر، وكلمات من النـثر، تربِّي الملكة الأدبيـة عند الطالـب، وتساعده علـى التذوّق بدل الأمثلة التقليدية: ضرب زيد عمرا، ونحوها.

واقترحت عمـل مسابقات للطلبـة في المعهد، في الخطابة والكتابة، تكـرِّم فيها الأوائل، وتمنحهم هدايا رمزية، وإن كان العجب أن معظم الذين فازوا بالترتيـب الأول كانـوا من الطلاب الهنـود، الذين تعلَّموا في مدارس عربية، فأتقنوا العربية كأهلها، بل فاقوا أهلها.

واقترحـتُ طريقـة المطارحـات الشعرية، بين طالبين أو فريقين من الطلاب، يُلقي أحدهما البيت من الشعر، ويـردُّ عليه الآخر ببيت يكون أوله حرف قافية البيت الأول.

فإذا قال الأول بيت أبي العلاء:

أرى الـعـنـقـاء تـكـبر أن تـصـادا
تـعـانـد مَـن تـطـيـق لـه عـنـادا

ردَّ عليه الآخر ببيت شوقي:

دقـات قـلـب المـرء قـائـلـة لـه
إن الحـيـاة دقـائـق وثـوان

وهكذا

وقـد انتشرت هـذه الطريقـة، وقلَّدتها بعض المدارس، واضطرَّت الطلاب أن يزيدوا رصيدهم من حفـظ الشعر، وخصوصاً القوافي الصعبة، مثل الثاء والشين والصاد والضاد والطاء والغين، ونحوها.

فترى طالباً يحفظ قصيدة الحريري:

سامح أخاك إذا خلط
معه الإصابة بالغَلط
وتجافَ عن تعنيفه
إن زاغ يوماً أو قسط
واحفظ صنيعك عنده
شكر الصنيعة أو غمط
وأطعه إن عاصي، وهُنّ
إن عزَّ، وادن إذا شحط
مَن ذا الذي ما ساء قـ
ـطُّ ومن له الحسنى فقط؟

وقول الشاعر:

أخوك الذي إن تدعه لمُلمَّة
وإن تجفه يوماً فليس مكافئا
يجبك كما تبغي ويكفيك مَن يبغي
فيطمع ذو البهتان والإفك أن يصغي

كما دعوتُ لإقامة ندوات شعرية في المعهد الديني، الذي كنتُ أُديره، بمناسبات مختلفة، دينية ووطنية، يتبارى فيها الشعراء بإنشاء القصائد الرائعة التي لم يكونوا يجدون مجالاً لإلقائها وإظهارها للناس، وكانت هذه الندوات تقام لأول مرة في قطر.

وكان من النشاط الثقافي للمعهد الديني: إصدار مجلّة سنوية، يشترك فيها الأساتذة والطلاب، سمّيت (مجلة الحق) كان فيها باب دائم لتصحيح الأخطاء اللغوية الشائعة بعنوان: قُل ولا تقُل.

وكانت المجلة تختار في كلِّ عدد قصيدة من روائع الشعر، لتنشرها على صفحاتها، ليحفظها الطلاب ويتغنّوا بها، من القديم أو الحديث. أذكر منها رائعة هاشم الرفاعي رحمه الله: رسالة في ليلة التنفيذ، التي كتبها على لسان سجين سياسي حكم عليه الطغاة بالإعدام، وفي ليلة تنفيذ الإعدام كتب إلى أبيه رسالة، جاء فيها:

أنا لست أدري هل ستذكر قصتي
أو سوف يعروها دجى النسيان؟
أو أنني سأكون في تاريخنا
متآمراً أم هادم الأوثان؟
كل الذي أدريه أن تجرعي
كأس المذلة ليس في إمكاني
أهوى الحياة عزيزة، لا قيد، لا
إرهاب، لا استخفاف بالإنسان
فإذا سقطتُ سقطتُ أحمل عزَّتي
يجري دم الأحرار في شرياني

وقد خرَّج المعهد الديني الثانوي في قطر دفعات كانت طليعة في بلادها، سواء في دولة قطر، أم دولة الإمارات، حتى كانت إحدى حكومات قطر، تضمُّ في وقت واحد، أربعة وزراء من خريجي المعهد الديني، بالإضافة إلى عدد من سفراء قطر في عدد من الأقطار.

وكذلك كان في الإمارات، عدد من الوزراء، وعدد من القيادات في عدد من الدوائر والمصالح الحكومية.

وعندما أُنشئت كليتا التربية للبنين والبنات سنة ١٩٧٣م، نواة لجامعة قطر، التي صدر قرار بإنشائها سنة ١٩٧٧م، وبدأت بأربعة كليات، إحداها كلية الشريعة، عُينت رئيساً لقسم الدراسات الإسلامية، في كليتي التربية، ثم عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وأمضيت في العمادة اثنتي عشرة سنة، وأربعاً أخرى في رئاسة قسم الدراسات الإسلامية، وكنتُ مع العمادة أقوم بتدريس بعض المقرَّرات.

وفي أول الأمر كنت أدرِّس لطلاب وطالبات الدراسات الإسلامية، واللغة العربية، وكان بيني وبين رئيس قسم اللغة العربية الزميل الكريم الأديب

الشاعــر الأستاذ الدكتور ماهــر حسن فهمي رحمه اللّه، تنسيــق وتعــاون، علــى ربط اللغــة بالشريعة، والشريعة باللغة.

وكان موافقاً لنا تماماً صديقنا الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم كاظــم عميد كليتي التربية، ثم مدير جامعة قطر، الذي كان متحمّساً للغة العربية، رحمه اللّه.

وكذلــك لم أنسَ الدفاع يوماً عن العربية، عندما عُينتُ عضواً بالمجلس الأعلى للتربية في قطر، الذي يضمُّ ممثلين عن وزارة التربية والتعليم، وممثلين عن الجامعة، وكان يرأسه وزير التربية، وينوب عنه مدير الجامعة.

وفي المحيــط الشعبي العام، كنــتُ أدعو دائماً إلى غرســ حبِّ اللغة العربية في قلوب الشعب بصفة عامة، لمقاومة اللغة الإنكليزية، التي تزحف في مجال الشــركات والمؤسسات، ومقاومة اللهجة العامية التي تُزاحم الفصحى حتى في قلب المدرسة والجامعة.

وكم حــذّرت مــن انتشــار اللغــات الآسيوية، واللهجــات المختلفة في البيــوت وغلبتها على الأسر والأطفال في سنِّ التأثُّر والالتقاط، وقد وضَّحت ذلك في برنامجي (الشريعــة والحياة) أكثر من مرة، وقبله في برنامج (هدي الإسلام)، وكذل في خطب الجمعة، التــي غدت تذاع من فضائية قطر، وأحياناً أكتب في الصحف، كما نشرتُ بحث (الأخطاء اللغوية الشائعة بين الإعلاميين والمثقفين).

خاتمـــــــــة

وفي الختام لابد من قول كلمة في قضية الشكوى مما يهدّده اللغة، وهذه الكلمة تتمثّل فيما يأتي:

أولاً: إن اللغــة العربيــة ستظلُّ حيّــة قوية ما دامــت مسنودة بالقرآن، ومــا دام الألوف يحرصون على حفظ هذا الكتاب العظيم، والتعبُّد بتلاوته، من رجال ونساء، وكبار وصغار.

ثانياً: إن جميع الفئات في المجتمع تشعر بأهمية اللغــة العربية، وأنهــا –مع دينهم الــذي يأمنون به ويعتصمون بحبله– أساســ هُويَّتهم، ومحور مجدهم وعزَّتهم، ولسان حضارتهم.

ثالثاً :إن الجميع يشعر بضرورة عمل شيء للإبقاء على مكانــة العربية، لغة للدولــة وللشعب، وللعبادة وللثقافة، على أن تتعاون في ذلك كلّ الجهات المشرفة على تعليم الأمــة وتثقيفها مــن وزارات ومؤسسات تتعلّق بالتربية والتعليم، والثقافة والإعلام.

رابعاً: لابد من قــرار سياسي يقلل من استيراد العمالة الأجنبيــة، وتوسيع دائــرة العمالة العربية، للحفاظ على عروبة المجتمــع، وحماية لأطفاله من زحف العجمة على لسانه.

خامساً: ينبغي إعادة النظر في مسألة التدريس بالإنجليزيــة في المدارســ المستقلــة، وفي كل كليات الجامعة، والاستماع إلى تقاريــر الخبراء، ودراسات المختصّين، محاولة للخروج من هذا المأزق.

سادســاً: على مجامع اللغــة العربية في الوطن العربــي، وكلّ علماء اللغة وكلياتها وأقسامها، السعي إلى تيسير تعليم اللغة، وخصوصاً للناشئين، وتحبيبها إليهم، والاستفادة من التجارب الناجعة في ذلك.

وإذا صدق العزم وضح الطريق.

وآخر دعوانا أن: الحمد للّه رب العالمين.

حاضر اللغة العربية في فلسطين



د. صادق أبو سليمان

الأستاذ في جامعة غزة بفلسطين

تمهيد:

من البدهي القول بأن اللغة تشكل وسيلة اتصال الأفراد والمجتمعات ببعضها، وإنها إحدى نعَم الله لبَني البَشَر التي لا يمكنُ الاستغناءُ عنها البتة، وهي ترتبط بأصحابها ارتباطاً وثيقاً فتعبّر عن أحوالهم في مختلِف المجالات؛ لذا فإن العارفين من أبناء أية أمة يسعَون دوماً إلى المحافظة على لغتهم التي تميّز مجتمعهم، وينشطون في تثبيت كل ما من شأنه تمكينها في ألسنة أفرادها وعقولهم؛ لأنها تُشكّل رابطة العَقْد لهم ماضياً وحاضراً ومستقبلاً وبدونها يكونُ انفراطُهم وتَشَتُّتهم فضياعُهم.

ونرى آخرين لا يهجعون ولا يكلّونَ في البحث عن أماكنَ جديدةٍ لينشروا لغة بلدهم فيها؛ فنشرُ اللغة في غيرِ مواطنها يُشكّلُ عاملاً مُهمّاً في خَلْق علاقات جديدة، وكَسْبِ أتباعٍ أو أنصارٍ جُدُد؛ الأمرُ الذي يَصُبُّ –بلا ريبٍ– في توسيعِ دوائرِ هيمنةِ أصحابِ اللغةِ المنتشرةِ في غيرهم.

ونرغبُ في هذهِ الدراسةِ الوقوفَ عندَ حاضرِ اللغةِ العربيةِ في فلسطين، ولاسيما المشكلاتِ التي تواجهها؛ بغيةَ تحسسِ الوسائلِ التي ننفذ من خلالها للتخلُّصِ من آثارِها، والنهوض بمستوى لغتنا في مجتمعنا الفلسطيني.

مدخل:

فلسطينُ جزءٌ لا يتجزَّأُ من الوطنِ العربيِّ، ولها روابطُ مَتينةٌ مع أقطارِه كافةً مِنَ المحيط إلى الخليج؛ الأمرُ الذي تَكْشِفُ عنه قرابةُ العِرْقِ أو النَّسَبِ بين عائلاتٍ كثيرةٍ في فلسطينَ وأخرى في أرجاءِ الوطنِ العربيِّ منذُ قرونٍ بعيدة؛ فليسَ مِنْ شَكٍّ في عُروبَةِ فلسطينَ أرضاً وشعباً وتراثاً وتاريخاً.

وكانَ لموقعِ فلسطينَ المتميزِ الواصلِ بين قارتي آسيا وأفريقيا –اللتين يُشكِّلُ العَرَبُ جزءاً كبيراً في بُنيتِهما السُّكّانيةِ والإقليمية– أثرُهُ الكبيرُ في جَعْلِها مِنْ أَهَمِّ الرَّوابطِ الجُغرافيَّةِ الطبيعيةِ بصفةٍ عامة؛ وَجَعْلَها من أهمِّ بَوّاباتِ الوَصْلِ بينَ أبناءِ العروبة؛ الأمرُ الذي هَيَّأَ لأهلِها معهم تَواصلاً مستمرّاً

معهم، وتفاعُلاً واضحاً في مختلفِ المجالات.

وإذا كان الوطنُ العربيُّ قد تَعَرَّضَ في تاريخه لانكساراتٍ أَخْضَعَتْهُ أو أُخضعَتْ أجزاءً منهُ للاحتلالِ الغريبِ فإنَّ فلسطينَ قد خَضَعَتْ مِثْلَهُ لهذا الاحتلال، ولكنها ابتليَت في النهاية باحتلالٍ استيطانيٍّ طَرَدَ أكثرَ الفلسطينيينَ من بلدهم، وسيطرَ على أكثرِ أراضيهم، وما تزال فلسطينُ خاضعة لسيطرتِه ولقضمه لأراضيها؛ الأمرُ الذي انعكس سَلْباً على استقرارِ أهلِها.

نتج عن هذا الاحتلال تشتيت الشعب الفلسطيني وتقسيمهُ إلى قسمين، وذلك على النحو التالي:

١- السُّكانُ الباقونَ في أراضيهم:

ينقسم هؤلاءِ السكّانُ إلى فئتين:

أ- فئةٌ ظلَّ هواؤها عربياً، تعيشُ في أراضيها في الضفةِ الفلسطينيةِ وقطاعِ غزة، وأُطلِقَ على أهلِ هذه الفئةِ مصطلح "المواطنين".

ب- فئةٌ بَقِيَتْ متمترسةً في الأرضِ الفلسطينية التي سيطرَ عليها الإسرائيليون بعد النكبة منذ حربِ عام ١٩٤٨م، وكانت تُعرفُ باسم "فلسطين المحتلة"، وهي التي حُدِّدت بخطِّ الهدنة منذ ١٩٤٨م، وعُرِفَ هذا الخطُّ بعد احتلالِ بقية الأراضي الفلسطينيةِ بعد نكسة حزيران في سنة ١٩٦٧م بمصطلح "الخط الأخضر".

تمسكت هذه الفئةُ المناضلةُ بالعيشِ في فلسطينَ المحتلةِ رَغْمَ ما أصابها من جَوْرِ سياسة التمييزِ العنصري، وظلت صامدةً باقيةً في ظلِّ الحكم الإسرائيليِّ الذي أذاقها كؤوس المرارة، وصادَرَ كثيراً من أراضيها.

وتُعْرَفُ هذه الفئةُ اصطلاحاً باسم "عرب الدّاخِل" و"الوسط العَربي" و"عرب الثماني والأربعين"[(١)]؛ وذلك نسبةً إلى الأراضي التي سيطر الإسرائيليون عليها بعد نكبة ١٩٤٨م التي كان لها أثرها في ترحيل أكثرِ الفلسطينيين عن ديارهم، ويطلق عليهم أيضاً "فلسطينيو الداخل" و"فلسطينيو ٤٨"، ويُطلِقُ العوامُ عليهم أيضاً مصطلح "عرب إسرائيل"[(٢)]؛ لكونهم عاشوا قَهْراً منفردينَ في إطارِ السيطرة الإسرائيلية المباشرة،

(١) وإذا كان لنا من إشارةٍ لغوية في هذا المقام فإنها تتصل بدلالة كلمة «عرب» أو «عربي»؛ اللتين استعملتا في فترة الانتداب البريطانيّ بمعنى خاص؛ فكلمة «عرب» تعني «الفلسطينيين»، ومن ثمَّ فإن كلمة، «عربي» -هنا- تعني «فلسطيني»، وذلك للتمييز بين الفلسطينيين واليهود الذين عاشوا في فلسطين، وللتعبير عن تَشبُّث الفلسطينيّ بعروبته الخالصة، أو إنْ شئتَ فقل: بانتمائه القوميّ؛ لذا فإنّ نسبة الفلسطينيين -آنذاك مؤتمراتهم أو مؤسساتهم أو غيرها إلى «العرب» تقع في حدودِ المعنى الخاص، وإن دُلَّ عليه بلفظٍ عامّ، وعلى هذا فإنّ مصطلح «عرب» و«عربي» يقفانِ في هذا السياقِ مُضادَّين لمصطلحَي «يهود» و«يهودي»، وإنّ كلمة «العرب» في قولهم: مؤتمر العمال العرب»، أو «اتحاد الطلاب العرب» أو «مجلة اتحاد الكُتَّاب العَرب» تعني «الفلسطينيين»، وما يزال هذا المعنى ذائعاً في داخل فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨م للتمييز بينهم وبين الإسرائيليين، أما في قطاع غزة والضفة اللتين أقيمت على أراضيهما السلطة الوطنية الفلسطينية فتذيع النسبة إلى فلسطين؛ فيقال: «الفلسطيني» و«الفلسطينيون» و«الفلسطينية».

وكذلك فإن لكلمة «عرب» في استعمال الآباء والأجداد معنىً آخر؛ فقد كانت تعني عندهم «البَدوّ»، ويبدو أنّ هذا الاستعمال قد أمسى في الجيل الحاضر على شَفا حفرة من الانقراض، إنْ لم يكن قد انقرضَ فِعْلاً، وبقي استعمال كلمة «البدو» و«البدوي».

(٢) يكرهُ أهلُ فلسطين الصامدونَ في أراضيهم منذ نكبة ١٩٤٨م هذه التسمية؛ لارتباطها باسمِ المُحتل، ويُصِرّونَ على عروبتهم وفلسطينيتهم القُحّة».

وأكثرُ هـؤلاءِ مـن المسلمين، والباقي مـن الدروز والمسيحيين.

٢- المُهَجَّرون:

ويُعرَفـونَ بلقـب "المهاجريـن"(٣)، واصطُلِحَ عليهـم أيضـاً بمصطَلَح "اللاجئـين، وهم الذين تركوا ممتلكاتهم بعد ترحيلهـم عنها نتيجة لنكبة ١٩٤٨م، وسكـنَ جزءٌ منهـم مع بنـي جِلْدَتِهِمْ في الضفة الفلسطينيةِ التي ضُمّت إلى المملكة الأردنية الهاشمية، وقطـاعِ غزة الذي ارتبط إدارياً بمصر، وسكنَ جزءٌ ثانٍ في الأقطار العربيةِ، ولاسيما الأردن ولبنان وسوريا ومصر والعراق، وتشرّدَ جزءٌ ثالثٌ في بلادٍ غير عربية.

وبعد نكسة ١٩٦٧م وسيطرةِ الإسرائيليينَ على الضفـةِ وغزةَ وأراضٍ عربيةٍ أخـرى نزحَ جزءٌ من الفلسطينيين -المواطنـين والمهاجرين- إلى البلادِ العربيـةِ المجاورة وغيرها من بلـدان العالم، وأُطلِقَ على هؤلاء مصطلّحَ "النازِحين".

وإذا كانت نكسةُ حزيران في ١٩٦٧م قد أحكمت السيطرة الإسرائيلية على فلسطينَ كلِّها فقد كانَ لها أثرٌ في إعادة التواصل بينَ الفلسطينيين الصامدين في حدودِ أراضي ٤٨، والضفة وقطاع غزة.

استمـرَّ الوضـعُ على هذا الحـال حتى قيام السلطةِ الوطنية الفلسطينية في أجزاءٍ من أراضي الضفة وقطاع غزة؛ لتعيشـ مرحلةً انتقاليةً تكونُ فيهـا سلطةَ حكـمٍ ذاتيٍّ مقيّدةً بهيمنـةِ الاحتلالِ حتى عقـدِ اتفاقٍ تقومُ على أثـرِهِ دولةٌ فلسطينيةٌ مستقلةٌ.

وأيّـاً يكن وضعُ هـذه السلطةِ فقـد كان لها أثرُها في إحياءِ الشعـبِ الفلسطينيِّ على جزءٍ من أراضيـهِ، وعـودة كثيرٍ من الفلسطينيـينَ المشتتينَ إليه، والتخفيف -قَدْرَ الإمكان- من معاناة شعبها، واستثمـارِ طاقاتِهِ وإمكاناتِـهِ؛ وتوجيه المساعداتِ العربيـةِ والدوليةِ التي تأتيهـا في مشاريع التنمية والتطوير.

الواقـع العـام للغـة العربيـة الفصيحـة في فلسطين:

هناك فرق بين لغة الشـارع واللغة الرسمية؛ والقـول بوجود ازدواجيةٍ لغويـةٍ لا تكادُ تخلو منهُ أمةٌ حيـةٌ، ولغة الشعب الفلسطينـيِّ التي ستوجزُ السطـورُ التاليةُ الحديثَ عنهـا لا تخرجُ عن هذا القانون اللغـويِّ العام؛ فهناك لغةٌ بل لغاتٌ للشارعِ الفلسطينـيِّ، وهي ما يصطلح عليهـا "العامية"، وهنـاك اللغةُ الرسمية، وهـي المعروفةُ في الوطنِ العربـيِّ، ومنـه فلسطين باسـم "اللغـةِ العربية الفصحـى" أو "الفصيحة"، وهي اللغةُ التي ستفصِّلُ الدراسةُ الحديثَ فيها.

١- اللغة العربية الفصيحة:

نصَّ الدستورُ الفلسطينيُّ -كغيره من الدساتيرِ العربية- على أنْ تكونَ اللغةُ العربيةُ هي لغةُ الشعب العربيِّ الفلسطينيِّ، وأن تكـونَ العربيةُ الفصيحةُ لغةَ القراءةِ والكتابةِ في البلاد.

وإنَّ المُطَّلِـعَ علـى لغـةِ الشعـبِ الفلسطينيِّ

(٣) المُهاجر: هـو المصطلح الأكثرُ ذيوعاً، وينطقـه العَوامُ هكذا: «مْهاجـر»، وهو اسم فاعل مشتق مـن الفعل (هاجر)، وقد لا يعـبِّرُ في هذه الصيغـة عن حالة التهجير القسـريّ الذي وقع علـى الفلسطينيين؛ لذا فإنّ كثيراً مـن المدققين ينحازون إلى صيغـة اسم المفعول، فيذكرون مصطلح «المُهَجَّرين» المشتق من الفعل المبني لما لم يُسمَّ فاعله (هُجِّر) للدلالةِ على حالة التهجير القسري.

يلحَظُ أنّهُ يَستعملُ الفصيحةَ في المجالاتِ الرسميةِ كالوزاراتِ والدوائرِ الحكوميةِ والإعلامِ والمراسلاتِ بصفةٍ عامة، والخطبِ الدينيةِ والسياسيةِ وغيرِها، ونشراتِ الأخبارِ والبرامجِ الثقافية؛ فهذه المجالاتُ تُستعملُ فيها اللغةُ الفصيحة، كما لا يجدُ منشوراتٍ صحفيةً أو ثقافيةً أو إرشاداتٍ صحيةً أو غيرَها تصدرُ بغيرِ هذا المستوى من اللغة.

واللغةُ العربيةُ الفصيحةُ هيَ لغةُ التدريسِ في جميعِ المراحلِ التعليمية، وحالُ منازعةِ لغةٍ أجنبيةٍ لها في المرحلةِ الجامعيةِ كحالِ أكثرِ البلدانِ العربيةِ، وهذا التنازعُ -في الأغلبِ الأعمِّ- مقصورٌ على التخصصاتِ العلميةِ والتقنيةِ في أراضي السلطةِ الوطنية؛ فالجامعاتُ فيها تلجأ إلى اللغةِ الإنجليزيةِ لغةً لتدريسِ طلبتها، مع اللجوءِ إلى العربيةِ في لغةِ الشرحِ لتيسيرِ وصولِ المعلوماتِ لأذهانِ الطلبة؛ وتطغى هذه اللغةُ على لغةِ المؤتمراتِ العلميةِ والتقنية، ولتكونُ ممزوجةً أحياناً بالعربيةِ الفصيحةِ والعاميةِ في المُداخَلاتِ والمناقشاتِ والشروح؛ الأمر الذي يجعلنا ننبه على أهميةِ التعليمِ بلغةِ الدولة؛ فهذه اللغةُ ليست بحاجةٍ إلى الجهدِ أو العناءِ الذي يكابدُهُ المتعلمون في اكتسابِ لغةٍ غريبةٍ عن فكرِهم وفطرةِ أهلِهم.

وفي مقامِ الحديثِ عن العربيةِ الفصيحةِ في فلسطين نودُّ الإشارةَ إلى أننا لا نجد فيها من يجرؤ على الكتابةِ ضدَّ الفصيحة، أو اقتراحِ نبذِها وإحلالِ العاميةِ أو لغةٍ أجنبيةٍ محلَّها: ففي فلسطين انتماءٌ إلى كلِّ ما يثبِّت الهويةَ العربيةَ الفلسطينية.

وكذلك نجدُ عنايةَ الإذاعاتِ المحليةِ ببثِّ برامجَ عن اللغةِ العربيةِ الفصيحةِ، والسؤالِ فيها عن وسائلِ إتقانها، وكيفيةِ علاجِ مشكلاتِها، ولا تجدُ في إعلامنا الفلسطينيِّ مَنْ يَرسُمُ صورةً ساخرةً (كاريكاتيرية) لمعلم اللغةِ العربية، بل تلمسُ إعجابَ المجتمع في فلسطين -بصفةٍ عامة- لهذا المعلم، وإكبارَ قدرتهِ على امتلاكِ لغةِ العربِ والدينِ والهويةِ التراثيةِ -بصفةٍ عامة- باعتبارها أحدَ ملامحِ الشخصيةِ العربيةِ الفلسطينية، وأحدَ المُكوِّناتِ التي يريدُ لأبنائه أنْ يتأسسوا على معالِمها وقيمِها وتوريثِها للأجيالِ الصاعدة.

٢- عاميةُ أهلِ فلسطين:

لا تتعدى عاميةُ أهلِ فلسطين -في الأغلبِ الأعمِّ- الجانبَ النطقيَّ؛ فهي ليست لغةَ كتابة؛ إذ الغَلَبَةُ للفصيحةِ في المجالِ الكتابيِّ، ولا تَشْغَلُ العاميةُ فيه إلا حَيِّزاً ضَيِّقاً جداً، كالزجَلِ أو الشعرِ العاميِّ أو الحوارِ تصويراً لواقعٍ في روايةٍ أو قصَّةٍ وما إلى ذلك، وسنشير في هذه السطور إلى أهم الخصائصِ العامةِ في عاميةِ أهلِ فلسطين، وذلك على النحو التالي:

أولاً- الاتجاه نحو تفصيح العامية:

على أنّهُ يمكنُ القولُ بأنَّ عاميةَ أهلِ فلسطينَ في صورتِها العامةِ قريبةٌ من الفصيحة؛ ويتجلى هذا الاتجاهُ العامُّ في حِرْصِ كثيرٍ من الكتّابِ والخطباءِ والمتحدثينَ في المجالاتِ المتعددةِ على تحريرِ لغتهم المنطوقةِ والمكتوبةِ من الأغلاطِ وأدرانِ العُجْمة؛ لذا فإنك تجدُ كثيراً من هؤلاءِ يسألونَ اللغويين وغيرهم عن البديلِ العربيِّ الفصيحِ لكلمةٍ أو مصطلحٍ ما، ومنهم مَن يَحرصُ على دفعِ ما يكتبُ إلى اللغويين لتحريرِها من الأغلاط، وقد راجعتُ لغةَ كثيرٍ من الكتاباتِ أو المؤلفاتِ أو الرسائلِ الجامعيةِ في

مختلفِ التخصصات، وكثيراً ما راجعني بعضُهم لتصحيحِ ما كتبَ لغويّاً ليحكي لغةً سليمةً في خطبتِه أو حوارِه في برنامجٍ إذاعيٍّ.

أستطيعُ أن أقولَ –برغمِ تَبَرُّمِنا من ضعفِ مستوى العربيةِ عندَ كثيرٍ من أجيالنا الصاعدة وجماعةٍ من مؤلفينا وأكاديمينا-: إنَّ الاتجاهَ نحوَ التفصيحِ في فلسطينَ يُشكِّلُ اتجاهاً عامّاً، وإنهُ لا مجالَ لغيرِ الالتزامِ بالفصيحةِ في مجالِ الكتابة.

ولعلَّ من مظاهرِ هذا التفصيحِ للغةِ الكلامِ العامِ هذا الاتجاهَ الفطريَّ إلى هجرانِ كثيرٍ من الدخيلِ العامِّ الذي دخلَ لغةَ الشارعِ الفلسطيني، واستعمال بديله العربي، ومن شواهد هذه الظاهرةِ اللغوية: كلمة (إجازة) أو (عطلة) بدلاً من (حوفش أو خوفش)، وهي كلمةٌ عبريةٌ استُعملت إلى جانب الكلمتين، وانقرضَ استعمالها في قطاعِ غزة، و(إسعاف) بدلاً من (امبلانس)، و(إشارات ضوئية) بدلاً من (رمزون)، و(بطاقة) بدلاً من (كَرْت)، و(العَلَم) أو (الراية) بدلاً من (البَيْرَق)[٤]: هذه الكلمة التركية التي انقرضت تماماً، و(جواز سَفَر) أو (وثيقة) بدلاً من (بَزَبورْت)، و(حاجز) بدلاً من الكلمة العربية (محسوم أو مخسوم) التي انقرضَ استعمالُها في غَزّةَ هاشِم، و(حِصار) أو (إغلاق) بدلاً من (سيجر) العبرية –الجيم قاهرية-، وهي ذاتُ صلةٍ بالكلمة الدارجة في العامية الفلسطينية (سَكَّر) بمعنى أغلقَ أو أقفل، وهذه الكلمة أصلها فارسية، و(سائق) بدلاً من (شُفير)، و(سيارة) بدلاً من (أوتومبيل) التركية، و(شهادة ميلاد) بدلاً من (كُشان)، و(صيدلية) بدلاً من (فَرْمَشِيّة)، و(قطار) بدلاً من (اتْرين أو بوسْطة)، و(مباراة) بدلاً من (مَتْش)، و(مستشفى) بدلاً من (اسبيتال)، و(مستوطنة) أو (مستعمرة) أو (مُغتَصَبة) بدلاً من (كُبَّنِيَّة)، و(هَدف) بدلاً من (جول) –الجيم قاهرية، و(انعطاف) بدلاً من (كورْبَة)... الخ.

ومما يدلُّ على ظاهرة اعتزازِ الفلسطيني بلغته العربية بصفة عامة أنَّ أكثرَ أبنائه من الذين تزوجوا من غير العربيات يحرصُ على تعليمهنَّ لغةَ بلده؛ فأكثرهنَّ يَستَطِعْنَ الحديثَ بها، ولعلَّ ما يؤكِّدُ ما نقولُ أنني رأيتُ مَنْ يتركُ أبناءه عند أهله؛ حرصاً على الحفاظِ على هويتهم العربيةِ الإسلامية بصفةٍ عامة.

وكذلك تظهرُ فطرةُ الفلسطينيِّ نحو اتجاهِ تفصيحِ عاميتهِ في هذهِ اللقاءاتِ والحواراتِ التي يُجريها رجالاتُ الإعلامِ في برامجهم الإعلامية مع أبناءِ فلسطين –بصفةٍ عامّة- للحديث عن أحوالهم وأخبارهم ومعاركهم مع المحتلِّ أو مقاومتهم له؛ إنّ المستمعَ أو الدارسَ للغةِ جمهورِ أبناءِ الشعبِ الفلسطينيِّ يَجِدُها –في خصائصها العامة- تقتربُ كثيراً من النظام الفصيحِ صوتاً وبنيةً وتركيباً.

عوامل تفصيح العامية الفلسطينية:

يسعى المتحدثونَ شبّاناً وشيباً إلى الارتقاءِ بلغةِ أحاديثهم إلى المستوى اللغويِّ الفصيح؛ وذلك لأسباب عدة أهمها:

(٤) سمعتُ النسوةَ –وأنا طفلٌ- يغنينَ في الأفراح:
خلينا نُرَق ارفعوا البيرَق
خلينا نمرق
طمبيل العرس فاطعلوا جمرك
وهن يقصدنَ بذلك عدم إيقاف موكب الفرح عند الحواجز المرورية، ولعلك تلاحظ –عزيزي القارئ- كيف أن الألفاظَ الدخيلةَ قد غزت ألسنة النسوة في فرحهن الشعبي، وذلك في ألفاظ: (طمبيل وتقال أيضاً: اتْرُمبيل)، وتعني سيارة، و(جمر)، وهي تعني المكس وجمعها المكوس أي الضرائب، وهي في هذا الساق لعلها تعني إذن الدخول أو المرور دون اعتراضٍ أو إيقافِ الموكبِ الفَرِحِ البهيج.

- **انتشارُ التعليمِ في فلسطينَ**، وتَوَجُّهُ الشعبِ بطبقاتِـه كافـةً إلى التعليـمِ فلا يَـكادُ يخلو بيتٌ فلسطينيٌّ من وُجودِ مُتَعَلِّمٍ بل متعلمين فيه، وكذلك لا تكادُ تخلو محافظةٌ من محافظاتِ السلطةِ الوطنيةِ من وجـودِ جامعةٍ أو كليةٍ جامعيـةٍ أو متوسطةٍ أو معهدٍ عالٍ؛ نجد هـذه المؤسساتِ التعليميةِ العاليةِ في: مدينة الخليل ومخيّم العَرّوب وبيت لحم وجنين ونابلـس وبـير زيت وأبـو ديـس ورام الله ومخيم قلنديـا وقلقيليا؛ وقرية بيت حانـون ومدينة بيت لاهيا ومدينة غزة والوسطى ودير البلح وخان يونس والقرارة ورفح.

- **حيـاةُ الفلسطينيـين** النضاليـةُ والقتاليـةُ والتقلباتُ السياسيةُ التي تعيشها قَضيتُهم ليلَ نهار؛ فتجعلهم شيباً وشُبّاناً منكبينَ –في أغلبِ أوقاتِهم– على متابعـةِ الأخبارِ والبرامـجِ السياسةِ والدينيةِ في الإذاعـاتِ المسموعةِ والمرئيـةِ، ومداومينَ على المناقشَـةِ والجدلِ السياسي والقتـاليِّ الذي يشكلُ جزءاً رئيساً في حياتِهم؛ فالطفلُ في فلسطينَ رجلُ سياسـةٍ ونضالٍ؛ لأنه قبـلَ أن يعيَ شيئاً من الدنيا سَمِعَت أُذناهُ أنماطاً متنوعةً من النداءاتِ والبياناتِ التـي تبثها مكبّراتُ الصوتِ عبرَ السياراتِ والمآذن، وشاهدَتْ عيناهُ اللقاءاتِ الحواريةَ في بيتِه، أو عبرَ الإذاعة.

وكان لقيـامِ الأحـزابِ والفصائلِ والحركاتِ السياسيةِ والجهاديةِ والتنافسِ بينها، وانضمام كثيرٍ من أبناءِ الشعـبِ الفلسطينيِّ تحت ألويتِها؛ دفاعاً عن الوطنِ والهُويـةِ أثرُهُ في تَرْكِ بصماتٍ واضحةٍ على تفصيـحِ اللغـةِ العاميةِ في فلسطـين، وكان لبروزِ مشاركةِ التيـارِ الديني في معتركاتِ النضالِ والسياسةِ أثرُهُ في الارتقاءِ بلغةِ الخطابينِ السياسيِّ والجهـاديِّ؛ استفـادةً من القرآنِ الكـريمِ وبلاغةِ الرسول r، وتمرُّسهم بأفانين الخطابة.

- **التحـدّي ومحاربة** سياسة الاحتلالِ وأفعالهِ الإجراميةِ بالمظاهراتِ والاعتصاماتِ الاحتجاجيةِ والتجمّعاتِ الجماهيريةِ الحاشدةِ التي يسعى القادةُ ورؤساءُ الفصائـلِ والأحزابِ والحركات من خلالِ خطبهـم ومقالاتهم وحواراتهم التي يشحذون فيها همم الشعبِ، ويرفعون مـن معنوياتهم، ويحثّونهم على الصمـودِ والمقاومة، وعادةً مـا يكونُ خطابُ هـؤلاءِ المسؤولـين باللغةِ الفصيحـةِ، على تفاوتٍ بينهم في امتلاكِ ناصيةِ السلامةِ اللغويةِ فيها.

كانَ لهـذهِ المحافـلِ الجماهيريـةِ الحاشدة، ومنظميها، والنـدواتِ السياسيةِ والحزبية، وبيوتِ زفافِ الشهداءِ، ومهرجاناتِ نصرةِ الأسرى وإحياءِ المناسباتِ الوطنيـةِ والدينيةِ والاجتماعيةِ وغيرِها أثـرٌ كبـيرٌ في إذكاءِ جـذوةِ الكلمـةِ الفصيحةِ في نفوسِ المتحدثـين والسامعينَ الثائريـن؛ فالأيامُ الفلسطينيـةُ لا تكادُ تخلو من واحـدةٍ أو أكثرَ من هذه الفعاليات التي تتبـارى فيها كلماتُ الخطباءِ والبلغاءِ وغيرهم؛ نصرةً للوطنِ والقضية، وإظهاراً للفصاحةِ العربية.

وليسـت الكلمـةُ المكتوبـةُ ببعيـدةٍ عن هذه الفصاحةِ فلا أعـرفُ في فلسطينَ وجودَ صحيفةٍ أو مجلـةٍ أو منشورٍ سياسيٍّ أو بيـانٍ عسكريٍّ كُتِبَ بالعاميـةِ؛ فكلُّ أنواعِ هذهِ المنشوراتِ وغيرِها تكتبُ بالعربيةِ الفصيحة.

- **عدمُ استقرارِ حياتهم**، وشعورُهم بأنَّ هويتَهم الفلسطينيـةَ والعربيةَ والدينيـةَ في خطَرٍ يجعلُهم دَوماً يَنْشَـدّونَ إلى المحافظةِ على لسانِهم العربيِّ، وتجعلُ اهتمـامَ الشبابِ الفلسطينيِّ خاصةً مُنصبّاً

علـى النضالِ والمقاومة، أما اللهـوُ واعتيادُ ارتياد أماكنِ التنـزه؛ ومعرفةُ لغة الروشنـةِ أو الدردشة التي يَجنحُ بعضُ الشبابِ العربيِّ إليها في التحادث مع أقرانـه فلا ينشغِلُ بها، وإنك إذا ما رجعتُ إلى قاموس الشبـابِ الفلسطينـيِّ في أراضي السلطة الوطنيةِ فستجـدُ أنَّ هذه اللغةَ لا تكادُ تأخذُ حَيِّزاً فيهِ، وقد لمستُ ذلـكَ من خلالِ تسآلي لطلبتي من الجنسين عن هذه اللغة؛ حتى إنَّ منهم مَن لا يعرفُ عنها شيئاً أو أنه سمع عنها فقط.

– قلـة قدرتهم علـى استغلالِ ثـرواتِ بلادهم، وصعوبةُ مجيءِ الآخرينَ إليهم بفعلِ أحوالِ الحروبِ التي تُفرَضُ عليهـم، ومعوّقاتِ الاحتلالِ وتقطيعه لأوصال التواصل بينهم تجعلهم –في الأغلب الأعم– بعيديـنَ عن تأثير تزاحم لغات العمالة الوافدة وما ينتج عنها من تداخل لغويٍّ؛ فَهُمْ في جملتهم العامة –باستثنـاءِ احتكاكهمْ بلغةِ الاحتـلالِ، وما يتوافَدُ عليهم مـن الدخيلِ الإنجليزيِّ بفعلِ التعليم وتوسّع تأثيرِ العولمة –يتحدثون العربيـةَ فصيحةً وعاميةً فقط.

– الاحتـلال واطّـلاع الفلسطينيـين علـى ما فعلَـه الإسرائيليون المحتلّـونَ لإحياءِ لغتهم العبرية التـي انـزوت في كُنُسِهـم، وجعلها لغـةَ التدريسِ والإدارةِ في جميـعِ مؤسساتهم ومراحلهم التعليمية وإنشائهم لمجمـعِ اللغةِ العبريـةِ والمعاهدِ والمراكز الداعمة لانتشارها على الألسنة؛ الأمر الذي يدفع الفلسطينيين ولاسيما الغـيُرُ على عروبتهم ولغتها الفصيحـةِ من عرب ٤٨؛ فاللغةُ تُشكِّلُ جانباً مُهمّاً في التصـارعِ على الأرضِ والبقاءِ فيها، عنصراً من عناصرِ التمايزِ الواضحة بين الشعبين المتصارِعين في فلسطينَ، أرضِ المحشرِ والمنشر.

– عـدم معاناة الفلسطينيـين مـن التداخـل اللغوي؛ فعلى الرغم من وجودِ قومياتٍ غيرِ عربيةٍ في فلسطينَ لغتُها الأصليةُ غيرُ العربيةِ فإنَّهُ لا يوجَدُ أيُّ تنافرٍ بينَ جملةِ أهـلِ هذه القومياتِ والقوميةِ العربيـةِ التي ينتمـي إليهـا الفلسطينيون، وذلك باستثناءِ الصراعِ القائمِ بـينَ الفلسطينيين وبعضِ هذه القوميات مـع الكيانِ الصهيونيِّ، وقد أشارت سطور هذه الدراسة إلى علاقةِ العربيةِ التصارعيةِ مع العبريةِ بوصفها لغةَ الاحتلال.

ويرجع السببُ في توافقِ الفلسطينيين، وطبيعة أهـلِ فلسطينَ في حمايةِ الغريـبِ، والحفاظِ على حقوقه، والارتباطِ معه بعلاقاتٍ طيبةٍ.

كان لهـذه العلاقاتِ الطيبـةِ بين جمهرةِ أهل فلسطينَ أثرُهُ القويُّ في تعميقِ انتماءِ أصحابِ هذه القومياتِ إلى فلسطينَ انتماءً وطنياً حقيقياً يدفعهم –بصفةٍ عامـةٍ– إلى حمايتها، والدفاعِ عنها؛ الأمر الـذي يوضحهُ واقعُهم المعيشُ، وذلك على النحو التالي:

الطائفةُ السامريةُ:

وهـي طائفـةٌ يهوديةٌ[٥] يعيشُ جـزءٌ منها في أراضـي السلطـةِ الوطنية في جبل جـرزيم[٦] في مدينة نابلـس العربية، وهي قليلـةُ العدد[٧]، وقد

(٥) السامريـون أو السامرية نسبـة إلى كلمة «سامري» التي تعني الحارس؛ فهم يعتبرون أنفسهم الحرّاس على تعاليم التوراة. ويحملون الجنسية الأردنية والإسرائيلية أيضاً، ولكن الجنسية الفلسطينيـة هـي الأهمُ لهـم؛ لأنهم ارتبطوا بمدينـةِ نابلس وأهلها.

(٦) أحد جبال فلسطين، وهو الجبل المقدس عند السامريين؛ فهم يعتقـدون أن هيـكل سليمان كان قد أقيم فوقـه، وينكرون ما يقوله حاخامات غيرهم من اليهود أن هذا الهيكل كان موجوداً أسفل الحرم القدسي الشريف.

(٧) تتكـون هذه الطائفة من خمسـ عائلات فقط؛ تُعرَف واحدةٌ منهـا باسم «عائلة الكهنة»، وهي التي تحكّم الطائفة، وتراعي

تعايشَ أبناءُ هذا الجزءِ من الطائفةِ مع العربِ في نابلس، ويعتبرونَ أنفسَهم فلسطينيين؛ فقد استوعبوا ثقافةَ العربِ الفلسطينيين، وارتبطوا بعاداتِهم العربيةِ الفلسطينية، ويحملون الجنسيةَ الفلسطينية والأردنيةَ والإسرائيليةَ، ولكنَّ الجنسية الفلسطينيةَ هي الأهمُّ لهم، ولغةُ التواصل بينهم اللغةُ العربيةُ، فهي لغة الحياةِ اليوميةِ عندهم، أما اللغةُ العبريةُ فلا يستعملونها إلا للعبادةِ فقط، وهي العبريةُ القديمةُ لغة التوراة[٨].

الطائفةُ السُّريانية:

وهي طائفةٌ مسيحيةٌ تنتمي إلى الآراميين، ولغتها السريانيةُ إحدى اللغات السامية، وهي اللغة المعتمدة بجميع الكنائس المسيحية والبابلية في جميع منطقة المشرق، وكانت اللغةُ السريانيةُ دارجةُ في القدسِ وفلسطينَ بصفةٍ عامة، ثمَّ اقتصرَ استعمالها على المجال الديني بعد قرنٍ من الفتح الإسلامي، ولغةُ الحياةِ اليوميةِ عندهم العربية.

الطائفة الشَّركَسِيَّة:

جاء الشَّرْكَسُ[٩] إلى فلسطين من وطنهم الأم "القفقاس"[١٠] المعروف عربياً بالقوقاز، وهم موجودون في أراضي فلسطين المحتلة من ١٩٤٨م، وتركز وجودهم في أربعة أماكن، هي: خربة شركس وبيسان والريحانية وكفركما، وهم مسلمون، ويدرس أبناؤهم العبرية والعربية والإنجليزية قبل تعلمهم الشركسية، ومن الغريبِ أنهم يبدأون بتعليمهم اللغة العبرية والعربية من الصف الأول الابتدائي إلى الثانوية العامة، والإنجليزيةَ من الصف الثالث إلى الثانويةِ العامة، "أما لغتهم الأم –الشركسية– فيتعلمونها في الصف الخامس ولمدة ٤سنوات فقط؛ وهو الأمر الذي أدى إلى وجود أمية لدى الطلاب الشركس في قراءة وكتابة لغتهم الأم ليقتصر استعمال اللغة الشركسية لديهم على المخاطبة".

يتعلم أبناء الشركس المرحلتين الابتدائية والإعدادية في قراهم، ويُكملون المرحلة الثانوية في مدارس القرى والمدن المجاورة، وفي هذه المرحلة ينقسمُ الشركسُ إلى فريقين: فريق يرسلُ أبناءهُ إلى المدارس اليهودية، وفريق آخر يرسل أبناءه إلى المدارس العربية المجاورة في مثل الناصرة ودبورية والجش؛ منعاً لاكتسابهم العادات اليهودية السيئة، وليتعلموا اللغة العربية وسيلة تواصلهم مع أقاربهم في الدول العربية المجاورة، ولاسيما في الأردن وسوريا، ولغةَ دينهم الإسلاميّ الذي يُشكِّلُ تعمُّقُ تمسكِهم به في السنواتِ الأخيرةِ سبباً كبيراً لتنامي

أمورَها الدينية، أما العائلاتُ الأربع الأخرى فعادية، وهذه العائلاتُ جميعها قد لا يزيد عددها على أربعمائة نَسَمة، وقد حفظَ المرحومُ –بإذن الله– ياسر عرفات مقعداً خاصاً بهم في المجلس التشريعي الفلسطيني، وأقام الإسرائيليون لجزءٍ منهم مستعمرةً في حولون بالقرب من تل أبيب (تل الربيع) في أرض فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨م.

(٨) يستعمل السامريون اللغة العبرية القديمة، وهي لغةُ التوراة الصحيحة؛ فهم يعتبرون التوراة العبرانية محرَّفةً؛ لذا فإنَ توراتهم تختلف عن هذه التوراة العبرانية في بعض الألفاظ والمعاني، وتوراةُ السامريين تتكون من خمسة أسفار، هي: التكوين، والخروج، واللاويين ويسمى الأخبار، والعدد، وتثنية الاشتراع؛ ولغة هذه الأسفار الخمسةِ هي لغة نبيِّ اليهودِ موسى عليه السلام؛ وهي –بلا شك– تختلف عن العبريةِ الحديثة، ويتم تدريسها لجميع أبناء الطائفة السامريةِ منذ الصغر، ولهم مدرسةٌ خاصةٌ بهم يعلمونهم فيها هذه اللغة التي يقتصرُ أمرُ استعمالها على الصلاة.

(٩) استفادت الدراسة في الحديث عن الشركس من مقالة: أشرف سلفيتي (الشركس جزءٌ من نسيج المجتمع الفلسطيني)، إسلام أون لاين نت/ملفات خاصة فلسطين،
Http://www.antomlife.com/Arabic/ln_Depth/patestine/articles/2004 05/article69 shtml

(١٠) الشركس كلمة أطلقها اليونانيون عليهم، واسمهم الحقيقي الأديغا.

أعدادِ الإقبال على المدارس العربية في المراحل المختلفة.

الطائفة الكردية:

بدأ توافد الأكراد إلى فلسطين مع الجيوش الإسلاميةِ منذ زمن الحروب الصليبية، وسكنوا في الخليل، ثمَّ تفرقوا بعد شجارهم مع أهلها إلى نابلس والقدس واللد وخان يونس، واندمج هؤلاء مع الفلسطينيين وتحدثوا لغتهم العربية.

الطائفة الأرمنية:

جاء عن رُبى عنبتاوي[11]: أن الفلسطينيين الأرمن يعتبرون "أن فلسطين هي وطنهم، وهي الأرض المقدسة؛ ففيها مولد السيد المسيح ونشأته وتلاميذه ورسله، وهي وطنهم المسلوب والمغتصب، ويُظهِرُ بعضُهم روحاً وطنيةً فلسطينيةً عاليةً ومتابعةَ كل[12] ما يجري في فلسطين"، وانخرط شبابُ هؤلاء الأرمن في المجتمع العربي الفلسطيني، وانضموا إلى صفوفِ المقاومةِ الفلسطينية، وحول هوية الأرمن الفلسطينيين يقول أحدُ الأكاديميين الأرمن: "نحن إثنيّاً أرمَنِيّونَ، وقوميّاً فلسطينيون"[13].

ويطلق على الأرمن الذين يعيشون في مدينة بيت لحم لقب (أولاد البلد)، وهم "يعتبرون أنفسهم فلسطينيين أقحاحاً وعرباً أصلاءَ، وغالبيتهم أبناء لعائلات جاءت إلى فلسطين قبل الهجرة الأرمنية الحديثة عام ١٩١٥ [14]، ويحملون أسماءً عربيةً، ومن الصعب تمييزهم عن بقية السكان، وهم الذين يطلق عليهم داخل الطائفة الأرمنية (اسم أولاد البلد)"[15].

يتحدث الأرمن في فلسطين اللغةَ العربيةَ بطلاقةٍ، وهم في أغلبيتهم -كما "يقول عيسى نصار: أحد أبرز وجوه أرمن (أولاد البلد)، والذي يتحدث باللهجة الفلسطينية المغرقة في محليتها"- "إنَّ هذه المجموعة من الأرمن، في أغلبيتهم، لايتقنون اللغة الأرمنية، مستثنياً من ذلك كبار السن والتلاميذ الذين يتعلمون في مدارس القدس"، وإن عادات الأرمن في بيت لحم وتقاليدهم" هي نفسها عادات وتقاليد بقية السكان، ولا يشعر الأرمني بأي فرق بينه وبين أي مواطن آخر. وكثيرون من الأرمن تزوجوا من عربيات، وكثيرات من الأرمنيات تزوجن من عرب"[16].

نخلصُ -مما سبق- إلى أنّ أبناءَ هذه الطوائفَ لا يهددونَ الهويةَ العربيةَ ولاسيما لغتها؛ لاقتصار استعمالِ لغاتهم القومية على الجانبِ الدينيِّ، كما هو الحال عند السُّريانِ والسامريينَ والأرمن، أما الأكرادُ فتوزعوا في المجتمع الفلسطيني، وتحدثوا لغتهُ العربيةَ؛ لأنها لغةُ الإسلامِ الذي جاؤوا لنصرته، وكذلك الحال بالنسبة للشراكسةِ الذين يحرصُ أكثرهم على تربيةِ أبنائهم على الثقافةِ العربيةِ ولغتها؛ إضافةً

(١١) الأرمن في القدس: ١٦ نيسان ٢٠٠٧م، مدونات مكتوب الإلكترونية.

(١٢) ولعلّ الأصَحّ (ومتابعةً لكلٍّ)

(١٣) أسامة العيسة: متحف للأرمن الفلسطينيين في بيت لحم، موقع: (أزاد هاي، البوابة الأرمنية في الشرق الأوسط) *30http://www.azad-hye.org/news.* *=php?op=details&id*

(١٤) يرتد الأرمن -كما جاء في موقع (ويكبيديا، الموسوعة الحرة) -إلى «العرق الآري (الهند أوروبي)، ويعود وجودهم في أرض أرمينيا التاريخية: الهضبة الأرمنية، أرض أرمينيا العظمى والصغرى الممتدة في الأجزاء الوسطى والشرقية من آسيا الصغرى، تقع حالياً في تركيا».

(١٥) يُنظر، متحف للأرمن الفلسطينيين في بيت لحم.

(١٦) يُنظر، السابق.

إلى أنهــم يدينون بالدينِ الإسلاميِّ الذي يجعلهم بحاجة إلى العربيةِ وأهلِها.

إنَّ اللغةَ العربيةَ هي اللغــةُ القوميةُ الوحيدةُ لعربِ فلسطــين، ويطغى استعمالهــا لساناً رئيساً لأكثرِ الطوائفِ أو القومياتِ غيرِ العربيةِ فيها، وإنَّ مزاحمةَ العبريــةِ لها نراها تختلــفُ عن مزاحمة لغــاتٍ قوميــةٍ في بعضِ البلــدانِ العربيةِ؛ لتمسكِ أهلهــا بها، وانحسارِ العِبْرية لغــةَ حياةٍ في أراضي فلسطــينَ المحتلةِ منذ ٤٨؛ الأمر الذي يجمعُ صراعَ اللغتــينِ في هذه البؤرة، وإنَّ العربية في فلسطينَ لا تعاني من تزاحمِ اللغات القومية التي يطالب أهلها بكيــانٍ ذاتيٍّ له علاقاتُهُ وتواصله مع أهلها كما هو الحــالُ في الســودان مثلاً؛ حيث اللغــةُ النوبيةُ في أقصى شماله، وأكثرُ من مائةِ لغةٍ محليةٍ في جنوبه، وفي العراق اللغــةُ الكردية، والآشورية، والكلدانية، والتركيــة، وفي المغرب اللغــةُ الأمازيغية، وهي لغة البربر، ولها لهجات: السوسية في الجنوب، والشلحة في الوسط الريفية في الشمال.

وهــي لا تعاني أيضاً من تعليم غير الإنجليزيةِ في مدارس أراضي السلطــةِ الوطنيةِ، والإنجليزيةِ والعبريــةِ في أراضــي ٤٨، وذلك بخــلافِ ما هو موجــود في بعضِ الدولِ العربيــةِ؛ فهناك مدارس اللغــات، أو استعمــال لغةٍ أجنبيــةٍ أو أكثرَ في لغةِ الحياة اليومية.

ثانياً- التأثر بالمحيط العربي:

تُعبِّرُ عامياتُ الفلسطينيين عن علاقةِ الشعب الفلسطيني بلغةِ الجوارِ؛ ففي قطاعِ غزةَ نجدُ تأثيراً للهجــةِ المصريةِ؛ فهي الدولــةُ العربيةُ الأقربُ إلى الغزيين الذين يرتبطون بأهلِ مصر بعلاقاتِ القرابةِ والنَّسَبِ والتاريــخِ المشتَرَك؛ فهناك أسرٌ فلسطينيةٌ تنحــدرُ من أصولٍ مصريةٍ، ويجمــعُ بينَ كثيرٍ منها التواصــلُ على أساسِ هــذه القرابة العِرْقية، وهي الدولةُ التي احتضنــت القطاعَ بعد حرب ١٩٤٨م، وما تزال تُعنى بمتابعةِ أحواله؛ لأنه يُشكَّلُ جزءاً من الأمــن القوميِّ المصري؛ فهو الجزءُ العربيُّ المأمونُ الذي يَفْصِلُ بين مصرَ والكيانِ الإسرائيلي.

وفي الضفــةِ الفلسطينيةِ تجــدُ التواصلَ مــع المملكةِ الأردنيةِ التــي يعيش فيها كثيرٌ من الفلسطينيــين، ويرتبطــونَ بأهلهــا بعلاقاتِ النسبِ والتاريخِ المشترك، ولا يلمسُ خبيرُ اللغةِ فرقاً كبيراً بين لهجةِ الضفيين وسكان المملكة، ولا تختلف اللغةُ العربيةُ عند هؤلاءِ إلا في غزو بعضِ الألفاظ العبرانيةِ للغةِ الضفيين، وصراعُ العبريــةِ والعربيةِ في فلسطــين سنتحدثُ عنه خلال حديثنا عن الدخيل في لغةِ الفلسطينيينَ بصفةٍ عامةٍ.

ومــن دلائل تأثــرِ لغةِ الحديث هــذا التناغمُ المتلوِّنُ من اللهجاتِ العربيةِ التي يُجيدُها العائدون إلى قطــاعِ غزةَ والضفــةِ الفلسطينيةِ بعــدَ إقامةِ السلطةِ الوطنية؛ فهــؤلاءِ العائدونَ يتقنُ كلٌّ منهم لهجةَ البلدِ الذي أتى منه.

ثالثــا- تداخــل اللهجــاتِ والتوجــه نحــو توحُّدِها:

يوجدُ في فلسطينَ لهجاتٌ فلسطينيةٌ متنوعةٌ، وهــي -مع تنوعها بفعــلِ عواملِ البيئــةِ والطبقةِ والاختلاطِ والأصل والمهنة والتعليم وغير ذلك من عواملَ قديمــةٍ ومعاصرة- يمكن حَصْــرُ ملامحها العامةِ في تقسيماتٍ عدة، على هذا النحو:

أ- أقسام ثلاثة:

وهي: "لهجة البادية" و"لهجة الريف" و"لهجة المدينة"، وتشمل سكان أراضي السلطة الوطنية في الضفة وغزة، وعرب ٤٨.

ب- قسمانِ:

وهما نوعان بناءً على اختلافِ الاعتبار:

١- "لهجة المُهَجَّرين"، أو إن شئتَ فقل: "لهجة المخيَّم" الجامعة -بصفةٍ عامة- لجمع خصائص الأقسام الثلاثة للهجات، و"لهجة المواطنين" من ريفيةٍ وحَضَريَّة.

٢- "لهجة الضفيين" ولهجة الغزيين، وكلٌّ منها تحتوي على التقسيمِ الثلاثيِّ للهجات.

وأيّاً يكن الأمر فقد تَدَخلّت عواملُ كثيرةٌ في تداخل اللهجاتِ الفلسطينية واتجاهها نحو التوحد، ولاسيما في قطاع غزة، ومن أهمِّ هذه العوامل انتشار ظاهرة المخيمات، والاكتظاظ السكاني، وقيام حركةٍ تنمويةٍ متعددةِ المجالاتِ بعد مجيءِ السلطة الوطنية الفلسطينية، يهمنا منها في هذا المقامِ الإشارةُ إلى ظاهرة العمران، والاتجاه فيه نحو بناء العمارات أو البنايات المتعددة الطوابق والأقسام، وهي ما عُرفت بالأبراجِ التي جمعت صنوفاً متنوعةً من السكّانِ.

أقول:

تتجه لغاتُ العاميةِ الفلسطينيةِ إلى التوحدِ في لغةٍ عاميةٍ مشتركة تتفقُ في خصائصَ عامةٍ، وتتخلّى عن خصائصَ لغوية موروثة تُميِّزُ بعضَها، وخاصةً في قطاع غزةَ ذي المساحةِ الصغيرة الضيقةِ، والكثافةِ السكانيةِ العاليةِ التي قد لا نجدُ لها مثيلاً في أماكنَ أخرى من العالم؛ فلغةُ الغَزَّيّين -كما لاحظنا- أكثر لغاتِ الفلسطينيين توجهاً إلى التوحدِ، والانصهارِ في لغةٍ عامَّةٍ مشتركةٍ.

إنَّ من أهمِّ خصائصِ لغة الغزيينَ اليومَ سرعةَ التَّغَيُّر؛ الأمر الذي يدلُّكَ عليه أنكَ ترى جيلَ الشباب اليومَ يَجْهَلُ كثيراً من كلماتِ آبائهِ وأجداده الأقربين، وذلك بفعلِ عوامل كثيرة، أهمها: اختلافُ طبيعةِ الحياة بعد التهجير؛ كتغيّرِ نوع العملِ والمسكنِ، واختلاطِ الأنساب، والاحتكاك بالآخرين، وانتشارِ التعليمِ الذي نرى أثرَهُ واضحاً في سموِّ لغة العربِ بصفةٍ عامةٍ نحو التقاربِ مع الفصيحة.

أما في الضفةِ وأراضي ٤٨ فقد تجد تضاؤلَ سرعةِ هذا التغيرِ اللغوي، وهو أمرٌ أكثرُ ظهوراً في القرى؛ فأكثرُ أهلها ما يزالُ يعيشُ في أرضِه: يسكُنها ويعملُ فيها، وملتصقاً بأقاربهِ أو أهلِ بلدتِه؛ فالقريةُ -في الأغلب الأعم- لا يسكنها سوى أهلها الأصليينَ الذينَ تبتعدُ أماكنُ سكناهم عن بعضِها بعضاً، ومن أهمِّ سماتهم تشبثهم بالعادات والتقاليد الموروثة.

ولعلَّ ما يؤكّدُ صدقَ هذا التحليلِ اللغويِّ أنكَ تجدُ منْ بينِ سكانِ قطاع غزةَ ذاته مَن ما يزالُ يحافظُ على كثيرٍ من ملامح لهجتهِ الأصلية، وخروج هؤلاءِ على القاعدة الغزية في التطورِ اللغوي يرجع إلى أحد سببين: أولهما -عدم ترك هؤلاء لبيوتِ أجدادهم، واستمرار تجمعهم في أحيائهم وحاراتهم، وهذا ينطبقُ على السكان الأصليين في القطاع؛ فأكثرُ هؤلاءِ ما يزالُ مرتبطاً بمكانِ عَيش أهلهِ سكَناً دائماً معهم، أو ارتياداً متكرراً، وتشكِّلُ هذه الشريحةُ المجتمعيةُ أكثرَ أبناءِ غزةَ الأصليين

التي تُعـرف اصطلاحاً بالمواطنـين، وآخراهما – تجمُّـعُ المُهَجَّرينَ من أهلِ بلـدةٍ ما في مكانٍ خاصَّ بهم يأوونَ إليه؛ فهو مـكانُ عيشِهم الذي يعبِّرُ عن هويتهم.

وإذا كانـت آثارُ هذه المحافظـةِ على التراثِ اللهجي ما تزالُ باديةً عند هذه الشرائحِ المجتمعيةِ في قطاعِ غزة فإنَّ الخبـيرَ اللغويَّ يمكنُهُ أن يلمسَ تعرُّضَ لغاتِها للتغيُّرِ أيضاً بفعلِ التداخلِ المجتمعيِّ الناتج عن تقارب المستوى الاجتماعي وزيادة أسباب الاختـلاط الناتج عن المؤسسة التعليميةِ أو الجوارِ أو التَّـزاوجِ أو العَمَلِ أو النضـالِ، وانتشارِ ظاهرةِ السَّكَنِ في شُقَقِ الأبراجِ ولاسيما بعد قدوم السلطةِ الوطنيـةِ؛ إذ لم يعد هناك في غـزة –بفعلِ الكثافةِ السكانيـة– مـكانٌ يمكنُ أن يقالَ عنـه: إنه يُشكِّلُ مثالاً للنقاءِ اللغويِّ أو العِرقيّ.

الدخيل في لغة الفلسطينيين:

تحمل لغةُ الفلسطينيينَ ألفاظاً وتراكيبَ أجنبيةً دخلـتْ فيها نتيجةَ علاقتِهـم بغيرهم من الشعوبِ سِلْمَـاً أم حَرْباً، وهي موجودةٌ في اللغتينِ الفصيحةِ والعاميـةِ، وإذا كانت الدخيـلُ ظاهرةً موجودةً في اللغةِ العربيةِ في أقطار العروبة فإنَّ وجودَهُ في اللغةِ المعاصرةِ للشبابِ الفلسطينيِّ –إذ استثنيا لغةَ عرب ٤٨– لا يـكادُ يُشكِّلُ خطـراً كما هو الحالُ في كثيرٍ من البلدانِ العربيةِ.

ويحتـلُّ دخيلُ اللغتـينِ الإنجليزيةِ والفرنسيةِ –كما هو معروف– المرتبةَ التي لا تدانيها مرتبةُ أيِّ دخيلٍ في لغتنا العربيةِ المعاصرةِ؛ ففي دولِ الخليجِ مثلاً نجد أثراً واضحاً للعمالةِ الأجنبيةِ الكبيرةِ في لغةِ المجتمعِ الخليجي، وهي في تجمعات أكثرِها – كما يقول الذين زاروا هذه المنطقة– تُشكِّلُ جالياتٍ لها عاداتُها ولغاتُها الأجنبيةُ، وإذا كانت هذه العمالةُ تتحدثُ بلغات مختلفة: غربيةٍ وشرقيةٍ أثرت في لغةِ أهلِ البلادِ[١٧] فإنَّ للُّغةِ الإنجليزيةِ الحظَّ الأوفرَ في الذيـوعِ، ولعلَّ مما يزيدُ من مكانةِ هذهِ اللغةِ فيهم، وفي غيرهـم من بلادِ المشرقِ العربـيِّ بصفةٍ عامةٍ طغيـانَ اللغةِ الإنجليزيةِ علـى ألسنةِ الخبراءِ ولغةِ العملِ، وإيمانِ الشبابِ خاصـةً بأنَّ هذه اللغةَ هي لغةُ العلومِ والتواصـلِ التِّقني والمعرفيِّ والحضاريِّ والاقتصاديِّ والسياسيِّ وهلمَّ جرّا.

وممـا يزيدُ من نفوذِ الدخيلِ الأجنبيِّ في هذه المنطقةِ الحيويةِ من الوطـنِ العربيّ تغلغلُ ظاهرةِ الخدمِ والمربياتِ الأجنبيـاتِ اللواتي لا يُتْقِنَّ اللغةَ العربيةَ في البيوتِ والرياضِ؛ الأمرُ الذي يُؤَثِّرُ سَلْباً في اكتسابِ الطفلِ للغةِ العربيةِ لغة بلده، أو إن شئتَ لغةَ أمهِ الأصلِ التي تنازلت عن مهمتها القطريةِ في تنشئةِ أبنائهـا إلى الغريباتِ، وينذرُ بمخاطرَ كبيرةٍ على اللغةِ العربيةِ إن لم يتـداركِ المسؤولون الأمرَ، فيزيدوا من اهتمامهم بلغتهم العربيةِ.

وإذا عدنـا إلى المجتمـعِ الفلسطينيِّ –مجالِ اهتمامِ هذه الدراسة– فإنَّ دخيلَ لغتِهم في الفصيحةِ والعاميةِ يُمكن تصنيفُهُ في إطارينِ عامَّين:

الإطار العربي العام:

وهو يُعبِّرُ عن الدخيـلِ الموجودِ في لغةِ العَرَبِ كُلِّهـم، ويتمثَّلُ أكـثرُهُ في الموروثِ عن لغـةِ العربِ

(١٧) إذا كنّـا لا ننكـرُ أثرَ الاختـلاطِ والتعايشِ بـينَ الأجناسِ البشريـةِ في منطقـةٍ واحدةٍ فإنّ من المنطـقِ ايضاً أن يطغى تأثـيرُ أهلِ البلدِ على غيرهم، وخاصـةً إذا ما كانوا أصحابَ العمـلِ، ولكن يبدو أنّ كثرَةَ المشاريعِ، وضخامةَ أعدادِ العمالةِ الوافدة، وانفتاحَ أهلِ الديارِ مرةً واحدةً، وضعفَ القوةِ العلميةِ والعسكريـةِ، وعدم وجودِ خططِ تنمويـةٍ قوميةٍ جعلت دوائرَ الاستقبـالِ عندهم وعند غيرهِم من أكثرِ الدولِ العربيةِ تفوقُ بكثيرٍ دوائرَ تأثيرِهم.

القدماءِ المُعَبِّر عن علاقتِهم القوميةِ ببعضهم أولاً، وعلاقتهم بالأمم الأخرى ثانياً، ومن دلائله الدخيل اليوناني والفارسي والتركي والإنجليزي والإيطالي والفرنسي، ومن أمثلته: (اتْرانس): مقوٍّ، (أسطوانة) "فارسي"، العمود والسارية، والقرص الدائري الذي تُسجَّلُ فيه الأصوات المسموعة، وفي مجال الحاسوب تُستعمل (أسطوانة) بدلاً من (سي دي) التي يُعرِّبُها المصريون (سِدِيّة): وتُجمعُ على (سيدهات)، وهي القرص المضغوط بل المدمج، و(أسطوانة): وعاءٌ أو جسمٌ طوليٌّ ذو طرفين دائريين متماثلين، مثل: أسطوانة غاز، (أسطول) "يونانية": مجموعة سفن بحرية، ويقال: أسطول جوي، (أسنسير) "غربي تركي": مصعد كهربائي أو مصعاد –(إشارب) "تركي" منديل صغير (غطاء شعر أو رأس) –(أفندي أو أفندم) "تركي": سيد، (أكْرا): يد الباب، (أنجق) –القاف جيم قاهرية– "تركي": فقط، (أوتوماتيك) "غربي": آلي، (بالطو): فارسي وتركي": معطف أو عطاف وله دخيلان آخران: (ساكو) و(كبود)، (بِدروم) "غربي": بيت أو مخزن في أسفل العمارة، وله استعمالات مختلفة مثل: الملجأ أو الوكر الذي يلجأ إليه عند الحروب، (برافو) "غربي": كلمة تشجيع أو مدح، وأيضاً بهذا المعنى الكلمة التركية (عقارِم) التي يستعملها –في الغالب– كبار السن، (ابرستيج): نمط خاص أو نمط راقٍ، ومن مجاله: كلمات: (استايل –اسبورت –إتكيت) بمعنى: أنيق، (برميل) "غربي": إناء معدني أو مطاطي واسع، (بُرنيطة) "إيطالية": من لباس الرؤوس: القلنسوة أو الطاقية، (ابرنجي) "تركي": حسن، أو الأول (بُرْنُس)، وجمعه: برانِس "يوناني": لباس الحمام، وهناك بمعناه دخيلٌ آخرُ تستعمله الناس اليوم، وهو: كلمة (روب) ولبسه الرجال والنساء، (بَشكير) "فارسي": قماش لمسح الماء بعد الغسل، (بقجة) "إنجليزية من بَكج": صُرّة، (ابروفة) "غربي": تدريب، أو عرض مبدئي أو تجربة –بروكة: الشعر المستعار– (ابريك): كابح، ويستعملها الشباب في الجامعة بمعنى "فُسحة أو وقت راحة" –(تمباك): كابح، ويستعملها الشباب في الجامعة بمعنى "فُسحة أو وقت راحة"– (تمباك) تبغ يدخن في النارجيلة– (الجمرك): مال يؤخذ على البضائع الواردة من البلاد الأخرى (أصله كمرك تركية) وعربيته مكس وجمعه: مكوس) –روتين: (فرنسية) رتيب –رووف: شقة أو نُزُل أعلى العمارة (أعلى العمارة السقف) –ريجيم: حِمْية– اسبطار أو اسبتالة كما ينطقها المصريون غربي مستشفى، (اسْبور): يقال: رجل اسْبور؛ أنيق أو لطيف، (اسبورت): بَدلة سفاري أو رياضة، (سِرداب) "فارسي": بناء تحت الأرض يُلجأ إليه من حر الصيفِ، ويستعمل بمعنى النفق أو الحفرة أو المغارة، (سكَّر) "فارسية": أغلق، (سمسمار) فارسية: المتوسط بين البائع والمشتري أو بين المؤجر والمستأجر، الأصل: السفسير، (تبغٌ مفروكٌ يُلفُّ في ورقةٍ رقيقةٍ ليُدخَّن، (السيفون): صندوق الطرد الذي يكسح ما في المرحاض، (شرطة): "يوناني" رجال الأمن وينافسها في عصرنا كلمة (بوليس) وهي غربية، ويطلقونها على الشرطي والشرطة، وتُستعمل أحياناً –على ندوة– الكلمة العبرية (مُشْتَراه)، (شَك): صك، (شيك): أنيق، و(شَيَّك يُشَيِّك): ساجَ السياج، وفحص أو راجع، (اصطبل أو استبل): موقف الدابة، (فاتورة): إيصال، (فِزْبَة) أو (موتوسكل)، والأولى أكثُر ذيوعاً الآن: دراجة نارية، (فلسفة) "يوناني": أحد العلوم العقلية، ومنها: فيلسوف: عالم الفلسفة، (قُرْنَة – القاف جيم القاهرية) "غربي": من كورنر: مخدة

أو مسنـــد، (مدام) "غربي": زوجــة، (مزمزيل أو مزمزين) "فرنسية": آنسة، (مول) "غربي"، مكان تسووق جامــع لأنواعٍ كثيرةٍ مـــن البضاعة، (نوتة: مفكرة)... الخ

وكذلك ممّـا يدخــل في هذا المجــالِ بعضُ الدخيــلِ الفرعونيّ أو القبطـيِّ، مثل: (إمبو: طلب الأطفــال للمــاء، وتقــال عند عرض المــاء عليهم أيضاً)، و(جاي: وتعني "طلب الإغاثة، نسمع: جاي يــا ناس جاي)، أما (جاء) هــذا الفعل العربي فهو بمعنى: حَضَرَ أو أتــى –واوا (هيروغليفية) بمعنى ألم، وتقال لتخويف الأطفال.

ومــن التراكيــب الدخيلــة أو المحتويــة على الدخيل: يقال في المَثَــل: (أشكره خبر) "فارسي": علانية، كناية عن فعل الشيء جهاراً –(بَديّ جارد) "إنجليزي": حارس متين، وهو ما يُطلق عليه أيضاً كلمة: (قَبَضــايّ) –(سوبر ماركــت) "إنجليزي": سوق مركزي –(سوبَر مان) "غربي": خارق للعادة –(ســي دي): قرص مُحَوسَــب مضغوط أو مُمغنَط بل مُدَمَج، وتجمع سيدِهات –(شيلة بيلة) "تركي" كناية عن الشيء كله، يقــال: اشتراه شيلة بيلة، أي كله دون تمييــز –(فيس تُفيس) "إنجليزي": وجهاً –(كَفــي شُــب) "إنجليزي": مقهــى –(كفي نت): مقهى النــت –(كل افرنجي ابرنجي) "تركي": كل أجنبي ممتاز –(ويك إنْدّ) "إنجليزي": إجازة نهاية الأسبوع.

الدخيل الإنجليزي في لغة العمل:

لا يعني هذا العنوانُ أنَّ اللغةَ الإنجليزية تشغلُ حيِّــزاً ملحوظاً في لغةِ العملِ أو الإدارةِ في المؤسسةِ الفلسطينيــة، أو أن هذه اللغةَ هـــي الوحيدةُ التي اخترقت هـــذا المجال؛ فلغةُ الحديــثِ والكتابة في هذه المجــالاتِ وغيرِها هي العربيــة التي لا تخلو أحياناً من ذكرِ مصطلحٍ أو لفظٍ حضاريٍّ إنجليزيٍّ أو غـــيره لم يتمّ تعريبه، ويشكِّلُ جزءاً من لغةِ الحياةِ المعاصرة، مثل: كلمات الروتين والكمبيوتر والفكس والكاميرا والشك والبوليس... إلخ.

ولكـــي نوضحَ مأربنا من هـــذا العنوان سنقف عند ظاهرتين لتكونا مثالاً لما نريده في هذا السياق تمثــلُ الأولى مجالاً إعلامياً يتعامــل العاملون فيه بألفــاظٍ أجنبيةٍ يرجع أكثرُها إلى اللغة الإنجليزية، وهـــو مجـــال التصوير والإخـــراج، والأخـــرى لغة العاملين في إدارة وكالة الغوث.

١– لغة التصوير والإخراج:

يذيع على ألسنةِ العاملين في هذا المجال الفني والتقني ألفاظٌ وتراكيــبُ تُشعرُ السامعَ إليهم وهم في عملهــم أنهم يتحدثون معاً أنهم يعيشونَ في غيرِ بيئتنا العربيـــة، وقد استعنتُ في هذا السياق بأحد العاملــين فيه، وهو الأستاذ/أكرم البياري المحاضر غير المتفرغ في جامعة الأزهر بغزة الذي أكَّدَ لي أن هذه المفـــردات والتراكيب الدخيلةَ تشكل قاموسهم اللغوي في العمل في فلسطين ومصر وغيرهما.

ومن أمثلة لغة هذا القاموس أذكر: Action حركة، Cameraman المصَــوّر، Crane فريق العمــل، حركــة الرافعــة، Close-up اللقطــة القريبــة، Tracking، Cut حركــة التتبع، Tilt Movement الحركــة الرأسيــة، Regisseur ريجيســر، Zoom العدسات متغيرة البعد البؤري، Lenses الــزووم، Team Work العمــل الجماعــي، Make up (المكيــاج) لغرض تجميل

الوجوه والملامح وإخفاء العيوب، Script النص، Producer المنتج، Production Plan خطة الإنتاج، Pan (بان): منظر استعراضي، Tilt (تلت) حركة رأسية، Location موقع، Effect المؤثرات... إلخ. ومما تجدر الإشارة إليه –في هذا المقام– هو تغلغلُ ألفاظِ هذه اللغة وتراكيبها على ألسنة العاملينَ في الجهاز الإداريّ لوكالة الغَوْث؛ فاللغة الإنجليزية هي لغة لسان الإدارة العليا التي تتألف من الأجانب؛ الأمر الذي ينتج عنه سيادةُ هذه اللغة في هذه المؤسسة الأممية، ويهيئ لمن يمتلك ناصيةَ التعبيرِ بها الارتقاءَ في عمله.

٢- لغة الإدارة في وكالة الغوث:

تتبدى مزاحمةُ اللغةِ الإنجليزية للعربيةِ في لغةِ الحديث في مقرِّ هذه المؤسسة، وهي ظاهرةٌ ترجعُ أسبابها على تَسَنُّم من يتحدثون الإنجليزية من الأجانبِ في أعلى مراتب الإدارة، واختيارِ من يتقنونها من العربِ الفلسطينيين لمناصب الإدارة؛ ليسهل التراسلُ والتحادثُ معهم بهذه اللغة.

وقد تخضع مفردات هذه اللغة إلى التكييف العربيِّ، ومن أمثلة هذا المتداوَلُ على ألسنة العاملينَ العربِ فيها أذكر: أبلكيشن: طلب عمل –أرشيف: مخزن حفظ الملفات، منه أرشف أرشفةً –أُفسَر: رئيس قسم –أوردَر: أمر عمل– أوفرتايم (تنطق الفاء V): وقت عمل إضافي– أوفرهد برُجكتر (تنطق الفاء V): جهاز العرض الرَّأسي– أكّي: موافق –إندكس: فهرست– إيريا: منطقة– إميرجنسي: طوارئ– بارسل: طرد غذائي– الجي سي بي: خلق فرص عمل، يقال: معلمو الجي سي بي– دُنيشن: تبَرّع– ديلي: العمل مياومة؛ ويعني الموظف غير المُثبَّت، يقال مثلاً: معلمو الدّيلي أو معلمو اليومي– سَبلاي: إمداد –استِبّ: خطوة للعلاوة السنوية– إستور كيبر: أمين مخازن –سِكْليف: إجازة مرضية– سمستر: فصل دراسي– إسْوِيينج (الجيم قاهرية): تالف– شِفْت: ورَدية –لود نصاب تدريسي– ليفِل (تنطق الفاء V): مستوى –متيرْنَتي: إجازة أمومة– فايل: ملف فايل، ومنها فَيَّل تفييلاً، وكلمة فايّل حَلّت محلَّ دوسيه– اِجْريد (الجيم قاهرية): درجة عمل –هاردشِب كيس: حالة صعبة.

الإطار الفلسطيني الخاص:

ويتمثل في دخيل اللغة العبرية الذي تنفردُ فيه لغةُ أهلِ فلسطين وهضبةِ الجولانِ السورية عن بقية الشعوب العربية، وتحتفظ هذه اللغة بآثار هذه العلاقات بين العرب بصفةٍ عامةٍ وغيرهم من الشعوب الأخرى منذ أقدم العصور على النحوِ الذي جاء إثباته في دراستنا "الصراع اللغوي في المجتمع الفلسطيني"[١٨].

إن المتحدث عن الدخيل في لغات الفلسطينيين المعاصرين لابدّ أن يقف وقفةً خاصةً عند الدخيلِ العبريِّ فيها؛ فهو الدخيل المعاصرُ الذي سَلِمَتْ منه الشعوبُ العربيةُ فيما عدا الفلسطينيين وسوريّي هضبةِ الجولان؛ لأنه ناتجٌ عن سلطةِ الاحتلالِ الإسرائيلي الذي اغتصبَ الأراضيَ من أصحابها الفلسطينيين؛ لإحلالِ غيرهم من الإسرائيليين فيها، أو فَرْضَ إرادتَهُ وسيطرتَهُ عليهم واضطرارَهم إلى التعاملِ مع الغازي.

وفي هذا السياق نودُّ الإشارة إلى أن الحديث عن هذا الدخيل في لغة العرب الفلسطينيين ينبغي

(١٨) يُنظر، كتاب المؤتمر العلمي الأول –كلية العلوم والتكنولوجيا– خان يونس/قطاع غزة، ١٩٩٣م.

أن ينقســـم إلى قسمـــين، أو إن شئت فقل إلى ثلاثةِ أقسام؛ وذلك وفقاً لطبيعـــةِ احتكاكهم بأهلِ اللغةِ العبرية، وذلك على هذا النحو:

الدخيـل العـبراني في الضفـة الفلسطينيـة وقطاع غزة:

وكما هو معروف فقد وقعت الضفة وغزة بعد نكسة حزيران في سنة ١٩٦٧م تحت براثنِ الاحتلالِ الإسرائيليّ؛ الأمر الذي اضطرَّ الفلسطينيين فيهما إلى التعامـلِ معه، والاختلاط بالإسرائيليين لتسيير أمـور حياتهم اليوميـة، وكان لفتـحِ الحدودِ بين الأرضِ المحتلة في ١٩٤٨م و١٩٦٧م أثره في احتكاكِ الشعبينِ ببعضهمـا دونَ معوّقات؛ الأمر الذي نتج عنه إجـادة أكثرِ الفلسطينيين الذين كثُرَ احتكاكهم بالإسرائيليـين للحديـث باللغة العبريـة، وتبرز في هذا المجال شريحـة العمال، وشريحة أهل الحرف كالخياطـة والبناء، وشريحـة الأسرى؛ فقد وجدنا من هؤلاء من يتقـن العبرية إتقاناً تاماً، ومنهم من انتسب لإكمال دراسته الجامعية.

تأثرت لغةُ هذه الشرائح من المجتمع الفلسطيني في الضفة وغزة باللغةِ العبرية، وسمع أفراد المجتمع الآخرون من أبناء هذه الشرائح ألفاظاً من العبرية، وهم ليســوا ببعيدين عن مجال التأثـير، سواءٌ من الإذاعةِ أو جيش الاحتلال؛ لذا يلحظُ السامعُ للغةِ الفلسطينيين انتقال ألفــاظٍ وتراكيبَ عبريةٍ إليها، منها: (أرجــاز): صندوق، (أَزْعـكا): جهاز إنذار، (إبْرايْمَرز): تمهيدي، وتُستعمل في مجال الانتخابات، يقال: انتخابات البْرايمز؛ أي الانتخابات التمهيدية أو الابتدائية، (بــرْزلاي): حداد، (بسيدر): تمام أو طيِّـب للتعبير عن الموافقة أو إنجاز ما هو مطلوب، (بو) أو (بوينه): تعال، (بَلجان) (الجيم القاهرية): فوضى؛ (بجوم) (الجيم قاهرية): سقّالة، (بَعَيوت): مشاكل، (بيطـــح): معلوم، (تؤوريا): امتحان نظري لسياقة السيـــارات، واستعمال هذا اللفظ مقصورٌ استعماله في الضفة، أمـــا في غزة فيقال: امتحان الإشـــارات، ويُستعمـــل أيضاً اللفــظ الإنجليزي: (تِســـت)، (تَحَناه): موقف سيـــارات، (اِتْرانْسفير): طَرْد أو تهجير العــــرب، (نفتوف): الري بالتنقيط، (تُكَنيـــم: إصـــلاح، (توبْزينـــا): عصـــير برتقـــال، (حَبْـــلان) أو (خبلان): مخرّب= فدائـــي، (حَمّام: دفيئة أو مشتل، (خُفْشـــي): دونَ حَرَج، (حوفِش): عطلـــة أو إجـــازة، (رمزون): الإشـــارات الضوئية، (رسوســـ): رش الشجر (رشوشـــ)، (سيجر) (جيم قاهريـــة): حصار، (شحرور): حريـــة أو إفراج من السجن، (شلوم): مرحبـــاً أو سلام، (شِمينت): لبن رائب دسم، (الكبينت): المجلـــس الوزاري المصغَّر، أو المجلس الأمني، (كَتّسار): وتستعمل للدلالة على القصـــير؛ أي صفة القِصَر، (كَمْصـــان): مُسكَة أو بخيل، (كنتينة): مصاريف تدفع للسجناء، وتستعمل كلمة (كنتين) قبل الاحتـــلال للدلالة على مقصف المدرسة، (الكنيست): البرلمان أو المجلس التشريعي، (كيبل) سلك طويل وهي كلمة (حبل) العربية، أخذها الغربيون، ثم حرفوها، وأخذها الإسرائيليون عنهم مشوهة، ثم نقلناها عنهم، (كيسف): نقود، (كين): نعم، (لُـــو): لا أو كلا، (محســـوم) (وبالخاء أيضاً) مخاسيـــم، وتجمـــع عندهم محسوميـــم، (مَخْشير): جهاز اتصـــال، (مُخان: جاهـــز، (مَرْجرينا): زبدة نباتي، (مَرْجان) (الجيم قاهرية): تكييف، (مَزْليج) (الجيم قاهرية): ناقلة لنقل الأحمال من شاحنة إلى أخرى، أو من الشاحنة إلى الأرض، (مَسبيك): كاف، (مُشتراه): شرطة أو (بوليس)، والأخيرة من الدخيل الإنجليزي، (مِشطاح): ألواح خشبية متصلة توضع

عليها أحمال، ويجمعها الفلسطينيون: (مشاطيح)؛ أي على صيغة جمع التكسير، وذلك بخلافِ جمع العبرانيين لها؛ فهم يجمعونها جمعَ مذكرٍ سالماً (مشتاحيم)؛ مع ملاحظة أن الفلسطينيين يفخِّمون الطاء، (مناهيل): مدير أو مسؤول، (منوف): رافعة للبناء للسيارات... إلخ، (نخون): صحيح.

ومن التراكيب: (خِتسي ختسي): نصف نصف (نُص نُص)، (اكْفار شلوم)، ويقال هذا التركيب كنايةً عن هدوءِ الحارةِ أو الحيِّ أو المكانِ من أحداثِ الثورةِ أو الانتفاضة، (كُلُّ بسيدر) أو (هَكُولْ بسيدر): كله جاهز، أو كله خوتّس): مائة في المائة، (مَشْلومِخا) أو (مانِشْما): كيف حالك؟، (مِشْمار اكْفول): حرس الحدود... الخ.

على أنَّ مما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو أنّ إسرائيل لم تنجح في اختراقِ لغة الإدارة في الضفة وغزة، واقتصرَ الأمر في هذا السياق على استعمال العبرية إلى جانب الزيارة والعمل وبطاقات الهوية والضرائب، وهي أمورٌ لم يُلْمَسْ أثرُها في لغة الشارع العام؛ لأن استعمالها انحصر في مقام العاملين في هذا المجال الرسمي الضيق.

وقد كان لإنشاءِ السلطة الوطنية أثرٌ كبيرٌ في عدم استعمال العبريةِ في لغة الإدارةِ الفلسطينية، والتخفيفِ من أثرِ العبريةِ في لغة الفلسطينيين، على النحو الذي سنشير إليه فيما بعد، وكان لاقتصارِ تأثيرِ العبريةِ في أراضي غزة والضفة على تعامل الفئات التي تختلط بالإسرائيليين فقط كالعُمال والتُّجار –وهؤلاء يعودونَ إلى لسانهم العربي بمجرد عودتهم إلى بيئتهم العربية– أثرٌ في عدم توغل العبرية في لغة الشارع الفلسطيني في الضفة والقطاع في أراضي السلطة الوطنية.

ومما زاد من انزياحِ أكثر مظاهر الأثر العبري الذي علق بعربية الفلسطينيين في قطاع غزة خاصة إخلاء قوات الاحتلال له، ومنع العمل في داخل فلسطين المحتلة، وانكفاءُ الغزيين يجابهون الحصارَ الجائرَ، وذلك بخلافِ أهلِ الضفة الفلسطينية؛ فما زال هناك احتكاكٌ مباشرٌ مع الإسرائيليين من خلال العمل أو الاحتكاك بالجيش في الشوارع والحواجز.

وعليه، فإن هناك عوامل تزيد من تشبث الفلسطينيين بعربيتهم، ومنها:

- اعتزاز الفلسطيني بذاته وهويته الفلسطينية العربية.
- تيقنه لضعفِ اللغة العبرية عند مقارنتها بلغته الفصيحة العتيقة.
- معرفتهُ بأنّ هذه العبرية المعاصرة تقتبس الكثير من اللغة الإنجليزية خاصة، الذي يُحَرِّفُهُ أهلها ويلوكُونهُ برطانتهم العبرية.
- إدراكه لقوة العربية الذاتية التي تمكّنُ من تنميتها.
- اعتزازه وتمسكه بتراثها العريق الزاخر بالأدب والعلوم والحضارة.
- وعيه بنجاحها في تجاربها في الترجمة عن اللغات الأخرى.
- خروجها من معاركها في سبيل البقاء أقوى مما هي عليه.
- إدراكه لوظيفتها الدينية التي تجعل غير العرب يقبلون على تعلمها؛ لذا فهو أولى من غيره

للحفـــاظ عليها، والدفاع عنها دفاعه عن مقدساته الدينية.

الدخيل العبراني في لغة عرب ٤٨:

وإذا كان دخيـــل غـــزة والضفة مـــن العبرانية مقصـــوراً على لغة الحياةِ العامةِ، أو إن شئت فقل: علـــى اللغة العامية، فـــإن الدخيل العبراني في كلام عرب ٤٨ قـــد تسرب في مواقف معينـــة إلى لغتهم العربية الفصيحة أيضاً، و لا غرابةَ في ذلك فهؤلاء القوم يخالطون الإسرائيليين مخالطةَ حياةٍ وعيش؛ الأمر الذي يجعلهم يرون ويسمعون ألفاظاً وتراكيب دالة على مضامين جديـــدة ليس للأجيال السابقة العربية وغيرها بها معرفة.

إنّ مـــا نـــودُّ التنبيـــه عليه في هـــذا المقام هو كثرة وقـــوع الدخيل العبراني في ألسنة هؤلاء القوم؛ فلغتهـــم ولاسيما العامية ملأى بـــه؛ فهم يتعرضون وفـــق خُططٍ ممنهجـــةٍ إلى مسح هويتهـــم العربية، وتهجيرهـــم قسراً مـــن بلادهم؛ فالعبريـــة وثقافة أهلها تغزوهم في المدرسة والشارع والملهى والسوق، وباختصـــارٍ في كل مناحي الحياة، وهي اللغة الأولى التـــي تدعم قوتها دولة الكيـــان الإسرائيلي، وتعمل على محاصرة غيرها، ولاسيمـــا اللغة العربية؛ فقد عمل الإسرائيليون على دمج العرب الفلسطينيين بل أَسْرَلَتِهم[١٩]، وذلـــك بعزلهم عن شعبهم الفلسطيني وأمتهـــم العربية بصفةٍ عامة، وتغيير أسماء بلدانهم العربيـــة بأسماء عبرانية، وهـــي سياسة استعمارية عامة.

ومن أمثلة ذلك إقدام بلدية القدس الإسرائيلية على تهويـــد مواقع في بلدة سلوان العربية وأسرلتها في إطـــار حجـــة التطوير، ومن بين هـــذه الأسماء: "معاليـــه عير دافيد" في إشـــارة إلى منطقة "وادي حلوة"، و"غـــاي بن هبئوم" في إشـــارة إلى منطقة "وادي الربـــاب" الواقعـــة إلى الغرب مـــن سلوان، و"ديريخ هاعوفيـــل" في إشارة إلى الطريق الواصل بـــين منطقتي "بـــاب الأسبـــاط وبـــاب المغاربة"، وأطلقـــت تسميات أخرى على مواقع في البلدة منها "عير دافيد"؛ أي "مدينة داود" في إشارة إلى مركز البلدة، و"معاليه هاشالوم" ومقبرة "سمبوسكي" في إشـــارةٍ إلى مقـــبرة يهودية تقـــع إلى الغرب من عين اللوزة، وهـــذه سياسةٌ قديمةٌ –كما يقـــول الأستاذ زيـــاد الحموري مدير مركز القدســـ[٢٠]– انتهجتها بلديـــات القدس المتعاقبة، كانـــت بدأتها في البلدة القديمة، حيث أُطلقت أسماء عبرانية على كثيرٍ من الشوارع والأزقة والطرقات وحتى الأماكن الدينية الإسلاميـــة، أهمها المسجد الأقصـــى الذي يطلق عليه الإسرائيليون جبل الهيكل"[٢١].

وظاهرة تغير أسامـــي البلدات الفلسطينية أو إزالتها ليســـت مقصورة على القدس؛ فهي ظاهرة بل سياسة ممنهجةٌ؛ فقد دُمِّرَ ما يقارب من (٥٢٣) بلدة وقرية عربية، وهُجِّرَ أهلها العرب، ومن مظاهر هذه السياســـة الإحلالية مدينة (تـــل أبيب) وهي

---

(١٩) تسعى بعضـــ الأحزاب الإسرائيليـــة إلى ترحيل هؤلاء العـــرب الآن إلى أراضـــي السلطـــة الوطنيـــة، ومقايضتهـــم بالمستوطنـــين في الضفة الفلسطينية؛ وذلـــك خوفاً من ازدياد أعدادهم، وحرصاً على يهودية كيانهم.

(٢٠) ينظر، «أسماء عبرانية بدل الأسماء العربية على مواقع في سلـــوان»، وحدة البحث والإعـــلام في مركز القدس للحقوق الاجتماعيـــة والاقتصاديـــة، موقع «الشبكـــة العربية لمعلومات حقوق الإنسان».

(٢١) في الأصـــل «جبـــل المكبر»، وهذا ليســـ صحيحاً؛ فهذا الجبل يقع على بعـــد خمسة كيلومترات من المدينة، ولارتفاعه يمكن رؤية المسجـــد الأقصى المبارك منـــه، وهو الجبل الذي توقـــف عنده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما جاء لتسلم بيـــت المقدس؛ حيث كبر الله I شكراً وتعظيماً. أما جبل الهيكل فهي نسبة إلى "هيكل سليمان"، وهي التسمية اليهودية للحرم القدسي أو الحرم الشريف.

قرية (تل الربيع) الفلسطينية، و(أشكلون) بدلاً من (عسقلان) التي ينسب إليها كثير من العلماء أمثال: القاضي الفاضل العسقلاني (ت.٥٢٩هـ)، والحافظ ابن حجر العسقلاني (ت. ٨٢٥هـ)، و(إيلات) بدلاً من (أم الرشراش)، و(بيت شآن) بدلاً من (بيسان)، و(حبرون) بدلاً من الخليل، و(نتانيا) التي أقيمت على أنقاض قرية (أم خالد) الفلسطينية، و(أشدود) بدلاً من (اسدود)، وهي البلدة التي هُجِّرَ منها والديَّ وأجدادي، و(يهودا والسامرة) بدلاً من الضفة الغربية بل الفلسطينية... إلخ.

ومن مظاهر تهميش العربية عند عرب ٤٨ إعلاءُ مكانةِ العارفين للغة العبرية، وتعزيز مكانة هذه اللغة فيهم بترقية وسائل تدريسها، وتحديث معجماتها؛ وجعلها حافزاً للحصول على العمل والارتقاء، وفي المقابل فإنهم يحاصرون اللغة العربية في مدارس العرب، ولم يُعنَوا بجعلها لغة تعليم العرب في الجامعات؛ فلغة التدريس فيها هي العبرية، وهي لغة الإدارة والصحة ولوحات الإعلان واللافتات وأسماء المحلات التجارية والملاهي والمطاعم والأثاث المنزلي ومجالات الصناعة والبناء والتعامل التجاري، وهلمَّ جرّا، وباختصار فإن العبرية هي لغة الأكثرية التي تمتلك القوة، والعربية لغة الأقلية المستضعفة التي يعيش بعض منهم في مدن مختلطة كالرملة واللد ويافا وحيفا؛ الأمر الذي يؤثر كثيراً في لغة هؤلاء العرب.

ويلخص الدكتور عبد الرحمن مرعي حالة العربية في دولة الكيان الاحتلالي بقوله: "اللغة العربية هي لغة رسمية في دولة إسرائيل، لكن على أرض الواقع لا تحظى هذه اللغة بالمكانة المنصوص عليها في القانون من قبل العرب واليهود على حد سواء؛ فالمواطنون العرب يتكلمون العربية ويكتبونها بصفتها لغتهم الأولى، لكنهم لا يتقنون ملكتها بمستوى يليق بلغة الأم، وذلك لسببين رئيسين: ازدواجية اللغة (الانفصال بين الفصحى والعامية) وتأثير اللغة العبرية ولغتها الدخيلة فيها"[٢٢].

وإذا كان التأثير العبراني هو الطاغي في الأرض المحتلة منذ ٤٨ فإن هناك تأثيراً عربياً –وإن كان قليلاً لا يقارن بالغزو العبراني للعرب أهل البلد ولغتهم –لا يمكن إنكاره في الإسرائيليين أيضاً؛ الأمر الذي تكشف عنه ألفاظ وتراكيب غدت جزءاً من القاموس العبري، وذلك مثل: أهلاً وسهلا – جهاد– حبيبي (وتنطق الحاء خاء) –حَماس– حُمُّص –دخيلك –شهيد –شيمن (سمن) –صلحه (وبالخاء أكثر) –فتح –فلافل –مبسوط –مسجد –مقاطعة (مقر رئاسة السلطة في رام الله) –انتفاضة – إنشالله –بحياة دينك –دير بالك –كيفك؟... إلخ.

إن ما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو أن هناك إصراراً من أغلب هؤلاء العرب الفلسطينيين على المحافظة على هويتهم العربية لغة وثقافة وعادة وديناً، وإن ما ننبه عليه هنا أيضاً هو أن دعم هؤلاء الناس في مختلف جوانب الحياة ليُعدُّ واجباً قومياً ودينياً؛ فهم –على مستوى الفرد والجماعة- الذين يُشكّلون عنواناً حيّاً للصمود، ويعيش أكثرهم آمال العرب في التحرير واستعادة الأمجاد.

يلمس المتتبع لأخبار هؤلاء القوم وأنشطتهم أنهم يقيمون المؤسسة أو الملتقى أو النادي الذي يحيون من خلاله الحياة العربية الأصيلة في

(٢٢) د. عبد الرحمن مرعي: مكانة اللغتين العربية والعبرية في الماضي والحاضر، الرسالة: مجلة حولية تربوية أدبية يُصدرها المعهد الأكاديمي لإعداد المعلمين العرب –كلية بيت بيرل، حزيران ١٩٩٨م، ص٢٧١.

موطنهم المغتصب، وذلك علـى النحو الذي نجده في بعضـ مؤسسات المجتمع المـدني كمجمع اللغة العربيـة الذي أقامته جماعة منهم آمنت بأن اللغة تُشـكل عماد الشخصية العربية، وأن العناية باللغة تُشـكل عنايـة حقيقية بأهم مقومـات الشخصية العربيـة، والأحزاب العربية، والحـركات الدينية، والصحف والمجلات العربية المكتوبة والإلكترونية، ومواقـع شابكة الـبراق (النت)، والمسـرح العربي، وأنشطة الأدبـاء والممثلـين والأكاديميين؛ فهؤلاء القوم يقومـون بأدوار لا يُستهـان بأثرها في حفز الوعي القومي واللغوي عندهم.

وفي هذا المجال الواعي لرد الهوية العربية في مجتمع عرب ٤٨ وجدنا الدكتور مواسي مثلاً يأسى لهذا التداخل العـبري في متن العربية فيكتب عمّا يسميه (العربية)، وهي لغة -كما يُعرِّفها- "لا هي عربية تُعـرِّف، ولا عبرية تُفهم"؛ ساعياً إلى تقديم حلول افتراضية للخـروج من هذا الخلط، أو على الأقل للتقليل منه"[٢٣].

أنشطة مؤسسية هادفة لعرب٤٨:

هنـاك معاهد وكليـات خاصـة بالعرب في أرضـ ٤٨ سنشـير إلى بعضهـا في دراسة خاصة باللغة العربية في المؤسسـة التعليمية، وسنشير في هـذا السياق إلى مؤسستين علـى سبيل التمثيل لا الحصـر؛ للدلالة على الدور المحمـود الذي يقوم به هـؤلاء العرب المناضلون في سبيـل بقاء الهوية العربية حيـة نابضة في قلب الكيـان الإسرائيلي: الأولى عامـة وضعت ضمن أهدافهـا دراسة اللغة العربية ومشكلاتها في الوسط العربي في فلسطين المحتلـة منذ ٤٨، والأخرى لغويـة تتمثل في مجمع اللغة العربية.

١- مركز الدراسات المعاصرة:

أقام هـذا المركز[٢٤] المنتـدى الفكري الثامن لـه بعنوان: "اللغة العربية بين التمكين والارتقاء"، وقـد أوضح مدير المركز الدكتور إبراهيم أبو جابر أهـداف المركز حين قال: "حرصَ مركز الدراسات دائمـاً علـى متابعـة قضايـا مجتمعنـا العربي الفلسطيني في الداخل بالدراسة والبحث لتشخيص الألم ووصف العلاج، وعليه فإن انعقاد هذا المنتدى يندرج ضمـن سلسلة طويلة مـن المنتديات المعنية بواقع مجتمعنا".

وأما عن موضوع هـذا المنتدى الذي أقيم في عام ٢٠٠٨م فأشـار إلى أنه "يأتي في ظرف تواجه فيه لغتنا العربية تراجعاً نسبياً في أوساط مجتمعنا لصالح اللغة العبرية التي أصبحت جزءاً من خطاب الكثير مـن أبناء مجتمعنا في الداخل الفلسطيني"؛ لذا فـإن دراسات المنتدى أبانت "المخاطر المحدقة باللغـة العربية في الداخل"، ووقفـت عند أهمية العربيـة لمجتمعها العربـي " كرافعة لحفظ هذا المجتمع الدينية والثقافية والقومية وسبل حمايتها وتطويرهـا"، وألقت "الضوء علـى مظاهر تأثير اللغة العبرية على اللغة العربية".

٢- مَجمَع اللغة العربية:

يُشكِّل طغيان تأثير اللغة العبرية على لغة عرب ٤٨ مصـدر قلق كبير عنـد العارفين بأضراره على الهويـة العربية؛ لذا وجدناهـم يُفكِّرون في العلاج للخروج من هذه المشكلة الخطيرة.

وجدنـا الدكتور مواسي مثـلاً يقول في مقالة

(٢٣) ينظر مقالته: رحلتي في رحاب لغتي.

(٢٤) موقع (فلسطينيو ٤٨) الإلكـتروني: http://www.pls48.net/Web/Pages/Details.aspx?ID=٣٢٣٥٦

له بعنوان: "العربية"[٢٥]: وتسألني ما الحل أمام هذا المد الكاسح؟ في ظني أن المبادرة التي قام بها أساتذة ومحاضرون في اللغة العربية لها أهميتها في هذا السياق، وهي قيام جمعية لغوية محلية تنشط وتبتكر ترجمات مقبولة، وتوزعها على المدارس والصحف"، ويذكر أن هذه الجمعية "عُقدت أولاً في عَبلّين، ثم التأمت ضمن اللجنة العليا اللغة العربية، ويرأسها سليمان جبران وأعضاؤها هم –مع حفظ الألقاب–: فهد أبو خضرة وخولة السعدي ومحمود أبو فنة وجورد قنازع ونزيه قسيس وجميل غنايم وإلياس عطا الله وفاروق مواسي، وأنه كانت لهم "جلسات كثيرة تخللتها نقاشات جادة وأحياناً حادة"، وأنهم تمكنوا من إصدار كراسين فيها ترجمات لمصطلحات وتعابير تسعف الكاتب في كتابته.

ويقول د. سالم العطاونة: "لا يخفى على أحد أن اللغة العربية في انحسار، في العالم العربي عامة ولدى الأقلية العربية في إسرائيل خاصة، إذ إن هناك سيطرة للغة العبرية على المؤسسات التي تتعامل معها هذه الأقلية في إسرائيل، وفي الجنوب على وجه الخصوص. فالاحتكاك اليومي مع المؤسسات الحكومية التي لا تجيد النطق باللغة العربية يفرض على المواطن العربي أن يتحدث بالعبرية؛ ومع كثرة التكرار تصبح وكأنها لغة الأم، كذلك الاختلاط في أماكن العمل في المدن والبلدان اليهودية المجاورة له دور كبير في إدخال اللغة العبرية إلى كل بيت في النقب"[٢٦].

(٢٥) يُنظر موقع د. فاروق مواسي، http://faruqmawasi.com/lugha.htm

(٢٦) ينظر، «مجمع اللغة العربية منارة حضارية تمثل الانتماء والهوية القومية والوطنية»، الاثنين ٢٥/٨/٢٠٠٨م، موقع صحيفة أخبار النقب الإلكتروني: http://www.akhbarna.com/Arabic/?action=detail&id=196

أقول:

شكلت هذه الآراء والأعمال التي أصدرها الغير على لغتهم وقوميتهم مقدمات محمودة لإقامة المؤسسة اللغوية التي نأمل أن تُعبِّر عن استقلال هويتهم العربية، ونطمح لهذه المؤسسة اللغوية التي نأمل أن تُعبِّر عن استقلال هويتهم العربية، ونطمح لهذه المؤسسة أن تكون قاعدة قوية في تثبيت الهوية العربية الأولى التي تُشكل أساساً لهويات عربية متجذرة.

أقر البرلمان الصهيوني إنشاء مجمع اللغة العربية بناء على طلب تقدم به الأستاذ غالب مجادلة أحد الأعضاء العرب فيه، وقد أُقيم في حيفا في داخل الأرض المحتلة في ديسمبر من عام ٢٠٠٧م، وأسندت رئاسته إلى الدكتور محمود غنايم، وهو في أعماله وسلطاته مشابة "بدرجة كبيرة لسلطات وأعمال مجمع اللغة العبرية"[٢٧].

وتتمثل أهداف هذا المجمع في:

– دراسة اللغة العربية بفتراتها وفروعها المختلفة.

– العمل بمجالات الصرف، النحو، الثروة اللغوية، اللفظ، النسخ وكتابة اللغة العربية، ويشمل التجديدات اللغوية والملائمة لعصر التقنية والحوسبة المتقدمة.

– تحرير قواميس عامة وخاصة.

– بحث الثقافة العربية، ويشمل مجالي لأدب والشعر.

– إقامة علاقات وتبادل معرفة مع مجمع اللغة العبرية ومع معاهد بحوث اللغة العربية والعبرية في

(٢٧) يُنظر، مجمع اللغة العربية في حيفا، موقع (ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

إسرائيل والعالم.

– التعاون مع وزارة التربية والتعليم ومع معاهد التعليم العالي وإعطاء مشورة في مجال عملها.

– نشر تقارير وأبحاث وتنظيم مؤتمرات حول مجال عملها"[٢٨].

وللمجمع لجــان دائمة هي: لجنــة الأبحاث والنشر؛ لجنة المصطلحات والتعابير؛ لجنة القضايا اللغويــة اليوميــة، والتــي تشمل لجنــة الأسماء أيضــاً، وهناك أيضاً لجــان لمهمات محددة، لجان المصطلحات المهنية، بالإضافة إلى لجان مؤقتة.

وأياً ما يمكن أن يقال في أهداف الإسرائيليين من إنشــاء هذا المجمع العربي فيكفــي على أسوأ الأحــوال، فيمــا أرى ـــ أن يُسمع بــين جُدُرِهِ وفي أنشطتــه ومنشوراتــه أصوات تنصــف الفصحى، وتُذْكي حماسة الشبــاب والشيوخ في الانتصار إلى المحافظة عليها.

يقــول الدكتور ســالم العطاونــة: "المجمع هو مؤسسة علمية جاءت مــن أجل تعزيز مكانة اللغة العربية لدى الأقلية العربية في إسرائيل، ومن أجل مواكبــة التطور العصري السريــع في هذا المجال، ويمكن النظر لهــذا الصرح العلمــي الشامخ بأنه منارة حضاريــة لها رمزيتها، فهــي تمثل الانتماء والهويــة القومية الوطنية التي نحن بأمس الحاجة لغرس جذورها عميقاً في هذه البلاد"[٢٩].

دور السلطــة الوطنية الفلسطينية في إنهاض اللغة العربية وتنميتها:

ورثت السلطة من الاحتلال شعباً أُنهِكت قواه، وخرِّبَــت مؤسساته وموارده الذاتية؛ ليبقى معتمداً على غيره في أبسط مقومــات الحياة؛ الأمر الذي أثقل كاهلهــا، وجعلها تواجه كثــيراً من المصاعب والمشكلات؛ إضافة إلى المعوقات والعراقيل والموانع التي تفنن الاحتلال في صنعها؛ إضافة إلى مناكفات المعارضــة في ظــلال حرص السلطة علــى إذاعة الحرية، ودعم الرئيس الراحل ياسر عرفات لمقاومة الاحتلال؛ الأمــر الذي استفيد منه في ترجيح كفة تيار المقاومة علــى تيار السلام والمقاومة السلمية، وتقويض قدرات السلطة لإضعافها.

وأيا يكن الأمر فسنشير في هذا السياق إلى أثر السلطة في حاضــر لغة شعبها بشكل عام، وسنقف عند دورهــا في بناء المؤسســات أو دعمها مما له علاقــة بدعم اللغة العربيــة وفتح مجالات جديدة لها في الحيــاة الفلسطينية الطامحــة إلى الحرية والاستقلال؛ إذ وجدنا السلطة الوطنية منذ يومها الأول توجه إمكاناتها وطاقاتها إلى إقامة المؤسسات الحكومية المتمثلة في السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية، وانطلقــت وزارتها كل في مجالها نحو التأسيســ والبناء، وكذلك تدعــم إنشاء مؤسسات المجتمع المدني، كإقامة الجمعيات والنوادي الثقافية، وكان إصــدار المرحوم –بــإذن الله– ياسر عرفات لمرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية الفلسطيني تنبيهاً إلى أهميــة اللغة العربيــة في الحفاظ على عروبة الهوية الفلسطينية.

أثر السلطة في حاضر لغة الشعب:

ليس مــن شك في أنــه كان لإقامــة السلطة الوطنية الفلسطينية –أياً كانت ملابسات إنشائها، والقيود المفروضة عليها التي تمنعها من الانطلاق بحرية في بناء شعبها ومؤسساته الوطنية– فقد كان

(٢٨) يُنظر السابق.

(٢٩) يُنظــر «مجمع اللغــة العربية منارة حضاريــة تمثل الانتماء والهوية القومية والوطنية».

لمجرد وجود نفس فلسطيني عربي يدير الأمور أثره القوي في تنفس الفلسطينيين الصعداء، وشعورهم بفلسطينيتهم وعروبتهم، وأنهم قادرون على البناء؛ الأمر الذي ترك بصمات في اللغة العربية.

ونود في هذا المقام الوقوف عند مظاهر التأثير اللغوي للسلطة، وسنجدها تنقسم إلى قسمين، الأول ناتج عن وجود السلطة والآخر ما قامت به السلطة في سبيل تعزيز مكانة العربية في شعبها، وذلك على النحو التالي:

الأول- التأثير الناتج عن وجود السلطة:

عبر بعض مؤسسات المجتمع المدني عن الحالة الجديدة للشعب الفلسطيني؛ فأرادت أن تعكس أثرها في لغته؛ إذ عمدت إلى مراعاة الذوق اللغوي للمجتمع الفلسطيني، وذلك بنبذ الألفاظ التي تحمل أحشاؤها دلالات احتلالية، وذلك مثل مصطلح (العميل) الذي تستعمله أكثر البنوك والمصارف العربية؛ فهذه الكلمة لا يقبل الفلسطينيون وصفهم بها؛ لأن من مجالات استعمالها التجسس لصالح الاحتلال، وقد أدرك "البنك العربي" في فلسطين نفور الفلسطينيين العام منها فأعلن عن مسابقة دعا الجمهور الفلسطيني إلى اقتراح بديل لها، وكتبت في هذا الموضوع مقالة لغوية[٣٠]، وكنت أحد الفائزين في "مسابقة البنك العربي" في فلسطين بشأن تغيير هذه الكلمة البغيضة عند الفلسطينيين، وكانت الكلمة البديلة المقترحة (المعتمد)، ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن إعلان نتيجة المسابقة الذي نشره البنك العربي قد تضمن المسوّغات التي جعلته يرتضي هذه الكلمة، وهي ذاتها التي ذكرتها تسويغاً لاختياري لهذا المصطلح العربي المولد.

وحذا البنك الإسلامي الفلسطيني حذو سابقه البنك العربي في التغيير، ولكنه اختار مصطلح (المتعامل)، وهو تغيير أراه غير مُوَفّق؛ لأنه يحمل في حروفه دلالات المعنى الداعي إلى التغيير، وهو التعامل مع الأعداء.

الآخر- جهد السلطة تعزيزاً وتنفيذاً:

وتمثّل هذا الجهد في حرص السلطة على عروبة اللسان والهوية والثقافة؛ فوجّهت إلى كل ما من شأنه تعميق هذه القيم في شعبها، ومن ذلك مما يدخل في خدمة اللغة العربية مجال هذه الدراسة، أذكر ما يلي:

١- اتجاه الاستغناء عن العبرية:

أشرنا من قبل -في هذه الدراسة- إلى أثر العبرية لغة قوة الاحتلال في لغة الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع، ولكنه بقدوم السلطة، وتَنَعُّم الشعب الفلسطيني ببعض أنفاس الحرية أخذ هذا الأثر الاحتلالي يخف شيئاً فشيئاً عن لغة الفلسطينيين لتحل محله الألفاظ والتراكيب العربية ولاسيما في قطاع غزة، فقد كان لانسحاب الإسرائيليين من داخل المجتمع الغزي، وفرض الحصار، ومنع تواصل الغزيين ولاسيما العمال أثر كبير أيضاً في إخفاء معالم العبرية من ألسنة الشباب، فلا يكاد المتبع لهذه الظاهرة اللغوية على ألسنة الغزيين اليوم يظفر إلا بكلمات لا تزيد كثيراً في عددها على أصابع اليد الواحدة، مثل: تفتفوف -حمام، ويطغى عليها كلمة مشتل أو دفيئة أو صوبة عند المتعلمين -مشطاح- أرجاز، ويطغى عليها صندوق أو بكسة -منوف- بجوم (الجيم

(٣٠) جاءت هذه المقالة بعنوان: «الوضع اللغوي الجديد في ضوء مسابقة البنك العربي في فلسطين»، مجلة نور اليقين -معهد فلسطين الديني (الأزهر)، عدد٩٤ -فبراير ومارس ١٩٩٨م.

القاهرية) -كنيست- مخشير.

أقـــــــول:

يأتي هــذا التخفف من أثر العبرية بمثابة أثر عام ناتج عن الجو الفلسطيني الجديد؛ الأمر الذي هيّـأ للمجتمع المتشبث بقيـم الفلسطينية العربية الرجــوع بالفطرة والمبــادرة الذاتية فرصة التخلي عن دخيـل العبرية، ومــن مظاهر هــذا التخفف الفلسطيني من الدخيل العبري تلاشي ألفاظ عبرية كانت دارجة على الألسنة، مثل: (تحناه) ليُرجع إلى الكلمة العربية (موقف)، و(مفترق نتساريم) ليُرجع إلى المصطلح الأول (البوليس الحربي)، و(رمزون) ليُرجــع إلى التركيب العربي (الإشــارات الضوئية، وهكذا.

٢- اتجاه السلطة إلى تسويد العربية:

وذلك على النحو التالي:

- استعمــال العربيــة وحيدة- بعــد أن كانت العبريــة تزاحمها إبّان الاحتلال -في تعاملاتها مع الجمهــور الفلسطيني ومؤسساتــه المدنية، وجعلها لغة التخاطــب الوحيدة في وزاراتهــا ومؤسساتها الإداريــة ومراسلاتها، وهي عادة ما تكون بالعربية الفصيحة.

- تدخُّل السلطة المباشر في تعزيز التوجه الدافع إلى إبــراز خصائص الإرادة العربيــة الفلسطينية في تغيير لغــة الفلسطينيــين؛ فنراهــا تعمد إلى تغيير مصطلحات ذاعــت في عهد الاحتلال، مثل: (الإدارة المدنيــة) صــارت (وزارة الشئون المدنية)، و(جسر النبي) صار (جسر الكرامة)، و(إيرز) صار (مَعْــبَر حانون)، و(الضفة الغربية) صارت (الضفة الفلسطينية) أو (محافظات الشمال)... الخ.

- إذاعــة السلطة لألفــاظ وتراكيب تُعبِّر عن السيــادة على الأرضــ، مثل: (الدولــة -الأراضي الفلسطينية -الأراضي المحــررة - الأمن الوقائي وليــس "الأمــن الداخلــي" كما هــو مستعمل في دولة الاحتلال، والعلم -جــواز السفر الفلسطيني -المجلســ التشريعــي -مجلســ الــوزراء - وزارة التخطيط والتعاون الــدولي -تلفزيون فلسطين - هيئة الإذاعة الفلسطينية -الفضائية الفلسطينية -معرضــ الكتاب الفلسطينــي -الإحصاء وتعداد الســكان -الهــلال الأحمر الفلسطينــي -الدفاع المدني -قانون الخدمة المدنية -التأمين والمعاشات -التوجيه المعنوي -قوات الأمن الوطني -الشرطة الفلسطينيــة -الأجهــزة الأمنيــة -المخابرات - الاستخبــارات -الرئيس -حرس الرئيس -المنتدى (مقر الرئاسة -الوزير -اللواء -المحافظ -العميد -العقيــد -المقدّم -النقيب وغــير ذلك من ألقاب استجد أمرها في بيئتنا الفلسطينية -البنية التحتية -بناء المؤسسات -مدينة عرفات للشرطة -الإعمار -سلطة النقد الفلسطينية -الضابطة الجمركية - شركة الاتصالات الفلسطينية -الجوال الفلسطيني -المطار -الميناء -جامعة الوطن أو جامعة الدولة: وهذان التركيبان الأخيران يطلقهما الخطباء وبعض المسئولين على جامعة الأزهر في غزة)، وهلم جرّا.

- إذاعــة السلطــة لألفاظ وتراكيب عربية لها علاقة بالواقــع الفلسطيني وصراعــه مع المحتل، مثل: (تفكيك المستوطنات -حق العودة -التعويض -الطــرف الآخر -الممر الآمــن -المعابر والحدود -الطــرق الالتفافية -التنسيــق الأمني -الارتباط المــدني -الارتبــاط العسكري -كبــير المفاوضين

-الحصار بدلاً من (سيجر: الجيم قاهرية) - العائدون -المقيمون، وغير ذلك.

٣- دور وزارات السلطة في خدمة اللغة العربية:

وأياً تكن حداثة تجربة هذه المؤسسات الحكومية الرسمية، وما لابس إنشاءها من عدم استقرار، ومتطلبات مدنية لا حصر لها، واتفاقيات مُكبّلة، ومشكلات كثيرة حدَّت من آمالها في التنمية والاستجابة لمتطلبات شعبها المتعطش للبناء في مختلف نواحي الحياة فقد كان لها -في الأغلب- الأثر المفيد الدافع نحو الارتقاء، وسنقف في هذا السياق عند الوزارات التي يؤثر عملها في اللغة العربية مجال الدراسة.

وزارة التربية والتعليم:

شرعت وزارة التربية والتعليم منذ إنشائها في بناء دور العلم؛ لتزيد من عدد مدارسه ومعاهده، وعقد المؤتمرات والندوات وورش العمل؛ بغية إعداد الدراسات والخطط لبناء منهج فلسطيني متكامل لتلامذة المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، وقد نجحت في هذه المهمة بعد أن كان الغزيّون يعتمدون على المنهج المصري، والضفيون على المنهج الأردني؛ الأمر الذي أدخل الروح الفلسطينية وتأثير خصائصها في بناء الأجيال الصاعدة، وأفاد في إذاعة كثير من ألفاظ العربية الفصيحة وتراكيبها الذائعة على ألسنة الفلسطينيين؛ فقرّب مضامينها إلى عقول التلاميذ.

إن اطلاعاً سريعاً على الكتب المدرسية التي ألفتها الوزارة في مختلف التخصصات تكشف عن كتابتها بالعربية الفصيحة، وحرصها على تعريب الألفاظ والمصطلحات الدخيلة، وفي هذا المجال وجدنا الوزارة حريصة على كتابة المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي.

ومن دلائل حرصها على عربية المصطلح اختيارها في منهاج التربية الوطنية لمصطلح (الدفيئات) ومفردها (دفيئة)، بدلاً مما هو شائعٌ في لغة المجتمع الفلسطيني؛ فالمستعمل عندهم في هذا المجال مصطلح (المَشتل) وجمعها (المشاتل)[٣١]، و(الحمامات الزراعية).

أما المصطلح الأول (المشتل) وجمعه (المشاتل) فهو اسم المكان الذي تُنَبّت فيه البذور، أو إن

(٣١) ويطلق على الدفيئات أيضاً (الصَّوبة) وجمعها (الصَّوبات) وتعني البيوت البلاستيكية الزراعية التي تُنمى فيه البذور والنباتات الصغيرة، وتستعمل العامة في فلسطين: (مشتل)، وجمعها (مشاتل)، و(حمّام) وجمعها (حمّامات)، وكلمة (حمّام) يستعملها الإسرائيليون، ويجمعونها (حمّاموت)، واللاحقة (وت) في العبرية تقابل اللاحقة العربية (ات) فيما جُمع بألف وتاء مزيدتين.

على أن المعنى العلمي الزراعي لكلمة (المشتل) هو مكان إنبات البذور، وتنمية النباتات الصغيرة التي تنقل بعد ذلك إلى الأرض المستديمة.

ومن استعمالات كلمة الحمّام أيضاً دلالتها على المغتسَل العام الذي يغتسل فيه الناس، ويوجد في مدينة غزة «حمام السُّمرة»؛ نسبة إلى أصحابه الأوائل من الطائفة السامرية، والسُّمرة بتشديد السين وضمها، وتحريك الميم بالفتحة جمع لكلمة «السامري»، وتُنطق هذه الكلمة الآن بتشديد السين وفتحها، وتسكين الميم؛ فيقال: (حمّام السَّمرة)، ويقصده الناس الآن للعلاج أو الاغتسال.

وتقول العامة في فلسطين: (شتل ثوب)، و(شكله)؛ أي رفعه وجمعه في وضع معين؛ ليسهل عليه المشي والإسراع فيه، أو ليتجنب أوساخ تراب الأرض، وجاء في المعجم: «وشكل الدّابّة يشكلها شكلاً وشكّلها: شد قوائمها بحبل، واسم ذلك الحبل الشِّكَالُ، والجمع شُكُلٌ».

ولكلمة (المَشتل) معنىً فلسطيني خاص؛ فهو هذا المكان - سيئ الصيت والسمعة- الذي يقع على ساحل البحر في جنوب مدينة النصر الواقعة في الشمال الجنوبي لمدينة غزة، وهو المكان الذي تستعمله الحكومة للحجز والتحقيق، وتعود هذه التسمية لأن مكان التحقيق الذي أُطلق عليه هذا الاسم أقيم على جزء من أرض المشتل الذي يشكل موقعاً لإنتاج شتلات الكينيا والأكاسيا.

شئـت فقل بلغة بعض الخاصـة والعامة: (البيوت البلاستيكيـة)، ومـن مجموعتـه: (شتلـة)، وهي فارسية، وتعني النبتة الصغيرة التي تنقل إلى مكان مستـديم، وجمعها (شتل وشتلات وأشتال)، ولم يرد لهـذه المجموعة ذكـر في معجمات اللغـة العربية القديمـة، كالعين والصحـاح وتهذيب اللغة ولسان العرب والقاموس المحيط والمحكم وتاج العروس.

وإذا كان الناسـ في فلسطين وغيرها من بلاد العرب يستعملون هـذا اللفظ وألفاظاً أخرى ترتدُّ إلى الجذر المذكـور فلأن لغتهم المعاصرة قد ورثت هـذا كله مـن الأسلاف، جاء في المعجـم الوسيط الـذي اعترف بحق المحدثين (شتـل) الزرع شتلاً: نبت البذر في مكان ليغرسه في مكان آخر (مُحدَثة)، (الشَّتلـة): النبتـة الصغيرة تنقل مـن منبتها إلى مغرسهـا (مُحدثة)، المَشتل): أرض يُبَذَر فيها البَذر حتـى إذا مضى عليه شهـر أو أكثر نُقل ليُغرس في مكان آخر (محدثة)"

لم يختـر المنهاج الفلسطيني مـا هو ذائع على ألسنـة الناسـ رغم عروبة صوتـه وبنائه ودلالته، وإنمـا اختار ما شاع استعماله في البحث الزراعي، وهو (الدفيئة) وجمعها: (الدفيئات)، وهي البيوت البلاستيكيـة التي تُنمّـى فيها البـذور والأشتال والزروع، وجاء في المعجم الوسيط: "(الدفيئة) غرفة زجاجية تُربّى فيها النباتات، وتدفأ صناعياً.

وزارة التعليم العالي:

قامـت وزارة التعليم العالي[٣٢] بدور واضح في تنظيم الأقسـام الأكاديميـة في الجامعات، وذلك من خـلال إخضاعها لاختبـارات معايير النوعية والجودة؛ لمنحها ترخيص الاعتراف بها، وشاركت في جلب الدعمين المعنوي والمادي للجامعات وطلبتها، وعملـت على توفـير المنح والبعثـات الدراسية في الجامعـات العربية وغيرها، وكذلك المنح الداخلية للطلبة المتفوقين في الجامعات الفلسطينية[٣٣].

وإذا كانـت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية قد عُنيت بتعريب المصطلح فإن ما يمكن أن نأخذه علـى وزارة التعليـم العـالي أنها لم تـول اهتماماً بتعريـب لغـة التعليـم في مجالات كليـات الطب والصيدلة والعلوم البحتة والحاسوب، وأنها أجازت في السنوات الأخيرة تخصصات أو أقساماً في كلية الحقوق، وكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية لا تدرس إلا باللغة الإنجليزية.

وكمـا هو معروف فإن تدريسـ هذه الكليات لعلومها بلغـة أجنبية لا تنفرد بـه جامعات وزارة التعليم العالي في فلسطين، وهو يكاد يشكل اتجاهاً عاماً في الجامعات العربية.

كنـا نود من هذه الـوزارة أن تبـدأ تنظيمها للجامعـات الفلسطينية بتعميـم اللغة العربية لغة للتدريسـ في جميع التخصصات، وأن تقوم بعملية ترشيد للتخصصات التي تحتاج إلى لغة أجنبية بما

(٣٢) ضُمّت هذه الوزارة الآن مع وزارة التربية والتعليم.

(٣٣) وفي الجانـب التعليمي في فلسطين لا يمكن إغفال الخدمات الجليلـة التي تؤديها الأونروا في وكالة الغـوث الدولية لتعليم أبناء اللاجئين وبعض المواطنين، وإذا كانت هذه المؤسسة تلتزم بالمناهـج الفلسطينية في فلسطين وبمنهاج الدولة المضيفة لهم في الشتات فإنها بما تقيمـه لموجهيها ومديريها ومعلميها من نـدوات ودورات إنعاشية في مجـالات التربية والتعليم والإدارة التعليميـة، وتُسندهُ لهم من أعمال تُسهـم في تحسين مستوى الأداء لموظفيهـا، وتصب في خدمة تيسير توصيل المقررات إلى الطلبـة، ومن أهم ما أنجزته في العامـين الأخيرين اهتمامها ببرامـج المعالجة، والمعلم المساند، وتخفيض عـدد التلاميذ ليكون في الفصل الواحـد بمعدل ثلاثين تلميذاً فقط، وتعيين المتفوقـين دون محسوبيـات أو اعتبارات حزبيـة أو سياسية، وتقديم مساعـدات للتلاميذ الفقراء، وتقـديم وجبة غذائية مراقبـة لجميـع التلاميذ، وشروعهـا في هذا العـام بتعيين المتفوقـين من خريجي الجامعات في مدارسها، وفي الجامعات ذاتها.

يلبي متطلبات المجتمع الفلسطيني المتمسك أبناؤه بعروبتهم وفلسطينيتهم، وكما أعرف فإن هناك المتحمسين للتعريب، وينتظرون الخطوة الدافعة لهم لإثبات نجاعة ثمار حماستهم، ولا أراها إلا بحاجة إلى القرار الحاسم يُصدره عقل مؤمن بقدرة لغة أمته على التعبير عن مختلف متطلبات الحياة، وواع بما امتلكته أمته العربية الإسلامية من تفوقٍ علميٍّ، وازدهار حضاري، في وقت كان يعيش فيه متفوقو اليوم الظلمة.

وزارة الثقافة:

وفي مجال وزارة الثقافة وجدنا اهتماماً بتشجيع الكتّاب والفنانين الفلسطينيين؛ الأمر الذي أسهم في نشر بعض الكتابات الفلسطينية في مجالات الإبداع والتراث، وعاد بالنفع على اللغة العربية في فلسطين، وكذلك عُنيت بإقامة معارض الكتب والفنون، وسهّلت إقامة النوادي ومراكز التثقيف المتنوعة، ولكنها –كما رأى- لم تُفلح في اختصاصها بهيئات إدارية مؤهلة، وفشلت في أداء دورها في التوجيه والمراقبة، ويبدو أن ضعف الإمكانات المالية المخصصة لهذه الوزارة، وعوامل أخرى كأثر عدم استقرار الأحوال، وتعيين غير الأكفاء وتكدّسهم قد جعل دورها في التثقيف والتنوير محدوداً جداً.

وزارة الإعلام:

وفي مجال الصحافة والإعلام وجدنا للرئاسة ووزارة الإعلام دوراً مشتركاً في ترسيخ مبادئ حرية الكلمة والنقد الهادف البنّاء؛ فأقامت الإذاعة الرسمية –سواء أكانت مرئية أم مسموعة- ممثلة في إذاعة صوت فلسطين، وتلفزيون فلسطين، وفضائية تلفزيون فلسطين، ووكالات الأنباء كـ(وكالة وفا) وما إلى ذلك.

وسمحت أيضاً بإقامة مؤسسات إعلامية محلية خاصة، كالإذاعات والقنوات التلفازية، ووكالات الأنباء المحلية، ونشر الصحف والمجلات المكتوبة والإلكترونية، ولم تفرض أية قيود على النشر والإعلام، وإقامة المهرجانات والمؤتمرات العامة والخاصة والمؤيدة والمعارضة.

وليس من شك في أن لهذه النهضة الإعلامية التي لم تشهدها فلسطين من قبل أثراً فعالاً في دعم الجانب الإعلامي الفلسطيني، وإذاعة خصائص لغوية لإعلامييه تستحق الدراسة المتخصصة لترسيخ قيم المراجعة اللغوية والتقويم، وتعزيز مكانة المحرر اللغوي الذي يقوم بتحرير النصوص من الأغلاط اللغوية، وتقويم أساليب الصياغة وتوجيهها نحو الالتزام بقواعد اللغة الفصيحة.

وإن أهم ما يمكن أن نأخذه في هذا السياق هو عدم مقدرة الوزارة على محاسبة كثير من مؤسسات الإعلام الفلسطيني، ومراقبة أدائها وفق معايير الجودة، واختبار قدرات العاملين فيها؛ وذلك لارتباط أكثرها بالأحزاب أو توجهات خاصة، إضافة إلى عدم الاستقرار.

وفي مجال مدى سلامة اللغة الإعلامية والإعلانية فإن اللغوي أو خبير اللغة يأسى لحالة اللغة المتردية على ألسنة كثير من الإعلاميين؛ فهي –في الأغلب- مليئة بأغلاط نطق مخارج الصوت وصفاته، أو طريقة نطق الكلمات، وقراءة الجمل أو إلقائها بطريقة لا تفصح الإفصاح المطلوب عن معانيها ومراميها؛ الأمر الذي نراه يتطلب من وزارة الإعلام جهوداً كبيرة؛ لترتيب أوراقها،

وتطبيق أنظمتها لترتقي بالإعلام الفلسطيني وفق معايير مهنية بعيداً عن أية حسابات.

ونبــه في هــذا السياق اللغـوي على ضرورة عنايتها باللغة الفصيحة، ومحاسبة الخارجين على أنظمتها الحساب العسير؛ لأنهم بمغادرتهم الطريق السليم للعربية الفصيحة يسيرون في الطريق المعاكس لتثبيت الهوية العربية في أرض الأنبياء والأجداد.

علــى أن هذا الانتقــاد اللاذع للغــة الإذاعة الفلسطينية خاصــة لا يعني عدم وجود إعلاميين فلسطينيــين أكفيــاء يمتلكون ناصيــة الإبانة بلغة فصيحة بليغة؛ فهؤلاء يمكن أن يكونوا قِدَىً يحتذي الناس لغتهــم كتابة أو نطقاً، ويكــون إبداعهم في لغتهم شواهد سليمة تسهم في تنمية اللغة.

وندعــو –في هذا المقــام– وزارة الإعلام إلى ضــرورة المراقبــة لوسائل الإعــلام في ضوء خطة ملزمة، وتفعيــل دور الرقيب الإعلام بصفة عامة، والرقيب اللغوي بصفة خاصة، ولإقامة دورات اللغة والإلقاء، والاستعانة بالخبرات العربية في التدريب والتوجيه والمراقبة.

وزارة الأوقاف والشئون الدينية:

إن المتتبــع لجهــود وزارة الأوقــاف والشئون الدينيــة يجد أنها برعت في مجــال إعداد البرامج الدينيــة المتنوعة، وتحفيظ القرآن، وتنظيم دورات في تعليم أحكام تجويد القرآن، والخطابة الدينية، وإقامة الاحتفالات الدينية العامة، وإقامة الندوات والمؤتمرات في مجالات علوم الدين، وإيلاء القدس فيها اهتمامــاً خاصاً، وإعــداد المسابقات المحلية والدولية، وتأهيل طلبة العلم في فلسطين للمشاركة في مسابقات حفظ القــرآن وتجويده على مستوى العالم الإسلامي، وقد حققت الوزارة بمن اختارتهم مــن المتسابقين مراتب دوليــة متفوقة، وما قدمته من جوائــز ومكافآت لمريدي العلم الديني بصمات مشهودة في نشر التثقيف الديني، واستيعاب مريدي الدراسات الدينية الذين ازداد إقبالهم عليها بشكل ملحوظ.

ولكي تلبي الوزارة هذه الرغبة في تعلم العلوم الشرعية على أسس منهجية وتربوية أنشأت مدارس التعليــم الشرعــي التي يشــترط لدخولها حصول التلميــذ في المرحلــة الابتدائيــة علــى ٨٠٪ حداً أدنــى؛ ليدرس فيها مجاناً المقــررات التي يدرسها أقرانــه في المدارس غير التابعة لوزارة الأوقاف في فلسطــين؛ إضافة إلى مقررات دينية تؤهله لدخول كلية الدعوة الإسلامية التــي أنشأتها هذه الوزارة في الضفــة الفلسطينية وقطــاع غزة؛ بغية تخريج أفــواج مــن الدعــاة المسلمين والمعلمــين المؤهلين للبحــث والتحليل في فــروع الشريعــة الإسلامية وأصول الديــن، والقادرين علــى الفتوى والوعظ والإرشاد بلغــة العصر وبما يتفق وسماحة التعاليم الإسلامية.

وغنيٌّ عن البيان الإشارة إلى أثر هذه الإنجازات التي برعت وزارة الأوقــاف في تنفيذها في تعميق ثقافــة النشء بأهمية اللغــة الفصيحة لهم؛ لأنهم يحتاجون إليها في كل مجالات دراستهم وعملهم.

٤- دعــم السلطــة لإنشــاء مؤسســات المجتمع المدني:

دعمــت السلطــة مؤسســات المجتمع المدني المؤسسات الأدبية والثقافيــة واللغوية؛ فعززت ما هو قائم منها، ومنحت جديدها التراخيص اللازمة

والضمانـــات الحامية لعملهـــا، وعملت على إنشاء بعض منهـــا، ومن هذه المؤسســـات: اتحاد الكتاب الفلسطينيين ومجمع اللغة العربية الفلسطيني وبيت الشعر وصالون نون وغيرها مـــن النوادي والمراكز الثقافية.

كانت المطالب والآمال كبيرة في ضوء إمكانات هزيلة وتجربـــة إدارية جديـــدة؛ وتفاعل مجتمعي متعطشـــ إلى الحريـــة، سيطـــرت علـــى علاقاته وتعاملاته عواطف اللقاء بعد الغربة، وقيم المجاملة والتعاطف، ومتطلبات النخوة العربية؛ الأمر الذي أدى إلى خروج على الأصول والنظم أحياناً.

وسنقف في هذا المقام عنـــد بعض مؤسسات المجتمع المـــدني الأدبية والثقافية واللغوية التي لها أثـــر في دعم اللغة العربيـــة، وسنرتب حديثنا عنها بحسب تاريخ النشأة.

اتحاد الكتاب الفلسطينيين:

نشأ اتحـــاد الكتاب الفلسطينييـــن[٣٤] في عام ١٩٨٠، والشعب الفلسطيني واقع في أسر الاحتلال، وهو ذو شخصية مستقلة غير حكومية، وتتركز مهمته -بصفـــة عامة- في تجميع الأدباء الفلسطينيين من شعـــراء وناثرين لـــ "يشكل فضاء متاحـــاً للتعارف والتفاعـــل والانتشار مـــا بين الكتـــاب أنفسهم من جهـــة، والمجتمع مـــن جهة أخـــرى "للاستفادة من طاقاتهم الإبداعية"، و"النهوض بالحركة الثقافية الفلسطينية".

أما عن أهداف الاتحاد فيمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

- توفير الظروف الملائمة لنمو طاقات الكاتب الفلسطيني الإبداعية وتطويرها.

- التعريـــف بالكُتّـــاب الفلسطينيين ودعمهم وتشجيعهم، والدفاع عن حقوقهم المادية والمعنوية.

- نشر إنتاج الكُتّاب الفلسطينيين، والعمل على توفير التكاليف المادية لذلك.

- تشجيع المواهـــب الإبداعية الصاعدة لرفد الحركة الأدبية في فلسطين.

- تنظيـــم الـــدورات والنـــدوات والمحاضرات واللقـــاءات والاحتفـــالات والمراســـم والمشاركة في داخل فلسطين وخارجها بما يخدم الحركة الأدبية والثقافية.

- تشجيع الدراسات الأعمال البحثية والأنشطة الثقافية ورعايتها.

- إصـــدار المطبوعات والنشرات وتبادلها على المستويات المحلية والعربية والعالمية.

أسهـــم اتحاد الكُتّـــاب الفلسطينيين في تفعيل الحركة الأدبية في فلسطين بجمعه لفرسان الكلمة الأدبيـــة، وذلك بنشره لعشـــرات الكتب في مجالات الإبـــداع الشعـــري والنـــثري، والدراســـات الأدبية والنقدية، وهو في نشره لهـــذه المنشورات لا ينتصر لرؤيـــة على أخـــرى، أو لون أدبي علـــى آخر؛ فهو دومـــاً إلى جانب حرية الأديب "الإبداعية والفكرية والسياسية".

وفي هذا السياق أصدر الاتحاد نشرة أسبوعية بعنـــوان: (انتفاضـــة الكلمة)، واكب فيهـــا أحداث انتفاضـــة ٨٧ في أشهرهـــا الأولى، وقد صدر منها خمسة عشر عـــدداً، وأصدر أيضـــاً (مجلة الكلمة)

(٣٤) اعتمـــدت في حديثـــي عن اتحاد الكتـــاب الفلسطينيين على نشرتين تعريفيتين، أُرِّخت إحداها في تموز ١٩٩٥، أما الأخرى فهي بلا تاريخ.

لنشــر أعمــال الأدبــاء الفلسطينيــين والدراسات المتخصصة في مجالهــا، وتهدف إلى تفعيل الحركة الأدبيــة والثقافية في فلسطــين، وقد نشرت بحوثاً متخصصة في النقد الأدبي ومجالات الإبداع الأدبي المتنوعة (الشعر وأشكاله المحافظة والمجددة، والنثر بفروعه كالقصة والرواية والمسرحية والشعر المنثور أو مــا يُسمى بقصيدة النــثر؛ الأمر الذي يصب في خدمــة اللغة العربيــة ويمدّها بطاقــات إبداعية جديدة تستلهم روح العصر أو الحداثة.

وأقام الاتحاد أيضاً الفعاليات الأدبية والنقدية في داخــل الوطن، وحرصــ على إثبــات حضوره الثقافي في أمثالهــا في الخارج، ولاسيما الفعاليات التي يشهدها معرض الكتاب الدولي في قاهرة المعز في كل عام.

وليســ من شك في أن قيــام هذا الاتحاد قد شــكل حركة باعثــة للحركة الأدبيــة في فلسطين، وأسهم في تنمية الطاقــات الأدبية ودعمها؛ الأمر الذي سينعكس أثره الإيجابي على الكتابة الأدبية، وسيشــدّ من أزر الفصيحــة في بلد يعاني أهله من سطوة الاحتلال ومكائده ليل نهار.

مجمع اللغة العربية –بيت المقدس:

ليســ من شك في أننا في عالمنا العربي في ظل ما يحيط بنا بحاجة إلى التنمية المعتمدة على خبرة العلمــاء، واللغة العربية واحدة مــن أهم مكوناتها القومية التي يجب أن يوليهــا العرب كافة العناية والرعاية؛ لتنميتهــا ولتكون قادرة على التعبير عن عصر تفجــر المعرفة وثورة الاتصالات، وليس أولى من المجامع اللغويــة وعلمائها الخبراء لهذه المهمة الشريفة.

وإذا كنــا في فلسطين نشــد الخطا منذ بداية العقــد الأخــير من القــرن العشرين لبنــاء دولتنا المستقلة، وضربنا في كل منحى لتحقيق هذه الغاية الوطنية فقد كان مجال الحفاظ على اللغة العربية الفصحــى وتنميتها منحى دعونا إلى العناية به من خلال مقالات ومباحث نشرناهــا وأشرنا فيها إلى أهمية اللغة العربية في هذا السياق، ومنها: "قسم اللغة العربية وأثره في إنهاض الأمة"[٣٥]، والاعتناء باللغة من ضرورات بناء الوطن" و"فكرة في طريق بناء الوطن"[٣٦]، و"نحو إقامة مركز لغوي تطبيقي في فلسطــين"[٣٧]، و"رسالة إلى المجتمع العربي من غزة، لغتنــا العربية بحاجــة إلى معجم لغوي عام مُوحد"[٣٨]، و"لغة المجتمع الفلسطيني في ضوء علم اللغة الاجتماعي"[٣٩]، و"تربية الطفل لغوياً[٤٠].

وفي مؤتمــر "نحــو رؤيــة جديــدة لمشكلات المجتمــع في قطاع غزة في ظل المتغيرات المعاصرة" الذي عقــد في مدينة غزة في عام ١٩٩٣م. أدخلت موضوع العربيــة في فلسطين وصراعها مع اللغات الأخرى، وذلك من خلال بحث[٤١] قدمته أوضحت فيه أن مما "ينقص العربية في فلسطين جمعية أو لجنة لغوية يكون من أهم أهدافها:

---

(٣٥) مجلــة توابل –غــزة، العــدد الأول، محرم ١٤١٥هــ =يوليو ١٩٩٤م.

(٣٦) جريدة الكرامة/عدد ٢١/١٠ –١٩٩٥م =نور اليقين/عدد٦٧ –نوفمبر ١٩٩٥م.

(٣٧) مجلة المنبر/عدد١١ –فبراير ١٩٩٩م.

(٣٨) مجلة نور اليقين/عدد١٠٩ –ديسمبر ١٩٩٩م.

(٣٩) مجلــة نــور اليقين/عــدد١١٤، ينايــر ٢٠٠١م +مجلة المنبر/عدد٣٤، محرم ١٤٢٢هـ –إبريل ٢٠٠١م.

(٤٠) مجلــة نور اليقــين، السنة العاشرة –العــدد١١٥، ذي الحجة –مارســ ٢٠٠١م +مجلــة المنبر/عــدد٣٨، رمضــان ١٤٢٢هـ، ديسمبر، ٢٠٠١م.

(٤١) جاء البحث بعنوان: «الصراع اللغوي في المجتمع الفلسطيني»، ينظــر كتاب المؤتمر: ص١١٨ –١٧٨ الــذي أقامته كلية العلوم والتكنولوجيا –خان يونس.

- بث الوعي اللغوي بين الجمهور، والتنبيه على خطر إدخال الألفاظ الأعجمية في كلامهم.

- دراسة لغة المجتمع الفلسطيني: الفصيحة والعامية في بيئاتها المختلفة، صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالةً، وبيان ما فيها من آثار دخيلة.

- استخلاص ما في لغة الفلسطينيين من ألفاظ دخيلة، ونشرها في قوائم توزّع على الجمهور؛ تمهيداً لإعداد معجم لغوي فلسطيني تجمع فيه الألفاظ الدخيلة، قديمها وحديثها، ويبين فيه أصولها، وما اعتراها من تغيير، كما يعرض فيه المقابل العربي الذي يقترحه اللغويون أو غيرهم من العلماء والخبراء، أو أبدعه الجمهور بعد صياغته الصياغة العربية، إن كان مخالفاً لها.

وقد تتطور هذه اللجنة أو الجمعية إلى مجمع لغوي يسعى إلى كل ما من شأنه النهوض باللغة العربية وعلومها، ويعضد في عمله المجامع اللغوية العربية الأخرى، التي -لا شك- أنه سيستفيد من أعمالها، وسيسعى إلى أن يكون عمله مكملاً لها.

وليس من شك في وجود دعوات مخلصة وجهها أئمة الفكر واللغة لإنشاء مجمع لغوي في فلسطين يقوم بخدمة اللغة العربية الفصحى فيها، وقد توجت هذه الدعوات بإصدار المرحوم -بإذن الله- الرئيس ياسر عرفات مرسوم إنشاء (مجمع اللغة العربية الفلسطيني -بيت المقدس) في عام ١٩٩٤م، الذي حدد أهدافه فيما يلي:

- الحفاظ على سلامة اللغة العربية، وتمكينها من مواكبة العصر في مجالات الأدب والعلم والفن.

- حماية اللغة العربية من العواقب التي ترشحها الظروف الراهنة والمتوقعة الناجمة عن مزاحمة بعض اللغات الأجنبية.

- النهوض بمتطلبات الوقاية والعلاج السريعة، وفي مقدمة ذلك تعريب الاصطلاحات المستخدمة في المجالات، النظرية والعلمية وتوحيدها، ووضع المعاجم بالتعاون مع المؤسسات العلمية والتربوية والثقافية داخل فلسطين وخارجها.

- إحياء التراث العربي والإسلامي في اللغة العربية والعلم والأدب والفنون[٤٢].

وللمجمع أن يؤلِّف من اللجان ما يرى فيها نفعاً لتحقيق أهدافه، وهي: لجنة الأصول، ولجنة المعاجم والاصطلاحات ، ولجنة التراث، ولجنة الترجمة والتعريب، ولجنة المجلة والمطبوعات، ولجنة المكتبة، ولجنة التخطيط والدراسات، ولجنة الأطلس اللغوي، واللجنة الثقافية.

وللمجمع مجلة صدر عددها الأول في سنة ألف وتسعمائة وتسع وتسعين؛ أي بعد أربع سنوات من إنشاء المجمع، وهي كغيرها من مجلات المجامع اللغوية العربية تُعنى ببحوث اللغة العربية وعلومها، ودراسة التراث اللغوي، والتنويه بأعلام الدرس اللغوي العربي في فلسطين وغيرها من فرسان العالم العربي والاستشراقي، والشخصيات المجمعية التي كان لها دور فاعل في إحياء العربية ونهضتها في هذا الوطن، وما إلى ذلك من مجالات البحث اللغوي.

على ما تجدر الإشارة إليه في هذا هو أن هذا المجمع أصبح في عداد الأموات؛ لأنه لم يصدر عنه

(٤٢) د. يحيى جبر: مجمع اللغة العربية الفلسطيني -بيت المقدس بعد عام من تأسيسه (١٤٠٦هـ -١٩٩٥م)، ص١٣.

عمــل منذ سنوات، وكما سمعت من أعضائه الذين شكا بعضهم سوء حالــه أنه لم يجتمع منذ سنوات، وقد يكون لعدم الاستقرار أثر كبير في تردي حاله، ولكــن إذا وجدت الإرادة وعزيمة العمل -أياً كانت الصِّعاب- وجد تحقيق الأهداف، وظهرت النتائج أعمالاً.

بيت الشعر:

يشكّل بيت الشعر محفلاً أدبياً راقياً، وقد تأسس في عــام ١٩٩٨م ، وانطلق هذا المحفل وهو يرى أنه مسنــود بطاقات إبداعية رسمــت لفلسطين مكاناً رائــداً مميزاً في الخارطة الأدبيــة المعاصرة؛ فقد تصدر بيان تأسيسه بهذه الإشارة اللافتة الهادفة: "لقــد قدمــت فلسطين لحركــة الشعــر العربية ومنذ مطلــع هذا القرن، وتبلور مشــروع النهضة، مساهمتهــا العظيمة المتمثلة في تجــارب لشعراء كبار من إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي "أبو سلمى" وعبــد الرحيم محمود ومطلق عبد الخالق ومعــين بسيسو وراشد حســين وتوفيق زيّاد وجبرا إبراهيم إلى فدوى طوقان وسميح القاسم ومتوجّة بمحمــود درويش كاعتراف إنســاني بعظمة الروح الفلسطينية وتوهجها".

وعليــه وجدناه وهو يحــدد أهدافه يصدرها بوعديــن يشــكّلان -فيما نــرى- تلخيصــاً لهذه الأهــداف، بقــول: "إن بيتنــا -بيــت الشعــر في فلسطين- الذي يعلــن حضوره في الحياة الثقافية الفلسطينية والعربية هو وعد بالتواصل والحراسة عبر:

- جمــع وتوثيــق تراثنــا الشعــري الشفوي والمكتوب.
- تطوير التجــارب الجديدة ومنحها الفضاء اللازم لتقديم مشروعها وتعميقه.
- العمل باتجاه إقرار القوانين والأنظمة التي تحمي حقــوق وحريته في التعبــير وتصون كرامة الكاتب والنص.
- تنظيــم البرامج والأنشطــة والفعاليات مع المحيــط العربي والعالمي لكسر العزل الثقافي الذي مارسه ويمارسه الاحتلال الإسرائيلي ضد ثقافتنا، والانفتاح على المشروع الثقافي العربي والعالمي.
- العمل على توحيد الجهد الثقافي الفلسطيني في الوطــن والمنفى والمهجر بعيــداً عن اقتراحات السياسي وتقسيماته.

يشكل بيت الشعــر مؤسسة ثقافية فلسطينية تسعى إلى جمــع الشعــراء الفلسطينيين ودعمهم لصقل إبداعهــم، والإسهام في نشره، وإحياء تراث الشعراء السابقين نشراً ودراسة للاستناد إليهم في رصد تواصل الحركة الشعرية الفلسطينية.

ولتحقيق هــذه الأهداف أصــدر بيت الشعر فصليــة (الشعراء)، وقد صــدر منها أعداد كثيرة، وفصلية (أقواس) التي عُنيت بجميع الفنون الأدبية من (مسرح وقصة ورواية وموسيقا وشعر، واهتمت هذه الفصلية بجيل الشباب، وأعد (معجم الشعراء الفلسطينيــين) الذي ضم ما يزيــد على ثلاثمائة وخمسين شاعراً وشاعرة منذ بداية القرن العشري، وخصص لهم موقعاً على شابكة البرّاق (النت).

وأقام هــذا المحفل أيضاً (الزاهــرة)، لتكون داراً للنشر والتوزيع، وفعــلاً تقوم هذه الدار بنشر كل مطبوعات المركز الشعرية والنقدية والشهادات

التوثيقية، وصدر عنها عشرة كتب لمبدعين عراقيين وشارك أيضاً في المهرجانات الأدبية، مثل: (ملتقى فلسطين الشعري الأول) الذي استضاف شعراء من دول عربية، و(ملتقى الشعراء الشباب) في غزة، إضافة إلى مشاركته في فعاليات المهرجانات واللقاءات العربية والدولية وبيوت الشعر العربية.

وأسهم في إنجاح تأسيس (النوادي الشعرية) في الجامعات الفلسطينية، وبذلك "يكون قد وضع يده على منابع الإبداع والأصوات الجديدة والمشاريع الإبداعية التي تحتاج للاهتمام والرعاية"، وله جائزة "بيت الشعر" لأفضل منجز شعري، وبذا يكون لبيت الشعر دور غير منكور في خدمة الحركة الأدبية في فلسطين والوطن العربي؛ الأمر الذي يترك أثره في الانتصار للعربية الفصيحة، ويسهم في إذاعتها وإذاعة أدبها بين الشباب.

صالون نون:

يشكل هذا المحفل علامة بارزة للتحدي الفلسطيني متمثلاً في خنساوين جاهدتا بجهود ذاتية بحتة لإنشائه، هما الدكتورة مي نايف الحاصلة على درجة الماجستير في الأدب والنقد من جامعة الأزهر في غزة، والدكتوراه من معهد البحوث التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة، والأستاذة فتحية صرصور الحاملة لدرجة الماجستير في الأدب والنقد من جامعة الأزهر أيضاً، وكلتاهما من خنساوات الأدب الفلسطيني.

واسم (نون) الذي اخترناه يأتي لينبه على دور المرأة في الحياة بصفة عامة، وليبرز دورها في التجارب الشعرية، وإذا كان هذا المحفل الأدبي من إبداع المرأة الفلسطينية فهو يُعنى بمشاركة الأديب والناقد الفلسطيني، كما مدّ جذوره إلى الساحة الأدبية العربية؛ ليغدو علماً على الإصرار المعتمد على إرادة الذات؛ حيث انعدام الدعم المادي له، وعدم توفر المكان المستقر له؛ إنه يتنقل من مكان إلى آخر ليعقد ندواته وجلساته الأدبية والنقدية التي اعتمد إقامتها في يوم الثلاثاء الأول من كل شهر، وكانت جلسة الصالون الأولى في يوم الثلاثاء، الموافق: ٢٠٠٢/٦/٤م، وهو يستضيف في كل جلسة أحد الأدباء أو النقاد أو الأكاديميين لمناقشة موضوع أدبي أو نقدي، وللتعريف بالأعمال الأدبية الجديدة.

بات هذا المحفل علماً أدبياً، وحلقة تواصل للأدباء في فلسطين ولاسيما في قطاع غزة؛ لأنه فاق في إصرار رائدتيه على العطاء الذاتي كثيراً من المحافل المناظرة التي تجد الدعم المادي واستقرار المكان؛ فهو يحرص على إبراز دور النسوة في التجربة الأدبية، والتعريف بهن، وقد أصدر الصالون كتابه الأول الذي يضم عدداً من المحاضرات التي ألقيت في جلساته، وهو بعنوان: (صالون نون الأدبي –محاضرات أدب المرأة)[٤٣]، وهو الآن يُعد العدة لإصدار كتابه الثاني في هذا المجال.

أصدرت الدكتورة مي نايف كتاباً يعبر عن بعض أهداف هذا الصالون يحمل عنوان: "الخصائص الفنية في شعر المرأة الفلسطينية"[٤٤]، وكتاباً آخر بعنوان: "العنف وقضايا نسوية أخرى"[٤٥]، وأصدرت الأستاذة فتحية صرصور كتاباً بعنوان: "خصائص الأسلوب في شعر فدوى طوقان"[٤٦]، وكتاب "الرؤيا

(٤٣) طبع على نفقة محافظ غزة يونيو ٢٠٠٥م.
(٤٤) الناشر: مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١/٢٠٠٨م.
(٤٥) الناشر: مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١/٢٠٠٨م.
(٤٦) الناشر: سلسلة إبداعات فلسطينية بالتعاون مع اتحاد الكتاب الفلسطينيين –غزة، ط١/٢٠٠٥م.

في القرآن الكريم" –دراسة أسلوبية[٤٧].

حدّد هذا المحفل الأدبي أهدافه فيما يلي:

- الرغبة في التركيز على الدور الفكري للمرأة، وخلق مناخ أدبي نسوي خاص.

- استكشاف المواهب الأدبية النسوية ورعايتها.

- تأكيد حرية الكلمة ذات المدلول الأدبي النسائي.

- شحذ الهمم وتشجيع الكتابة بشقيها من المرأة وإليها، وتحفيز التلاقح في الفكر.

- تهيئة مناخ ثقافي وأدبي يتيح للمواهب المبدعة أن تتفتح وتنمو في جو من الحرية المسؤولة.

- الوعي بقضايا المرأة في المجالات الأدبية والفكرية كافة، والكشف عن فضاءات الأدب النسوي.

- إثراء الجانب المعرفي، وتطوير الرؤى والمرتكزات التي يمكن من خلالها دعم الأدب النسوي.

- القيام بالنشاطات الأدبية والثقافية، المحلية والخارجية عن طريق اللقاءات وإلقاء المحاضرات والندوات.

- فتح قنوات اتصال مع كاتبات عربيات وأجنبيات.

- إصدار نشرات دورية وغير دورية للتعريف بنشاطات الصالون، وعرض لأهم الإبداعات.

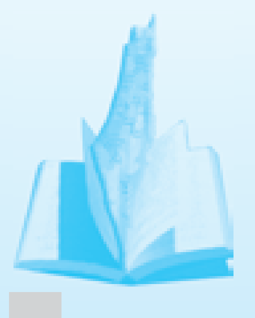
- محاولة وضع سياسة للفكر النسوي الفلسطيني تتوافق والفكر العالمي والتقدّم نحو المجتمع المدني في دولة فلسطين المحررة بإذن الله.

- التواصل مع الأديبات الفلسطينيات في الجزء المقتطع من الوطن إثر نكبة عام ١٩٤٨م.

- فتح صفحة عبر البريد الإلكتروني لإتاحة فرصة النشر فيها أمام الكاتبات[٤٨].

وانطلاقاً من حرص الصالون على تحقيق الأهداف الموضوعة للصالون، ولاسيما تنمية ملكات الشباب، وتشجيعهم بالاستماع إليهم، والتعريف بهم اعتمد لقاء خاصاً بهم يعقد في الخامس عشر من كل شهر، أسماه (دوحة الأدب)، يختص بعرض إبداعات الشبان والشابات الذين وضعوا أقدامهم على أولى درجات سلالم الشعر والقصة والمسرح والرسم والفن التشكيلي والفلكلور الشعبي... إلخ.

كافحت فتحية صرصور ومي نايف لأجل البقاء، وقد نجحتا في إيجاد صالونهما وأثره غير المنكور في إذاعة الأدب النسوي باهتمامه به، واتخاذه من نونه عنواناً له، وتنشيط الحركة الثقافية في فلسطين بصفة عامة، والساحة الأدبية الغزية بصفة خاصة؛ الأمر الذي –أراه– يُثبت له دوراً محموداً في تنمية لغة الشباب خاصة، وتوجيه ألسنتهم إلى الحفاظ على لغة الضاد.



(٤٧) الناشر: سلسلة إبداعات فلسطينية –غزة، ط١/٢٠٠٦م.

(٤٨) نقلاً عن نشرة تعريفية بالصالون.

القسم الثالث

وجـــهــــات نـــظــر في تعليم اللغة العربية



تعليم العربية..
من أين نبدأ؟

أ.د. عبده الراجحي

الأستاذ في جامعة الاسكندرية ورئيس جامعة بيروت العربية، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

الذي لا شك فيه أن تعليم العربية يقع في القلب من هذه المسؤولية، لأن "معضلة" تعليم العربية قد تأخر علاجها تأخراً يكاد يصل بها -مع كثرة ما قيل فيها- إلى حد الاستعصاء. ومن ثم فأرجو ألا يكون خروجاً على الأعراف والتقاليد أن ندعو إلى البحث عن كيفية الوصول إلى قرارات محددة، موجزة، واضحة، نضعها أمام المجتمع، ونتعامل مع أصحاب المسؤولية في التنفيذ.

وأود أن أوكد أن ثمة مبدأين يجب أن يكونا أصلين في كل ما نصدر عنه الآن وفي ما يقبل من الزمان:

الأول: أنه لا تنمية، ولا تقدم، ولا تحقيق للذات دون تعليم صحيح.

الثاني: أنه لا تعليم صحيح في بلادنا دون تعليم حقيقي للغة العربية.

وهذان المبدآن "كليان" universal ينطبقان على البشر جميعاً، لا يرتكنان إلى شيء من العاطفة أو الانتماء القومي والثقافي، بل يستندان إلى نتائج ودراسات علمية تؤكد أن "المعرفة" لا تكون معرفة إلا إذا "سكنت" لغة أصحابها.

غير أني أود أن أشير أيضاً إلى أن "الأداء" العربي العام ليس في أسوأ حالاته كما يشيع بين الناس بل قد يكون على مستوى من الجودة لم يكن واضحاً في الماضي القريب، وذلك ما نراه الآن من التزام معقول في الأداء الفصيح في عدد غير قليل من الفضائيات العربية، وفيما نراه من استمساك كثير من الأسر في مصر -لأسباب قديمة وحديثة- في إلحاق أبنائهم بمراكز تحفيظ القرآن الكريم مما نلحظ بعض ثماره في غير قطاع من المجتمع المصري.

ومع ذلك فإن المعضلة القائمة تؤكد أن "مخرجات التعليم" teaching outcomes أقل بكثير مما يبدو من الإنفاق البشري زماناً ومكاناً....

أيها السادة:

نحـن في حاجة إلى "تغيير" جوهري في التعليم وليس إلى "إصلاحه" على ما يتنادى به الناس، وهذا التغيـير يستحيـل أن يتحقـق دون تغيير حقيقي في تعليم العربية ولكـي نكون "عمليين" كما يقال فإننا ينبغـي أن نحدد "نقطة" محـددة للبداية؛ فمن أين إذن تكون؟

لقد عرضت علـى لجنة "العربية والتعليم" في مجمع اللغة العربية أن نقتصر في البدء على الصفوف الأولى للمرحلة الابتدائية، وقد يكون من الأنفع الآن أن نبدأ بالمرحلة الابتدائية كاملة، لأسباب موضوعية كثيرة نجتزئ منها بما يلي:

١- جـرى العـرف في الأدبيـات التربوية إلى تسمية هـذه المرحلـة "بالتعليم الأساسـي" ومعها المرحلـة الإعدادية أو المتوسطيـة، ومعنى ذلك أنها مرحلة "التأسيس" في التعليم، أي إنها المرحلة الأهم والأخطر في عملية التعليم بأكملها.

٢- أن هـذه المرحلـة تنتهي حـين يبلغ الطفل الثانيـة عشرة، وهـي المرحلة التي يـكاد الباحثون يتفقون أنها "المرحلة الحرجة" critical age. وهي التي يصعب إتقـان اللغة إذا لم تكن قد "سكنت" في مراكزها في المخ في هذه السن.

٣- إن الطفل في هــذه المرحلة ينغمس انغماساً كبـيراً في مجالات متنوعة من النشاط، ويتسع اتصاله بالعالم من حوله. وقد تجدر الإشارة إلى أن الطفل الآن يختلـف في هذه المرحلة اختلافـاً جوهرياً عن نظيره منذ عشرين سنة لما تمده به الحياة المعاصرة من أدوات للمعرفة والاتصال لم يسبق للبشرية عهد بها من قبل، ومن ثم فإن مقاربة هذا الطفل يجب أن تكون مختلفة، وهو ما لم نر له تحققاً فعلياً حتى الآن.

إذا اتفقنـا على أن تكـون "المرحلة الابتدائية" نقطـة البداية –على أسسها العلميـة– فإن السؤال المهم هو: كيف نبدأ؟...

أيها السـادة... من معضلات الحيـاة العربية المعاصرة أننا حين نتصدى لقضية ما لا ندرسها درساً يشمل عناصرها في آن واحد، بل يغلب علينا بحث كل عنصر في صورة "منعزلـة" وقد ظهر ذلك جلياً في بحوث تعليم العربية مع أن تعليم اللغة عملية "مركبة" يستحيل التوصل إلى بعض أسرارها إلا في حال بحث العناصر المتداخلة بحثاً واحداً على مستوى معين من الشمول؛ لأن معرفـة "العلاقات" بين هذه العناصر أهم مــن معرفة خصائصها منفـردة... وعلى ذلك نستطيع –ونحــن نسعى إلى تغيير تعليم العربية– أن ندرس دراسة علمية صحيحة عناصر المناهج، والمواد التعليمية، وإعـداد المعلم، وتقنيات التعليم، وغيرها، في منهج متكامل يربط بينها مما يقضي على التناول الفردي ويؤسس لما يعرف "بعمل الفريق" بإقرار كل تخصص أنـه ليس الأهم أو الأوحد في قضية تعليم اللغة، بل هــو عنصر واحد من عناصر شتى لا تؤتي ثمارهــا إلا باندماجها معــاً فيما يعرف الآن بالعمل "البيني" interdisciplinary..

وقد نلفت كذلك ـــأيها السادة– إلى أمرين:

١- أن تعليـم العربية جرى في العقود الخمسة الأخـيرة –ولايـزال– على نمـاذج سابقـة الصنع prefabricated لم تصـدر –أصالة– عن معالجة موضوعيـة لخصائـص "البيئة" التـي تعيش فيها العربية، وكم عانى النـاس ولا يزالون من الاستيراد الكامل لهذه "النماذج".

٢- أن ثمـة غياباً شبه كامـل "لوصف" علمي حقيقـي للعربيـة يواكـب الإيقـاع العلمـي لعصر الحاسوب.

أيها السادة.. قد يكون من نافلة القول أن نؤكد أن مناهج التعليم إنما هي تطبيق لمواقف "نظرية"، بعضهـا يناقـض بعضها الآخر مناقضـة كاملة في

أسسها الفلسفية، وأن النظريات تبقى "تجريدات" ما لم تتحول إلى واقع فعلي يمارسه الناس ممارسة حقيقية.

وأن أفضل المناهج هي التي يستخلصها كل مجتمع بما يناسب خصائصه الثقافية والتاريخية.

ومع كل التجارب العالمية فإن الإجماع يكاد ينعقد على أن المنهج الاتصالي communicative هو الأفضل والأنفع في تعليم اللغة وتعلمها، وليس المقام هنا مقام تفصيل، لكننا نشير –فحسب– إلى أن الاتصال يعني "المواجهة الشخصية"، ومن ثم يفضي إلى أن يكتسب المجال "الوجداني" أهمية خاصة، بحيث يجعلنا نبني "علاقات"، لقد كانت الاتجاهات السابقة تمدنا أولاً بالوسائل، ثم بالأهداف، ثم بالمادة التعليمية، ثم بالعلاقات الشخصية، وهو ما أنتج ما يعرف بالتعلم الدفاعي، أما الآن فنحن نبدأ بالعلاقات الشخصية، أي أننا نتحو منحى بشرياً لأننا نعلم بشراً.

و"الاتصال" يعني استعمال لغة طبيعية واقعية وظيفية في قاعة الدرس، وهذا كله سوف يعلمنا كيف "نتعلم" لا أن يعلمنا مدرس من مكانه "الأعلى"؛ مدرس يقرر وحده ما ينبغي أن نتعلمه.

وعلى ذلك فإن سؤالاً لا يكف عن الإلحاح حين تعرض مشكلة تعليم العربية، ألا يجوز أن نمزج بين المنهج الاتصالي السائد، وبعض خصائصنا المركوزة فينا منذ زمن بعيد؟ وأعني بذلك أن نستثمر خاصية "الاستظهار" بقدر ما داخل المنهج المختار؟

نعم هناك تأكيد على أن المبالغة في النشاط الاستظهاري على حساب الاتصال الموقفي في الدروس اللغوية يمكن أن يخمد عملية التعلم، غير أن بعض الدراسات قد كشف مؤخراً أن الاستظهار ليس "شراً" كله، إنه يؤدي إلى الذاكرة الجديدة، وهي تعني تكوين ارتباطات متعددة لكل حقيقة نعني بالاحتفاظ بها، أي كيف ننسجها في علاقات نسقية "يقول أوزبل Ausubel عن الطبيعة الكلية للنسيان إن المواد التي تتعلم استظهارياً لا تتفاعل في البنية المعرفية بطريقة مادية؛ لأنها تتعلم في ضوء قوانين الاستدعاء، ومن ثم يتأثر استدعاؤها بالمؤثرات المتداخلة لمواد مشابهة.

(Ausubel, David A.1968- Education)

Pscychology Cognitive view, New York, Rinehart & Winston- P.108

إنني أقصد هنا كيف نستثمر "حفظ القرآن الكريم –بقدر ما– في هذه المرحلة توجيهاً متمايزاً؟

أيها السادة.. من أين نبدأ.. وكيف نبدأ.. والآن متى نبدأ؟

لقد تفلت منا الوقت، غير أن "القضاء" مقبول إن شاء الله... والحق أن علينا –في هذا الأمر– "فرضاً" واجباً ينبغي أن نؤديه لوقته الآن دون تأخير، لكني أشك شكاً قوياً في تحقق ذلك لأسبابه الموضوعية إذ إنه يقتضي توافر شروط أهمها إرادة سياسية قوية، قاصدة، عازمة، وتوافر موارد مالية وافية تسند تأسيس "ثقافة" علمية حقيقية في شأن تعليم العربية.

ولن نمل تكرار لاقتراح الذي عرضناه في غير مكان من العالم الإسلامي والعربي، وهو إنشاء "مجلس أعلى لتعليم العربية" يكون مستقلاً عن الأجهزة الحكومية في موازنته وإدارته، يشبه" المركز البريطاني British Council، والأكاديمية الفرنسية Acadamie Francaise ومعهد جوته Goete Institute.

أيها السادة.. هل يجوز لنا أن نصل الآن إلى قرار محدد بأن نحدد نقطة البداية في "المرحلة الابتدائية" وأن تتوجه الجهود العلمية كلها إلى هذه المرحلة من أجل تعليم حقيقي للعربية؟

تعليم العلوم بالعربية

أ. د. محمد مزالي

الوزير الأول للجمهورية التونسية الأسبق، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

إن موضوع تعليم العلوم بالعربية يفرض على الدارس أن يضع من أول وهلة السؤال التالي: هل من الواجب تعليم العلوم باللغة العربية في مناهجنا التعليمية أم لا؟ ولكن السؤال الذي يفرض نفسه قبل كل شيء: هو ماذا ينتج عن بقاء العربية في وضع ما تزال النخب العربية الثقافية وخصوصاً القائمين على إعداد المشاريع التعليمية والتربوية في كل قطر من الأقطار العربية تقف من هذا الموضوع موقفاً غير موحّد ولا واضح، فيه الكثير من التردد والتعثر، والمد والجزر، والإقدام والتراجع؟ وليس من سبب في استمرار هذا الوضع إلا لأن هذا الموضوع لم تقدر على حسمه بصورة باتة وملزمة، لا الجامعة العربية ولا مؤسساتها التربوية ومنظماتها الثقافية، ولا المجامع العربية ولا الأنظمة التعليمية المختلفة في الأقطار العربية.

كما أن طرق هذا الموضوع يفرض على الباحث أن يضع هذا السؤال أيضاً: هل أن الأنظمة التربوية التي اختارت تعليم العلوم بلغة أجنبية قد تمكنت من تخريج أجيال من المتعلمين في المستوى نفسه الذي عرفته البلدان المتقدمة، لا من حيث الكفاءة العلمية فقط بل أيضاً من حيث اندماجهم في مجتمعاتهم وقدرتهم على الإبداع، والتغلب على سلبيات الازدواجية والثنائية؟ علماً أن الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه؟

وبما أن الباحث لا يجد دراسات دقيقة وضافية وموضوعية عن تجربة كل قطر من الأقطار العربية في موضوع نتائج تعليم العلوم بالعربية أو عدمها فإنني سأستند إلى استقراءاتي الشخصية ومطالعاتي لبحوث قيّمة في هذا الباب.

وأول ما يتبادر إلى الذهن في مسألة وجوب تعليم العلوم العربية أو عدمه هو النظر، قبل كل شيء، في وضع اللغة العربية في خضم العولمة وأمام التحديات التي تواجهها يومياً.

ذلك أننا نجد أنفسنا في هذه الحقبة من الزمن التي طغت فيها العولمة بظلالها كلها وبالخصوص الثقافية منها أمام خطر كبير يهدد مجمل لغات العالم، لا اللغة العربية فقط. لأن العولمة الثقافية وما ينجرّ عنها من طغيان اللغة الإنجليزية وفرضها لغة القطب الأوحد من شأنها أن تعمل في آخر الأمر على زوال كثير من اللغات. وليست الدراسات التي تصب في هذا المعنى بقليلة بل إن العديد من الدراسات الصادرة عن اليونسكو وغيرها من مؤسسات البحث تثبت أن العشرات من اللغات قد زالت بعد.

ويمكن أن أذكر على سبيل المثال أن المجلس العربي للطفولة والتنمية نظم في ماي ٢٠٠٧ مؤتمراً عالمياً حول «لغة الطفل العربي في عصر العولمة» في مقر جامعة الدول العربية، شارك فيه أكثر من ٥٠٠باحث ينتمون إلى ١١ دولة عربية وإلى عدد من الدول الأخرى. وكان هدف هذا المؤتمر هو تدارس كيفية تنمية اللغة العربية لدى أطفالنا. ولكن البحوث التي قدمت كانت بمثابة رثاء للغتنا.

لقد أشار اللّسانيّون في هذا المؤتمر إلى أن الإحصائيات العلمية تثبت أن ما بين ٢٥٠ أو ٣٠٠ لغة تندثر سنوياً بفعل سرعة التواصل والميل إلى استعمال اللغات العالمية الأكثر فاعلية. من ذلك أن اللغوي المصري الدكتور رشدي طعيمة أكد أن أحد تقارير اليونسكو الأخيرة أعلنت انقراض عدد من اللغات خلال هذا القرن، ومن بينها اللغة العربية واستشهدت بكتاب ألفه البريطاني ديفيد كريستال وعنوانه موت اللغة وفيه يعدد تسعة شروط لموت اللغة وجميعها تنطبق على اللغة العربية حالياً.

وإذا كانت اللغة العربية على هذه الحال كما أكّده هؤلاء الخبراء فهل يمكن الحديث عن تعليم العلوم بالعربية؟ وللأسف أنه لم يتصدّ أي باحث عربيّ لتفنيد هذا الزعم بل ما ذكرته فيما يتعلق بهذه الندوة يدل على أن جل الباحثين العرب المشاركين فيها لم يردّوا الفعل، إن لم يميلوا إلى الانضمام إليهم للبكاء على لغة الضاد.

إذن ما دامت قضية تعليم العلوم بالعربية تتعثر بهذه الصورة، وتعزف جلّ الأنظمة التربوية العربية، إلا القليل منها كسورية مثلاً، عن تبنّي التعريب بكامله في كل المواد وفي كل المستويات فإن الأمر لن يحسب أبداً. وفي اعتقادي أن الإشكالية تكمن في البت في قضايا عديدة متماسكة لا يمكن التّقصي منها أو حلها بصورة جزئية أو وقتية. فهل في الإمكان تعليم العلوم بالعربية من دون حل مسألة التعريب بجوانبها المتعددة أو الترجمة بإشكالياتها المتنوّعة؟ إن هذا يقتضي، على الأقل، حل معادلات تتمثل في الوقوف موقفاً واضحاً موحّداً تجاه مسائل تتعلّق خاصة بالازدواجية والثنائية اللغويتين.

وكما تعلمون فإن الازدواجية اللغوية تعني وجود مستويين للغة الواحدة، أحدهما يرتبط بمستوى اللغة الفصيحة الذي يستخدم في المناسبات الرسمية والكتابة والأدب، والآخر مستوى اللغة العامية في الحياة اليومية الاعتيادية. والازدواجية موجودة في جميع اللغات الكبيرة، ولكن الفرق بين ما يوجد من ازدواجية في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية ضئيل وكمّيّ، بينما الازدواجية في اللغة العربية كيفيّ. لأن الفارق بين الفصحى ولهجاتها كبير جداً، زيادة على شيوع العاميات الممزوجة بالدّخيل غير المعرب الموجود الآن خصوصاً في الفضائيات ووسائل الإعلام المتعددة مما يجعل الفصحى صعبة الاستيعاب. وهذا له انعكاس خطير يتجلّى في ظاهرة عدم الإقبال على القراءة والمطالعة وفي انحسار المعرفة في المجتمعات العربية. ناهيك أن معدل القراءة في السنة بالنسبة إلى إسرائيل مثلاً هو ٤٠ كتاباً لفرد الواحد، وبالطبع بالعبرية، وفي بلادنا كتاب واحد لكل ٨٠ فرداً في السنة على سبيل التقريب.

أما موضوع الثنائية وهو وجود لغتين أساسيتين في البلد الواحد تعتمدان في التعليم أو يقع تداولها فمعناه أن يتحدث الفرد بلغتين: اللغة العربية واللغة الأجنبية بدعوى الانفتاح على الثقافات الأخرى. وفي

هــذا المجال أكّد الخبراء أن التنمية البشرية لا يمكن أن تتــم إلا باكتساب المعارف والعلوم باللغة القومية، لأن اللغة هي وعاء الفكر، وهي الحاضنة له بدرجاته المتنوعــة، وصولاً إلى الإبــداع، وهي وسيلة التواصل وتبــادل المعلومات بين أفــراد المجتمــع ومؤسساته المختلفة.

ولقد بيّن الدكتور أحمد عكاشة أن التعدد اللغوي في الطفولة قد يسبــب اضطرابات نطقية، ونفسية، وعقلية، وأن الأطفال العرب الذين يتلقون تعليمهم في مدارس أجنبية يميلون إلى الشعور بالنقص واحتقار الأهــل والإحساس بالاغتراب الثقــافي في بلدانهم. وهــذا من أهم أسباب هجرة الأدمغة. ولا غرابة أن نشهد في هــذه الأيام سياسة واضحة تتوخّاها بعض البلــدان الغربية متمثلــة في التشجيع من جهة على تبنّي الثنائيــة اللغوية والثقافية بأنواع من الدعم في المناهــج التعليمية لقبول النخبة من المهاجرين، ومن جهــة أخرى تغلــق الباب في وجــه الأغلبية الطالبة للشغــل العادي بما يترتب عن ذلــك من مآس يومية تصل إلى الموت عند عبور البحر خلسة.

ولابــد من الملاحظــة أنه يجــب ألا يتبادر إلى الذهن أننــي ضد تعلم اللغات في مناهجنا التعليمية بــل من الأكيــد أن نلقّن شبابنــا، في مستوى متقدّم من التعليم، لغة أو لغتــين ولكن من واجبنا أيضاً أن نحتاط حتى لا تنجرّ عن الثنائية اللغوية عدة سلبيات ذكرت بعضها آنفاً. وفي الواقع ليس من السهل إيجاد التوازن في هذا البــاب إذ التجربة التونسية في هذا المجال أثبتت، سواء قبل الاستقلال أو بعده، أن الحل الأمثل في تبني ثنائية ما صعب المنال، ومحفوف بكثير مــن المخاطر والمزالــق. وفي رأيــي أن الخطأ يتمثل في تعليــم اللغة الأجنبية بمعزل عــن اللغة الوطنية.

وبهذه الصورة تكون مــادة الترجمة أساسية ليتمكن المتعلم من مفاهيم المفردات الأجنبية وهو شرط من شــروط حذق اللغة الأجنبيــة. وفي اعتقادي أن هذا من رواسب الاستعمار الثقافي الفرنسي الذي حرص بأساليب يطول شرحها على تذويب اللغة القومية، مع التشجيع على تبنّي اللهجة العامية.

وأســوق تأييداً لكلامي ما كتبــه أحد الأساتذة الجامعيين أخيراً في خصوص طلبة العلوم والهندسة في المرحلــة الثالثة (ماجستر ودكتــوراه) مؤكداً أنهم غير قادريــن على تحريــر رسائلهم بأيــة لغة، مما أدى بهم في أغلب الأحيــان إلى سرقة النصوص من الأنترنــت واعتبارها من تأليفهــم الشخصي. ويؤكد أيضاً أن الطالــب الجامعي التونسي اليوم غير قادر على التعبير باللغــة الفرنسية التي تستعمل لتدريس العلوم والتكنولوجيــا حالياً والتي تحرر بها الرسائل والأطروحــات العلمية علاوة علــى جهله للمفردات العلمية والتقنيــة باللغة العربية عدا التي تعلّمها في المدرسة الإعدادية.

ويواصل هذا الباحث مبيّنــاً أن أساتذة التعليم العــالي يدرّسون العلوم بلغــة هجينة لا تملك قواعد نحويــة ولا قواعد لتركيب الجمل. هي شبيهة باللغة المالطيــة، أي يستعملــون اللسان الــدارج لتصريف الأفعال الفرنسية ويدمجون المفردات العلمية والتقنية كمفردات فرنسيــة ويربطون بينها بــأدوات الربط العربية والدارجة.

وسواء تم تعليم العلوم بلغة أجنبية سليمة أو بلغة هجينة فإن هذه النخب تبقى منعزلة عن مجتمعاتها في هجرة لغوية دائمة ليس في قدرتها إشاعة التفكير العلمــي الدقيق بــين أجيال الشبــاب المتعاقبة، ولا

التعبير السليم، وتبقى مجتمعاتنا مشدودة إلى تفكير أبعد من أن يدفعها إلى الاندماج في العالم المتقدم والمساهمة فيما يقوم به من ابتكارات واختراعات هي أساس القوة المادية والمعنوية. وأخطر من ذلك فهي تبقى عاجزة عن حل مشاكلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتكون بهذه الصورة ضحية الاستبداد والديماغوجيا والشعوذة.

ولا يمكن للباحث أن يطرق موضوع تعليم العلوم بالعربية من دون أن يتناول بالدرس موضوعاً خطيراً وهو المتعلق بالمصطلحات العلمية والترجمة. لقد بقيت النخب العربية منذ النهضة الأولى منشغلة بمسألة ترجمة المصطلحات العلمية الأجنبية. وكان أغلب الذين يتحمّسون لتعليم العلوم باللغات الأجنبية يدّعون أن العجز كامن في اللغة العربية. ولكن من حسن الحظ أن المجامع العربية أثبتت أن لغتنا قادرة على استيعاب العلوم باستنباط المصطلحات وإعداد الموسوعات والمعاجم في هذا الباب.

ولكن تبين أن ذلك لن يحل المشكل. وقد تنبهنا في تونس أثناء اضطلاعنا بالمسؤولية أن مسألة الترجمة هي المفتاح في تعليم العلوم بالعربية فبعثنا إلى الوجود في أوائل الثمانينات المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) وضبطنا مشروعاً مستفيضاً يقضي بترجمة العشرات من المؤلفات الهامة. ولكنه سرعان ما أجهض المشروع عند ابتعادنا عن المسؤولية لأن العديد من الأساتذة الجامعيين في تلك الفترة استنكروا هذا السّعي وصاحوا بأعلى أصواتهم قائلين: أتريدون أن تصبح أمة تراجمة؟ ومعناه في أذنهم وعزمهم الإبقاء على الثنائية في أبشع أشكالها. ولكنهم هم أنفسهم أقروا بعد أكثر من ربع قرن بأن الترجمة هي علامة من علامات تقدم الأمم التي زاحمت الدول الأكثر نموّاً فأسسوا عند ذلك مركزاً للترجمة.

وهكذا يمكن القول إن هناك أكثر من حجة تفرض على الأقطار العربية تعليم العلوم باللغة القومية أي بالفصحى وأهمها في ظني أن البلد الوحيد غير الأوروبي الذي استطاع في القرن التاسع عشر أن يفلت من الاستعمار وطوّر اقتصاده من اقتصاد إقطاعي إلى اقتصاد صناعي هو اليابان الذي اعتمد لغته الوطنية في تدريس العلوم العصرية. وعلاوة على ذلك فإن الدول التي كانت مستعمرة واستطاعت في نهاية القرن العشرين أن تتمكن من التكنولوجيا وتسيطر عليها وتبيعنا اليوم الأجهزة التي نستعملها في وسائل الاتصال الحديثة هي كوريا وتايوان والصين وهي دول تستعمل لغتها الوطنية في تدريس العلوم والإعلامية.

هذه حضرات الزملاء بعض الملاحظات التي تتعلق بهذا الموضوع الحيوي بالنسبة إلى أمتنا وهو يتطلب جهداً كبيراً لإقناع الدول العربية بضرورة تعليم العلوم بالعربية الفصحى. وأقترح عملياً تكوين لجنة في صلب مجمعنا الموقّر مهمتها إعداد مشروع متكامل تطبيقي، يفضي إلى بعث جامعة عربية للعلوم مهمتها تكوين المكونين، وإعداد الكتب الصالحة لتدريس العلوم بالفصحى. ويعرض هذا المشروع على جامعة الدول العربية التي بدورها توكل إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) التابعة لها مهمة الإنجاز والتسيير ليمكن للأقطار العربية تطبيقه مرحلياً في مناهجها التربوية.

تعليم العلوم بالعربية في المستوى الجامعي

د. محمود الربيعي

الأستاذ في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

«إن مصلحم مصر يعلم العلوم الحديثة،ولكنه يعلمها باللغة العربية»

رفاعة الطهطاوي في «مناهج الألباب»

أقــول في المفتتح إن العربية جديــرة بأن تكون الأولى والأوّلى في تعليــم العلــوم. وليست هذه عبارة عاطفية فيما نحن بصدده، وإنما هي عبارة جوهرية منهجيــة. لقد ظل تعليم العلوم يجري باللغة العربية في التعليــم العالي زمنــاً طويلاً قبــل أن يتحول إلى الأجنبية، وإذن فقد كان التعليم بالعربية هو الأصل، والتعليم بغيرها هو الطارئ. وعلى ذلك فالهدف من المناقشــة التي أجريها هنا في هذا الشأن هو محاولة الإقناع بفوائد العودة إلى الأصل ليس غير.

لماذا يلزم تعليم المعارف جميعاً –ومنها العلوم- بالعربيــة؟ قــد نقول إن هــذا هو الأمــر الطبيعي الــذي لا يحتاج إلى ســؤال، ولا نزيد على ذلك، وقد نتوسع فنتطرق إلى السؤال التالي: أليست قوى النفس البشرية كلها متعاضدة متكافئة في تحصيل المعرفة؟ ألا يكون هــذا التعاضد أقوى كلمــا كان صادراً من داخــل النفس، وليس مجلوباً مــن الخارج؟ وإذا صح هذا فكيف يتصور العقل معــزولاً عن اللسان؟ وقد نتوسع أكثر فنسأل: لـماذا نعلم المعارف أصلاً؟ ألسنا نقــوم بذلك لننقــل بالأفراد –ومن ثــم بالأمة- من دائرة الجهل إلى دائرة العلــم، ومن دائرة التحصيل «المعلوماتــي إلى دائرة الإنتــاج المعرفي؟ وإذن فكيف يتصــور الوصــول إلى تلــك الدرجــة الرفيعــة من المعرفة، التي نصل فيها مــن مرحلة اجترار المعرفة إلى مرحلــة إنتاج المعرفة، إذا كنا سنستمر في التعليم بغير لساننا، وهو لســان –مهما قيل من تعلمنا إياه، وإجادتنا إياه- هو لسان غيرنا، أي أنه ليس ترجمان وجداننــا وخيالنا؟ إن أقصى ما يمكن أن نحصله في لسان غيرنا أن نستخرج منه المعلومات بصفته وعاء، وهو وعاء مجلوب نشأ وتطور ضمن تقاليد حضارات

وافدة، وضمن فلسفات خارج سياقنا الحضاري. أما الابتكار فهو محتاج يقينا إلى لغة أصيلة، والدليل على ذلك هذه المبتكرات الوافدة علينا ذاتها، فهي تتم في لغاتها الأم دون غيرها.

هنا نبتدر سؤالاً اعتراضياً يقول إن العلم لا وطن له، ولكننا نقول إن تجليات هذا العلم مرهونة برؤية من اكتشفوه فاحتكروه ووجهوه، من ثم، وجهات تخدم مصالحهم، وتتلون بنظرتهم للحياة من الناحيتين الاجتماعية والأخلاقية، وهذه التوجهات ليست عالمية بالضرورة، بل إنها على العكس من ذلك –وفيما نشاهد– تخدم ظروفاً آنية، وعلى ذلك فما هو علمي –ولا وطن له– قد يستخدم في أغراض وطنية، ويتلون طبقاً للمقاصد المرحلية من النواحي السياسية والاقتصادية، و حولنا شواهد أوضح من أن تنكر، وأمثلة أكثر من أن تذكر.

وجودنا المعرفي –إذن– ودورنا في الابتكار والاختراع، لا في التحصيل والاجترار، مرهون بأن يتوحد لساننا مع جناننا، بحيث لا يكون أحدهما غريباً عن الآخر. وغنى عن القول إن اللغة العربية هي وليدة العقل العربي أو إن شئت قلت –دون حرج– إن العقل العربي متكون في جوهره من تقاليد اللسان العربي. والقوى اللغوية والبشرية قوة واحدة في واقع الحال، ومن شأنها إن تآلفت أن تنتقل بالهدف المعرفي من مجرد التقبل إلى النقد والفرز، ومن مجرد التكديس في تخزين المعلومات إلى الاستيعاب المعرفي الذي يسقط إلى قاع العقل، ويمتزج بالخيال الفعال، فيكون قادراً على الإنتاج الابتكاري. وبقاء الانفصال بين العقل واللسان في تحصيل المعرفة لا ينتج سوى مزيد من التردي التعليمي، وسيظل هذا التردي مطرداً ما دمنا مستمرين في تعليم المعارف –بكل فروعها– بغير العربية. وقد ألخص الأمر في هذه النقطة المهمة هنا دون أن يعنى ذلك أنني لن أعود إليها مرة أخرى: العلم لا وطن له، والأصول العامة للمعرفة لا وطن لها، لكن اللغات لها أوطان، وكل لغة تجرى –أو هكذا شأنها– من أهلها مجرى الدم في البدن، وعلى ذلك فهي إحدى القوى الأساسية في تحصيل المعرفة على وجه صحيح. وأخطر شيء ألا نوحد بين قوى النفس، أو أن نحصل على المعرفة عن طريق توليفة مصطنعة بعضها مركوز في الطبع، وبعضها مجلوب من الخارج، وعلى ذلك فغاية ما يمكن الوصول إليه من تعليم العلم بغير العربية – في حالتنا– أن نصل إلى «المعلومات» لا العلم، وإلى «القشور» لا اللب، وإلى «العَرَض» لا الجوهر.

ولن أنشغل هنا كثيراً بالأسباب التاريخية التي دعتنا إلى التحول من تعليم العلوم بالعربية في أول النهضة إلى تعليمها بغير العربية، وأراها جميعاً أسباباً تفتقر إلى الإقناع، وتجافي «العلمية»، والمنهجية، وأقوى ما يمكن أن يقال في الدفاع عن تعليم العلوم بغير العربية ما أسلفته عن أن العلم لا وطن له، ومن ثم فلا لغة له، لكن هذا لا يحتم أن تكون لغته التي لا وطن لها، هي بالضرورة غير العربية، وسند آخر يقوي أصحاب القول بهذا، وهو أنهم يركنون إلى الأمر الواقع، وبقاء الحال على ما هو عليه؛ ذلك أن التغيير محتاج إلى همم، وإلى وسائل وإجراءات، وزحزحة أمر كرّس بطول الزمن، وبالأمر الواقع، يقع عند البعض في حدود المغامرة، والمغامرة تحتاج إلى قرارات جريئة، وتحمل خسائر محتملة، لا تقوى عليها عادة عصور الضعف والتخلف، تلك العصور التي تركن دائماً إلى عدم التغيير، والركون إلى ما هو مستتب، وتفادي المراجعة والفحص والنقد لعدم القدرة عليها. لكن تدني المستوى العلمي ماثل أمام أعين الجميع، والتفكير في أسبابه فرض واجب، وقد ننتهي إذا فعلنا ذلك إلى أنه قد يكون السبب –أو واحد من الأسباب في أقل تقدير– الانفصال بين

تلقي المعرفـة ولسان الأمة، فكيف يظل ذلك البحث مسكوتاً عنه؟

ليـس من عادتنا أن يعقـد أحد مائدة مستدير يناقش فيها تلك الأمور المصيرية مع أحد، ولا أذكر أنـه تمت مناقشات مستفيضة بـين أهل اللغة وأهل العلـوم التجريبية في أمر حيـوي كالأمر الذي أتكلم هنـا فيه، بل إني لأذكر أمراً آخر يجري على العكس من ذلك حين كنت أستاذاً في جامعة القاهرة، وشكلت لجان لتطوير المناهج في الجامعة بلغ عدد أعضائها خمسين عضواً لم يكن بينهم متخصص واحد في اللغة العربيـة، وغني عن البيان أن «تهميش» أهل اللغة في أمـر المعرفة العلمية من شأنه أن «يوسع الخرق على الراقع» -كما يقول- في هـذا الأمر، ويجعل السيئ من الأحوال أسوأ، وعلى الذين لا يريدون أن ينصتوا لقولي من أنه وإن كان العلم لا وطن له فإن اللغات لها أوطان، أن يعتبروا بحال «السوق الأوروبية المشتركة» التي رأت بوحدة الاقتصـاد، ووحدة العملة، ووحدة الحركة دون معوقات من جوازات سفر أو نحوه، ومع ذلك صعدت في الوقت ذاته من المحافظة على اللغة، وبقائها حصناً حصيناً للهوية، فلم نعتبر في ذلك لغة واحدة، ولا تم التفريط في أمر اللغات قيد شعرة.

أعود إلى مسألة التقـوى بالأمر الواقع، وطول الزمـن الذي مضى على تعليـم العلوم بغير العربية، ومـا يمكن أن يكون قد ترتب علـى ذلك من تطوير أدوات وتقاليـد لتلقي العلم بغـير العربية أصبحت مستقرة وفاعلة، الأمر الذي يحدث، من العدول عن غير العربيـة إلى العربية، بلبلـة تعليمية كبرى تعود بالوطـن معرفياً إلى الوراء، فأقـول إن العبرة في كل ذلـك بتوخي النفع الأكبر وتحمـل -في سبيل ذلك- الضرر الأصغر. ووجود الأمر الواقع لا يصح أن ينهض حجـة على إبقائه مع ظهور ضـرره، كما لا يصح أن ينهض طول عمر المرض حجـة على عدم البدء في علاجه، أو ينهض استعمار أوطان الغير، مهما طال، حجـة على بقاء هذا الاستعمـار. دعنا إذن نفحص عناصر الضعف وعناصر القوة في هذا الأمر الواقع، ونعتـبر مدى النفع الحاصل للأفراد والجماعات من ورائـه، ثم العمل على تغييره بشتـى السبل مادام لا يحقـق النفع المرجو. أما إذا استبان ضرر بقاء الأمر الواقـع على ما هـو عليه بمصلحة الأمـة المعرفية والحضارية على نحـو ماحق فإن العمل على تغييره من فوره يعد فريضة وطنية.

وصحيـح أن الأمة العربيـة -وشارتها هنا هي اللغـة العربية- لم تسهم بقليل أو كثير في نشأة العلوم الحديثة أو تطورها. ولن أذهب في التعليق على هذا الأمـر الصحيـح مذهب التفاخر بمـا قدمته الأمة العربية للعلوم في الماضي، وبما قامت به اللغة العربية مـن دور الوعاء الحافظ الذي عبرت عليه الحضارة الإنسانية إلى الغرب، فذلك كله من الماضي، لكن هذا شيء، والقـول بأننا لو علمنا العلم باللغة العربية لن يكون ذلك في صالـح النهضة العلمية المرجوة لدينا، شيء آخر. وصحيح أن العلم يتطور بسرعة، وما ثورة الاتصالات المستمـرة ببعيدة عن الأذهان، وقد يقال إن العربيـة لغة أميـل إلى المحافظة، وهي بطيئة في تجديد نفسها، مفردات، وتعابير، ومصطلحات، ومن ثـم فهي لا تواكب التطور العلمـي السريع، والفجوة حادثة لا محالـة بين ما سيكون لدينـا، وما سيكون لديهم إن نحـن علمنا العلم بالعربية، وردّي على كل ذلك يتلخص في التالي: من المعلوم أن الوظيفة تنشط العضو، بل تنشئه، وعلى ذلك فوضع اللغة العربية في خضم العمل هو الذي يجعلها ملائمة لتعليم العلوم، أمـا الحيلولة بينها وبين أداء هـذه الوظيفة، بحجة أنهـا قاصرة عن هـذا الأداء، فسيبقيها دائماً خارج السبـاق، ويزيدها قصوراً عـن أداء هذا الدور، وفي هذا إضرار بها، وإضرار بالعلم ذاته، وإضرار بمستوى

الأمة في نهضتها المعرفية والحضارية.

حقاً إن عمليـة «الإحلال والتبديل»، لا تتم بين يوم وليلة، كما أنها لا تتم بالقرارات العشوائية، ومن الطبيعـي أن تحتاج الأهـداف العظيمة إلى خطط يحكمها التبصر، والصبر، ودقة الإعداد، وأنا أعلم أن ما أقدمه هنا لا يمكن أن يكون حلولاً أو إجراءات تنفيذيـة لتلك القضيـة المعقـدة في حياتنا، وغاية ما أرجـوه أن يكون إسهاماً في فتـح باب يكاد يكون موصداً. وأول ما أدعوه إليه أن يفتح النقاش في هذا الموضـوع، على أوسع نطـاق، وبأعلى صوت. ومجمع اللغـة العربية فيمـا أرى هو المـكان الطبيعي الذي ينبغي أن يدعـو إلى هذا النقاشـ، وأن يكون تعليم العلوم بالعربية بنداً دائماً على جدول أعماله؛ وذلك لأن أول غرضـ من أغراضه -كمـا جاء في مرسوم إنشائه- جعل اللغة العربيـة «وافية بمطالب العلوم والفنـون في تقدمها، ملائمة علـى العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضـر»، ولأنه يضم بين جنباته -بحكم التعريـف، وبحكم الواقـع- طائفة من أبرز علماء هذه الأمة في اللغة وفي العلوم.

واقـترح أن يكون البدء مائدة مستديرة يعقدها المجمع، يتناقش فيها أعضاؤه -أو يتناظرون- مقدمين آراءهـم في موضوع تعليم العلوم بالعربية، وعارضين الحلـول المثلى في هذه المسألـة حسبما يرون، وحين تقضي هـذه المناقشات، أو المناظرات، إلى اتجاهات محددة واضحة في الموضوع، تدعى مؤسسات الدولة المعنية الأخرى إلى الحوار؛ فعلى سبيل المثال يمكن أن يدعى في مرحلة من المراحل: المعهد العلمي المصري، والمجلس القومـي للترجمة، وكليات العلوم والهندسة والطب والحاسبات في الجامعـات، ليدلي كل بدلوه في الموضـوع، وفي تقديم رؤيتـه في جعل العربية لغة تعليم العلم في كل مراحل التعليم بما في ذلك التعليم الجامعي، وترسيخ الاقتناع بأن ذلك هو سبيل التقدم العلمي والحضـاري في المنطقة. هنا لابد من تفعيل دور المجمع العلمي الـذي يبدو لعامة المثقفين يعمل في بـرج عاجي، ولابد كذلك مـن توسيع مجال عمل المجلس القومـي للترجمة ليشمل ترجمة العلوم دون الاقتصـار علـى الإنسانيات التي تبـدو غالبة على عمله حتى الآن، وهـو يحمل اسم «القومي»! وبالمثل لابد مـن إذكاء روح العربية لـدى أساتذة العلوم في شتى الفـروع، وإزاحة الفكرة المجوجة التي لا ترى ضيراً في أن يبلغ أستاذ عربي ذروة السنام الأكاديمي، دون حاجـة إلى أن يكون له بـاع معترف به في لغته القوميـة. إن المجلس القومي للترجمـة يستطيع أن يكـون داراً للحكمـة في العصر الحديـث، وأن يقوم بترجمـات واسعة في مجال العلـوم إلى اللغة العربية تتيح فيها من المستحدثات العلمية، ومن الاختراعات والمصطلحـات، يلبـي في حاجـات العلم مـا تلبيه الفرنسية، أو الأسبانية، لأهلها. وخلاصة القول هنا إنه إذا كان ثمـة استعصاء على تعليم العلم بالعربية فهو ليس في العربية، وإنما هو في أهلها.

وحـين تكشـف هـذه المؤسسات عـن نتائج أعمالها، وتنشر أبحاثها، وتقدم توصياتها، يمكن أن تنضم إليها مؤسسات أخرى عاملة في مجال البحث العلمي، كالمركز القومي للبحوث، ومراكز الأبحاث والدراسات العليا في الجامعات، وذلك لتتسع دائرة المناقشـة -ومن ثم العمل- في الموضوع: وقد يكون ضمن مـا يطرح في مناقشات هـؤلاء جميعاً هذا السؤال الذي أراه جوهرياً وهو: إذا كنا درجنا منذ فترة طويلة على تعليم العلم بلغة -أو لغات- الغير، مضحين بأمر عزيز جداً هو عدم إدخال لغتنا إلى مجـال العمل، فبقيت مهملة خارجة، مما أسهم في ضعفها وتخلفهـا عن أن تكون لغة علمية عصرية، ومع ذلك بقينا كأمة متخلفين علمياً، ولم يحقق لنا تدريس العلوم بغير العربية أي تقدم في هذا الميدان

-ألا يجدر بنا والحالة هذه أن نعترف بأن ثمة أسباباً أخرى وراء هذا التخلف، وأن نبدأ البحث فوراً في تقصي تلك الأسباب، وذلك بدلاً من الاستمرار في تلك الخسارة المزدوجة: ضعفنا العلمي، وضعفنا اللغوي؟ هل تعليم العلم بغير العربية هو الخلاص؟ لقد لجأنا إليه ولم يحقق لنا خلاصاً! أو -على العكس- يوقعنا في المزيد من التردي؟ دعنا على الأقل نواجه هذا السؤال بصراحة، وبشجاعة، ونعطيه ما يستحق من اهتمام، ونصل فيه إلى نتيجة حاسمة.

في المرحلة الثالثة من مراحل مقترحي هذا لابد من الخروج من دائرة البحث النظري إلى دائرة الإجراءات العملية، وفيها ينبغي الوصول إلى قرارات نوعية في شأن تعليم العلوم بالعربية في المستوى الجامعي الذي هو مربط الفرس في اقتراحي هذا، وهذه القرارات النوعية تتضمن تخطيطاً للوائح العمل، ورسم المناهج، وما إلى ذلك. ومن اللازم أن يتم ذلك في تؤدة وحذر، وأن يوكل إلى أهله القادرين عليه، المتجردين من كل غرض سوى غرض خدمة المعرفة، وخدمة الوطن.

وقد يتم ذلك في بداياته بمنهج التجربة، والمحاولة، والخطأ، وقد يحدث في أوائل التطبيق من المشكلات ما يصور الحال وكأنه يراوح في مكانه، أو أن الأمور تعود إلى الوراء، ولكن ذلك كله -متى تم الاقتناع بأن العربية هي الوسيلة المناسبة لدينا في تعليم العلم- يكون مرحلياً ومؤقتاً. ومن الممكن أن تجري الجامعات محاولات تجريبية، تعزل فيها مجاميع من الطلاب، ذوي القدرات الخاصة، وتسلكهم في مراحل دراسية، يوفر لها المطلوب من الإمكانات، في الترجمة، وتعلم اللغات، ومواكبة التطور، وكل شيء يمكنهم من أن يجعلهم يحصلون المعرفة بالعربية، آمنين من المزالق المتوقعة. وقد يكون في جعبة المؤسسات التعليمية من أوجه تنفيذ هذا المشروع ما لم يخطر لي هنا على بال.

وأخيراً أقول: إن هذا الموضوع -الكلام في تعليم العلوم العربية- ليس جديداً، لكن رفع الاهتمام به إلى مستوى الهم الوطني هو ما أدعو إليه، فهل يحمل مجمع اللغة العربية، بمناسبة جعله عنوان مؤتمره، هذا العام «اللغة العربية والتعليم» مسئولية بدء الكلام فيه؟

